رواد العلامة

محمد عمر البازمول

(رحمه الله)

{ نبذة عن حياته وجهوده الدعوية }

{ محاضراته في بيان منهج النبوة في الدعوة }

بقلم

محمد علي محمد إمام

{ ١١ } سلسلة المنتقي من كلام أهل التبليغ والدعوة

دار الكتب والوثائق القومية

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب المصرية

إدارة الشئون الفنية

البالمبوري وبيان منهج التبليغ والدعوة

إعداد / محمد على محمد إمام ـ ميت غمر

الطبعة الأولي ٢٠١٣

عدد الصفحات (١٢ صفحة)

المقاس (١٨ × ٢٤ سم)

رقم الإيداع : (٧٠٦٩ /٢٠١٣)

تاريخ الإيداع : ٣/١٤ / ٢٠١٣

الترقيم الدولي :٤-٠٥٠٣-٩٠-٩٧٧-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مُقَدِّمَة

الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده.. ونصلي ونسلم علي خير خلقه وصفوة أنبيائه ورسله سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وبعد:

أخي الحبيب الداعي إلي الله: وها نحن نواصل سلسة المنتقى من كلام أهل التبليغ والدعوة .. مع الجزء الحادي عشر من السلسلة :

روائع العلامة الشيخ محمد عمر البالمبوري (رحمه الله)

{ نبذة عن حياته وجهوده الدعوية }

{ محاضراته في بيان منج النبوة في الدعوة }

لقد صاحب الشيخ محمد عمر الشيخان (محمد إلياس وابنه الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي رحمهما الله تعالى) فاستفاد منهما كثيرا، علما وسلوكا رحمه الله رحمة واسعة.

أسأل الله أن ينفعنا وجميع المسلمين عامة وأهل التبليغ خاصة بهذه السلسلة المفيدة.

أخوكم

محمد علي محمد إمام

نبذة عن حياة العلامة الشيخ
محمد عمر البالمبوري (رحمه الله)

الحمدُ لله الذي لا ينبغي الحمدُ إلا له وأسأله سبحانه وتعالى أن يصلى ويسلم على سيدنا محمد ﷺ وآله وبعد .

إخواني وأحبائي في الله ﷻ يسعدني ويشرفني أن أقدم لكم سلسلة المحاضرات التي ألقاها الشيخ / محمد عمر البالمبوري – رحمه الله – وهو أحد علماء الهند الأجلاء ، الذين حملوا لواء الدعوة إلى الله ﷻ ، وتجولوا فى أرض الله شرقاً وغرباً لإحياء عمل الدعوة والتبليغ ، وقد تأثرت حياته بصحبة الشيخ إلياس (رحمه الله)، وابنه الشيخ / محمد يوسف الكاندهلوي – مؤلف كتاب حياة الصحابة ، وقد رأيت أن أقدم لكم نبذة عن حياته منذ ولادته قد بينها في إحدى دروسه للنساء، وهو يوضح كيف تكون البيئة الإيمانية في البيت وأثرها على الفرد والمجتمع ، وكيف تكون تربية الأولاد على الدين منذ التنشئة الأولى، فيقول: ولدتُ فى بومباي ، وكانت أمي صالحة ، وتوفى أبى وأنا عندي ثماني سنوات، ودخلت المدرسة العصرية وأتممتُ بها الدراسة حتى وصلت إلى الصف الخامس ، ولما جاءت العطلة الصيفية ، ذهبت إلى قريتي (غلام شهر) قريب من بومباي ، فتفكرت أمي أن تدخلني مدرسة دينية بدلاً من المدرسة العصرية كي أتعلم القرآن وأصير متديناً، وفى ذلك الوقت ما

كان في قلبي عظمة الدين ، لأن الإنجليز كانوا يحكمون البلاد ، وكانوا يغيرون أفكار الناس ، ولكن أمي رغبتني وذهبت بى إلى الأستاذ في المدرسة وقالت له : إني أريد أن تُعلم ولدى القرآن والعلوم الدينية حتى يكون التاج على رأسي يوم القيامة[١]، وقبل أن تنتهي العطلة ، جاءت الرسائل من بومباي إلى أمي ، أن أرسلي ولدك محمد عمر إلى بومباي ليتحصل على الصف السادس الدراسي ولكن أمي لم تأبه لهذه الرسائل حتى جاء ابن عمى وزوج أختي ورغَّب والدتي أن ترسلني إلى بومباي لأكمل الدراسة ، وقال لها: ابنك يتيم ولابد من إتمام الدراسة ليتحصل على الوظيفة حتى يستطيع أن يعيش ، فأخبرته أنها تريد أن تعلم ابنها القرآن والعلوم الدينية ، قال: الدين طيب ، ولكن لابد من الدنيا ، فلما سمعت دنيا .. دنيا، غضبت غضباً شديداً ، وقالت: إن الإنسان إذا تعلم دين الله ﷻ ، وعمل لهذا الدين بإخلاص فتأتى الدنيا تحت قدميه يركلها كما يركل الكرة ، وكنت صغيراً عندي اثني عشر سنة ، فتفكرت وقلت في نفسي : كيف تكون هذه الدنيا الواسعة مثل الكرة أركلها برجلي .. ؟! ولم تقبل كلامه وأدخلتني المدرسة الدينية وتعلمت علوماً دينية كثيرة ،

---

١) إيماناً وتصديقاً بالحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود عن معاذ الجهني، قال: قال رسول الله ﷺ : " من قرأ القرآن وعمل بما فيه ، أُلبس والده تاجاً يوم القيامة ، ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم، فما ظنكم بالذي عمل بهذا ؟! " (مشكاة المصابيح – كتاب فضائل القرآن– ٦٦٠/١) .

وكانت والدتي تريد أن تغير فكرى ، ليأتي في فكر الأنبياء عليهم السلام ، فتأتى إلى بكتاب قصص الأنبياء عليهم السلام وتقول يا بنيَّ اقرأ عليَّ قصة سيدنا موسى عليه السلام ، وما كان في بيتنا غير شمعة واحدة فتشعلها وأجلس أمامها كل يوم أقرأ عليها من كتاب قصص الأنبياء عليهم السلام ، ومرة كنت أقرأ عليها ، فقالت لي: يا ولدى.. اليوم في بيتي المظلم تسمع كلامك امرأة واحدة عجوز.. وأنا أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يسمع كلامك الألوف من الرجال والنساء ، وقالت: عندما وضعتك كانت الساعة الثانية عشر ليلاً ، فنظرت إليك وإلى المصحف الموجود على الرف فى الحجرة ، ونويت أن الله عز وجل يعطى هذا القرآن لولدي ، ولما كنت صغيراً كانت تقص عليَّ تفسير سورة الكهف وتفسير سورة البروج ، ومن صلاحها أنها كانت كلما رفعت يديها للدعاء تبكى كثيراً.

وأراد أستاذي أن يترك المدرسة ويذهب إلى قريته " غلام شهر " بالقرب من دلهي، وكانت تبعد عن بومباي مسافة خمسمائة كيلو متر ، فتفكرت والدتي وقالت الآن يذهب العلم من ولدى وأخبرت أستاذي بما في نفسها ، فقال لها الأستاذ: لا تحزني ، أنت دبري له مصاريف السفر وأنا آخذه معي فيمكث عندي لمدة ستة أشهر ثم يلتحق بمدرسة دار النهضة العربية للعلوم ديوبند، وكانت مصاريف السفر حوالي مائة روبية ولكن لم يكن في جيب أمي منها شيء فأخذت تدور على أهل القرية

كي تقترض المائة روبية ولم تجد أحد يقرضها ، يقولون هي فقيرة من أين ترد لنا هذا المبلغ ، فأخذت أمي تبكى حتى يسَّر الله لها هذا القرض فأعطته للأستاذ وذهبت معه ، وبعد أن وصلنا إلى قريته " غلام شهر " ، جلست عنده أتعلم ونسينا أن نبعث بالرسالة إلى أمي فكانت تجلس كل يوم تبكى وتقول يا الله كيف حال ولدى الآن ..؟ وكل هذا تتحمل ، ثم بعد ستة أشهر من الدراسة على يد أستاذي ، التحقت بمدرسة دار النهضة العربية العلوم ديوبند، فكان عندي شوق للدراسة ومطالعة الكتب فكنت أدرس في اليوم اثنين وعشرين ساعة وأنام فقط ساعتين ، حتى جاءني مرض السل، فذهبت بسبب المرض إلى بلدي ، فأخذتني أمي إلى طبيب ألماني ، فقال: هذا الولد يموت، فأخذت أمي وأسرتي يبكون ، فقلت لهم: أنتم أركبوني القطار، واتركوني أذهب إلى دار النهضة العربية العلوم ديوبند، فلو مت هناك أموت شهيداً وأقبر في سبيل الله ﷻ ، ولكنهم رفضوا ثم شفاني الله ﷻ ومكثت سنين في بومباي ثم جاءت جماعة الدعوة والتبليغ إلى بومباي ورغبوني في الخروج في سبيل الله ﷻ لمدة أربعة أشهر ، ومنذ ذلك الوقت وأنا فهمت هذه الدعوة ، وقال لي الشيخ / محمد يوسف (رحمه الله) بعد أن عرف قصتي يا محمد عمر اذهب إلى دار النهضة العربية للعلوم وأكمل دراستك ، وفى ذلك الوقت كانت أمي مريضة ، ولكن قالت اذهب للدراسة في سبيل الله ، واشتد

المرض على أمي ، وإخواني وأخواتي جلسوا حولها ، وقالوا لها : نرسل لابنك محمد ليأتي ، فقالت : لا ، لأني خالية اليد ، فلما أموت وأذهب إلى الله فيسألني ماذا قدمت ..؟ فأقول : إني تركت ولدى محمد عمر فى سبيلك ، وبعد ذلك إخوتي غسلوها وغيروا ملابسها ووضعوها على الفراش ، وكانت قد شلت يدها ورجلها وفقدت حاسة الشَّم وحاسة البصر ، ولكنها عندما وضعوها على الفراش ، رفعت نظرها وقالت : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم ضحكت وقالت : والله إني أشم رائحة طيبة ، فقالوا لها: أنت سلَّمت على من ..؟! وضحكت .. لماذا ..؟! قالت : رأيت ملكين وبينهما ولدى محمد الذى ذهب في سبيل الله فضحكت وسلمَّت على الملائكة ، وبعد ذلك نطقت كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله ، ثم فاضت روحها إلى بارئها ، وهذه نبذة مختصرة من قصة العالم الجليل المجاهد في سبيل الله ، وقد تحققت آمال أمه فكان يسمع كلامه في المجلس الواحد ما يقرب من خمس مليون مسلم ، يجتمعون من أقطار الأرض كلها ، وهو يبث فيهم فكر الدعوة إلى الله ويحملهم مسئولية دين الله ﷻ وحمل الأمانة ... نسأل الله ﷻ أن يحشرنا وإياه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

ثناء العلماء عليه

ثناء الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي عليه :

في يوم من الأيام دخل الشيخ محمد عمر غرفة الشوري والمشايخ يتشاورون فقال الشيخ محمد يوسف (رحمه الله) وهو يشير للشيخ عمر : هذا الرجل في صحيفته أرع عشرة مدينة وهي مدن جتامن.

ثناء الشيخ محمد إنعام الحسن عليه:

كان الشيخ إنعام الحسن يحج بيت الله وبرفقته الشيخ محمد عمر البالمبور (رحمهما الله) وعند خروجهما من المسجد النبوي اجتمع الناس ليصافحوا الشيخ إنعام فصافحهم وهو يُشير على الشيخ محمد عمر (رحمه الله) هذا الشيخ محمد عمر لسان الدعوة في العالم ومنذُ ذلك اليوم عُرف الشي بذلك .. وهي شهادة من شيخه وأميره بل أمير العالم في جهد التبليغ والدعوة، وكان أحق بها وأهلها رحمه الله.

ثناء الشيخ سعيد أحمد خان(رحمه الله) عليه:

ليس هناك واحد يهتم بالأعمال ويلتزم بوقتها مثل الشيخ محمد عكر حتى أنه يستعمل الدواء في الأوقات التي أشار عليه بها الطبيب.

ثناء الشيخ عبد الله البلياوي(رحمه الله) عليه:

دخل يوما غرفة الشيخ عمر بمركز الدعوة بنظام الدين ، فقال: جماعة

الـدعوة شخصـان الشـيخ سـعيد أحمـد خـان ، والشـيخ محمـد عمـر البـالمبوري، فهمـا صـورة حقيقيـة للـدين ، فهـذان الـرجلان – مـع شـدة مرضهما وتعبهما – إذا قاما للبيان فيذهب المرض والتعب، ولكني مع صحتي إذا قمت للبيان وبينت مرضت.

هكذا إخواني وأحبابي: كان النبي يثني على أصحابه ولا يقول إلا حقا فيشد ويقوي من عزائمهم، وهكذا الصحب الكرام كان يُثني بعضهم على بعض، نزع الله الغل من صدورهم، وجعل في قلوبهم المحبة.. وبهذا المحبة انتشروا في العالم يبلغون دين الله وينشرون تلك الصفات التي بهرت العالم كله، فدخلوا في دين الله أفواجا.

* * * * * *

محاضرات الشيخ

المنهج الرباني في الحياة

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ * لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ * فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ * أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾[١] .

الله ﷻ خلق السماوات والأرض والشمس والقمر، وما في الأرض جميعاً ، والجنة والنار وما فيهما، وأهم الخلائق الإنسان، والإنسان أغلى المخلوقات ، وليس المعنى أن الإنسان ذو قيمة على كل حال ، بل إنه ذو قيمة لأن فيه الاستعداد ليكون ذو قيمة ، فإن كان جهده على ذاته على منهج صحيح فيسبق بعض الملائكة ، فإن خرج ليتعلم الدين ويتعلم ما قال الله ﷻ ، وقال رسوله ﷺ ، فبمجرد الخروج تأتى فيه القيمة كما

---

١) سورة التين .

جاء في الحديث " قَالَ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ الْمَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ " رواه أبو دواد والترمذي وابن ماجة والدا رمى [١].

والملائكة تستغفر له ، كما في الحديث عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتُ فِي الْبَحْرِ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ " . رواه الترمذي [٢].

وإن جلس في مُصلاه لينتظر الصلاة فالملائكة تدعو له كما في الحديث المتفق عليه " لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام فى مُصلاه ، ما لم يحدث، تقول: اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه " [٣].

كل هذا لأنه اجتهد على ذاته على منهج صحيح ، وإن اجتهد على غير ذاته ونسى نفسه، واجتهد على الأشياء والمخلوقات ، فالأشياء تصير لها قيمة عنده ، ويُصبح لا يساوى شيئاً ، قال الحق ﷻ ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ

---

١) مشكاة المصابيح – كتاب العلم – ٧٤/١ ، رياض الصالحين – باب فضل العلم – صـ ٤٧٩ .

٢) مشكاة المصابيح – كتاب العلم – ١ / ٧٤ .

٣) رياض الصالحين – باب فضل انتظار الصلاة – صـ ٤٠٣ .

أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (١).

والإنسان يسقط من عين غيره ، وتجده أدنى شيء في ذلك الوقت، وتجده يُقْتَلْ من أجل قطعة من الأرض ، من أجل المال ، من أجل أشياء بسيطة ، أصبح الإنسان أدنى من الأرض ، من الوظيفة ، من المال ، متى صار هذا .. ؟ .. لما صرف جهده عن نفسه واجتهد على الخلائق الأخرى فَضَلَّ وفقد قيمته.

وبُعِثَ النبي ﷺ بطريق الرحمة والبركة ، فالطائفة التي تتمسك بأوامر الله ﷻ وسنة النبي ﷺ ، تكون ذو قيمة ، وتجلب الرحمة من الله ، لأنهم أحيوا طريق الأنبياء ، والذي جاء به النبي ﷺ وهو الدين ، وفيه قدرة الله وقوة الله .

جميع الخلائق لا تساوى شيء أمام الدين لأن فيه قوة الله ﷻ ، وقوة الله ﷻ ليس لها نهاية .

فالعزة والذلة، والأمن والخوف، والطمأنينة والقلق، والفرح والترح، والصحة والمرض، والحياة والموت، والغنى والفقر، وصلاح الحياة وفسادها، ومنافع الأشياء ومضارها، بيد الله ﷻ ويستعملها كيف يشاء.

---

١) سورة الأعراف – الآية ١٧٩ .

فقد حفظ الله نبيه ﷺ في الغار بالعنكبوت، وحفظ إسماعيل عليه السلام تحت السكين ، وأهلك النمرود ببعوضة عرجاء .

لما أراد الله ﷻ أن يصلح الحياة جعل ترتيب في العالم ونشر السبب (أخرج الأشجار، ومن الأشجار الثمار، ومن الأرض المياه، وخلق المني، ومن المني خلق الإنسان، ثم تزوج فزاد الله من نسله.

نرى نتيجة الأشياء والأسباب الظاهرية، والله أظهر قدرته بين الأسباب، فالفلاح يُلقى البذر في الأرض والله ﷻ يُثمره ، فالفاعل هو الله جل جلاله .

ولكن الإنسان ينسى ، يقول أنا زرعت البذر فجاء الثمر، أنا فتحت الدكان فجاء المال، يقول الله ﷻ ﴿ فَلْيَنْظُرِ الإنسان إلى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبًّا. ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا. فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا. وَعِنَبًا وَقَضْبًا. وَزَيْتُونًا وَنَخْلا. وَحَدَائِقَ غُلْبًا. وَفَاكِهَةً وَأَبًّا. مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ. فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ. يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ ﴾ [١] فالحقيقة أن الفعال هو الله ﷻ .

لما قام سيدنا إبراهيم عليه السلام بالدعوة، فادعى النمرود أنه يحيى ويميت ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ

١) سورة عبس – الآيات من ٢٤ : ٣٢ .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فإن اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ المشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ المغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ واللَّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [١] أعطى الإنسان قوة بسيطة محدودة لوقت محدود فقال أنا الفاعل.

الله ﷻ جعل للإنسان الخيار في استعمال أعضائه ، إما في طاعة الله ﷻ ، وإما فى معصية الله ﷻ .

فالله ﷻ جعل في الإنسان قوتان :

(١) قوة الطاعة . **(٢) قوة المعصية .**

قال تعالى ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [٢]

وفى جميع المخلوقات قوة واحدة هى قوة الطاعة ، فإذا أمر الملائكة فلا يعصون ، قال تعالى ﴿ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٣] وإذا أمر السماء والأرض فلا يعصون قال تعالى ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً

---

١) سورة البقرة – الآية ٢٥٨ .

٢) سورة الشمس – الآيتان ٧ ، ٨ .

٣) سورة التحريم – الآية ٦ .

قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [١] وهكذا كل المخلوقات، إلا الإنسان فمنهم من يُطيع ، ومنهم من يعصى ، قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأرض وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[٢].

فلو أظهر الإنسان قوة الطاعة واجتهد عليها ، فالله يجعل حياة العالم رحمة وطمأنينة ، وإن عصى ربه فالله يغير العالم ويفسد الحياة ، قال تعالى ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [٣] .

وترتيب الحياة على الطاعة وعلى المعصية ، إن أطاع له الجنة ، وإن عصى فله النار وكل الأشياء لا تفعل شيء إلا بإذن الله ﷻ .

فإن أراد الحياة .. يُحيى في النار مثل سيدنا إبراهيم عليه السلام .

وإن أراد أن يُهلك .. أهْلك في المال والجاه ، مثل ما فعل مع فرعون وهامان وقارون ، وإن أراد أن يفسده في المال أفسده .

---

١) سورة فصلت – الآية ١١ .

٢) سورة الحج – الآية ١٨ .

٣) سورة الروم – الآية ٤١ .

والقوة نوعان :

(١) قوة المخلوق . (٢) قوة الخالق ﷻ .

والخزائن نوعان :

(١) خزائن محدودة وتنفذ (خزائن المخلوق) .

(٢) خزائن ليس لها حدود لا تنتهي : قال تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (١) .

فقوة المخلوق بالنسبة للمخلوق لها قيمة، لأن القوة تختلف فيما بينهم ، هذا أقوى منى ، وأنا أقوى من فلان .. وهكذا .. ولكن جميع القوى أمام قوة الله ﷻ لا تساوى شيئاً .

نهاية الإنسان وصلت إلى مادة الكيماوية ، ولم تصل إلى السماء ، ولم تصل إلى الشمس .

والماء والهواء أشد من القوة الكيماوية ، فلو تزلزلت الأرض أو هاجت الرياح أو نزل الماء كيف يكون الحال .. ؟ انظر إلى قوم سيدنا نوح عليه السلام قال تعالى ﴿ فَفَتَحْنَا أبوابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ (٢) .

وقوم عاد عليه السلام ما استطاعوا أن يقابلوا الريح قال تعالى ﴿ وَأَمَّا عَادٌ

---

١) سورة الحجر – الآية ٢١ .

٢) سورة القمر – الآية ١١ .

فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أيام حُسُوماً ﴾ (١) .

وقوم سيدنا شعيب عليه السلام ما استطاعوا أن يستقيموا أمام الزلزلة ، فكما أن الأقوام السابقة لم يستطيعوا أن يقابلوا الأشياء فكذلك الناس اليوم ما يستطيعوا أن يقاوموا (الماء .. الريح .. الزلزلة) بل في أقل من خمس دقائق الله ﷻ يزلزل البلاد ويدمرها .

فالماء والهواء والنار، أقوى من القوة الكيميائية ، وبعض القوى لا تُرى وهى أقوى من الخلائق كلها وهى الملائكة وقوتها فوق العقل وليس خلاف العقل الله ﷻ يقول ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُون﴾ .

وبعض الناس يتبع عقله فقط .. وبعض الناس يتبع عقله تحت أمر الله ﷻ ، والذى يتبع عقله فقط يضل ضلالاً مبيناً .

الناس يقولون هذا خطأ وهذا صحيح ، والله ﷻ أرسل الأنبياء عليهم السلام ليفصلوا .

والذى يقول لا تستعمل العقل بالمرة .. هذا غير صحيح .

وعقول الأنبياء فوق عقول العقلاء.. وحيث ينتهي عقول الأنبياء يبدأ عقل النبي ﷺ .

---

١) سورة الحاقة – الآيتان ٦ ، ٧ .

والعقل له حدود ، وكل شيء في حده ؛ يُعطينا النتيجة الصحيحة .

فيجب على الإنسان ، أن يستعمل عقله ؛ ولا يعتمد عليه ، بل يعتمد على الوحي حتى لا يضل .

في الدنيا أنتم أعلمُ بشئون دنياكم ، كما في قصة تأبير النخل [١].. أما في الدين فالله ورسوله أعلم .

المادة لا تنفع إلا إذا قامت قوة الروح .

قارون وفرعون وهامان .. وصلوا في قوة المادة فعتوا .. ولما أراد

---

١) كما في صحيح مسلم : عن موسي بن طلحة عن أبيه قال : مررت مع رسول الله ﷺ بقوم علي رءوس النخل فقال : " ما يصنع هؤلاء " ؟ فقالوا : يلقحونه، يجعلون الذكر في الأنثى فتلقح ، فقال رسول الله ﷺ : " ما أظن يغني ذلك شيئاً ، قال : فأخبروا بذلك ، فتركوه ، فأُخْبر رسول الله صلي الله عليه وسلم بذلك ، فقال إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن ، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به ، فإني لن أكذب علي الله ﷻ " .
وفي رواية : عن رافع بن خديج قال : قَدِمَ نبي الله ﷺ المدينة وهم يأبرون النخل ، فقال : " ما تصنعون " ؟ قالوا : كنا نصنعه ، قال : " لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً " ، فتركوه ، فنفضت أو نقصت ، قال : فذكروا ذلك له ، فقال : " إنما أنا بشر ، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر " قال : عكرمة أو نحو هذا . وفي رواية أخري : عن أنس أن النبي ﷺ ، مر بقوم يُلقَّحون ، فقال : " لو لم تفعلوا لَصَلُحَ " قال : فخرج شيصاً ، فمر بهم ، فقال : " ما لنخلكم ؟ " قالوا: قلت : كذا وكذا ، قال: " أنتم أعلم بأمر دنياكم " (انظر صحيح مسلم شرح النووي ١١٦/١٥).

الله ﷻ أن يبطش بهم فما نفعهم شيء .

والنجاة في دين الله ﷻ .. فمعظم الأنبياء عليهم السلام كانوا مستضعفين ، ولكن كانت معهم نصرة الله ﷻ ، فإذا كان نظام الغيب خلافنا فما شئ ينفعنا .. ففرعون ما نفعته قوته الظاهرية أمام قوة سيدنا موسى عليه السلام الإيمانية .. فرعون معه جنوده وأسلحته وقال ﴿ إِنَّ هَـؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴾ [1] وبنوا إسرائيل خرجوا وهم فاقدين الأسباب.. ليظهر الله ﷻ أن الذي يفقد أسباب الله ﷻ لا ينفعه شيء.

فالله ﷻ لا يؤاخذ مرة واحدة ، بل يأخذ أخذاً خفيفاً ثم يُمْهِلَ ، كما مرت الأحوال ببني إسرائيل ليتنبهوا (القمل .. الضفادع .. الدم .. الجراد .. هكذا ..) .

إذا جاء العذاب يتوجهون إلى سيدنا موسى عليه السلام ليدعو لهم الله ، فإذا دفعها الله ﷻ عنهم ، عادوا إلى ما كانوا عليه .

إذا كان الإنسان صالحاً يزداد شُكراً في النعم، ويزداد صبراً في البلاء .

وإذا كان الإنسان غير صالح يزداد تكبراً في النعم، ويجزع ويضجر في البلاء .

---

١) سورة الشعراء – الآيتان ٥٤ ، ٥٥ .

الذي يمشى على طريق النبي ﷺ ، لا يتأثر بأي شيء سواء في البلاء أو النعمة، ويمر مروراً بين هذه الأحوال ، فالمؤمن وغير المؤمن يمر في الدنيا بين النعيم والبلاء .

الصالح إذا جاءه البلاء فصبر ، فرحمة الله ﷻ فى هذا البلاء ، وإن جاءه النعيم فهذه رحمة الله ﷻ .

والكافر يأتيه البلاء للعذاب ، والنعمة للاستدراج قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾ (١) . فرعون استدرج مرةً بعد مرة ، وأُخذَ أخذَ عزيز مقتدر ، وما نفعه إيمانه عند الغرق ﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرائيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٢).

الله خلق أشياء لها قوى ، ولكنها لا تُرى مثل الملائكة ، فالملائكة أقوى من الأرض ومن السماء ، فإسرافيل عليه السلام عندما ينفخ نفخةً واحدةً يدمر كل شئ فى الأرض ، وجبريل عليه السلام أقوى من إسرافيل ؛ من حيث القوة الروحانية ، وأقوى من جميع الملائكة لأنه سيد الملائكة ، ولما أُمِرَ أن يخسف بقرى لوط ، أخذها على ريشةٍ من جناحه ، وحملها إلى السماء ، حتى سمع أهل السماء ، صياح الديكة ، ونباح الكلاب ، ثم

---

١) سورة الأعراف – الآية ١٨٢ .

٢) سورة يونس – الآية ٩٠ .

جعل عاليها سافلها ، فهذه قوة ريشة جناح ؟ فكيف بقوته..؟

والله ﷻ جعل قوة النبي ﷺ الروحانية ، أقوى من قوة جبريل عليه السلام ، حيث وصل ليلة الإسراء والمعراج إلى مكان لم يصله جبريل عليه السلام.

كما أن الله ﷻ اختص في حبةٍ واحدةٍ ثمارٍ كثيرةٍ إلى الأبد، أخفى النعيم للإنسان إلى الأبد ، والعذاب إلى الأبد .

إذا استعمل الإنسان الكبريت للضوء يضيء ، وإذا استعمله لطهي الطعام يطهى .. وهكذا.. ، وإذا استعمله في البترول يحرق الإنسانية، فالكبريت فيه شعلة تحرق الإنسانية، وشعلة تصلح حياة الإنسانية.

فإذا استعمل الإنسان أعضاءه على حسب أوامر الله ﷻ وعلى منهج النبي ﷺ في متجره .. في وظيفته .. في بيته فمخفي وراء ذلك راحة القلب .. والراحة في القبر .. والراحة يوم القيامة .. وكان رحمةً للعالمين .

والعكس إن استعمل أعضاءه ، على خلاف أمر الله ﷻ ، ومنهج النبي ﷺ ، واعتمد على نفسه .. على ماله .. فمخفي في الإنسان فساد العالم كله " القتل .. الفساد .. الحروب .. الزلازل .. الخوف .. القلق .. الحيرة .. قال تعالى ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [١] لماذا ..؟ لأن الإنسان استعمل جسده في غير محله كما

---

١) سورة الروم – الآية ٤١ .

استعمل الكبريت في غير محله.

في زمن عمر ﷺ رجل يمشى من العراق إلى المدينة . ويقول إني رأيت الناس كلهم كأنهم أبناء أبٍ واحد وأم واحدة كل واحد يتنافس في الضيافة وما شعرت بالتعب في السفر، والظعينة تأتى من الحيرة إلى مكة لتطوف بالبيت ، لا تخاف أحد يمد يده إلي حرمتها.

فإذا أحيينا طريق النبي ﷺ رجعت هذه الحياة .

لما وصل النبي ﷺ إلى القدس ، ليلة الإسراء وجد الأنبياء عليهم السلام ، فصلى بهم ركعتين ، فلما أمَّ أئمة الإنسانية كلها ، بين الله ﷻ لنا أنه نسخ الطرق كلها إلا طريق النبي ﷺ ، وقال ﷺ " لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي " [١] وسُلِمَ النبي ﷺ قيادة العالم كله .

النبي ﷺ صعد إلى السماء ، ولم ينزل على القمر ، ولا على الشمس ، هذه السيارات مثل الطرق المتشعبة ، الكفرة صعدوا على القمر ، ولكن النبي ﷺ فقط بإشارة إصبعه ، انشق القمر نصفين .

الذين وصلوا إلى القمر قالوا: رأينا الدنيا مثل الكرة، قلنا: الدنيا مثل الكرة فكيف يقتتلون عليها ؟!!!

ونحن سعادتنا أن نبينا محمد ﷺ ، قد أخبرنا قبل أربعة عشر قرناً

---

١) رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان – مشكاة المصابيح – باب الاعتصام بالكتاب والسنة – ١ / ٦٣ .

قال : " لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ، ما سقى كافراً منها شربة ماء " رواه أحمد والترمذي وابن ماجة [١] .

فلو وصلوا إلى المريخ لوجدوها لا تساوى جناح بعوضة .. ولما عرج به إلى السماء، رأى الجنة والنار، وتأثير الأعمال .

ولما وصل إلى سدرة المنتهى سمع صريف الأقلام على اللوح المحفوظ.. ووصل إلى مكان لم يصله جبريل عليه السلام ، فحيث انتهت قوة جبريل عليه السلام ، بدأت قوة سيدنا محمد ﷺ الجسدية والروحية فللأسف نحن ما عرفنا قيمته ﷺ . قال تعالى ﴿ وَالنَّجْمِ إذا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ [٢] .

أخبار الدنيا تحتمل الصواب والخطأ ، وعلى تلك الأخبار تتحرك العوالم وتطير الطائرات ، وتجرى السفن في البحار .. ولكن أخبار الأنبياء ليس فيها احتمال الخطأ ، فنحن لسنا بحاجة إلى التجربة ، لأن ما جاء به النبي ﷺ ، فهو حق .

ففي رحلة الهجرة وأثناء المشقة والتعب والجوع والعطش يوعد سراقة ابن مالك بسواري كسرى ، وأن يتزوج بنت كسرى ، ويتحقق ما وعد به النبي ﷺ .

---

١) مشكاة المصابيح – كتاب الرقاق – ٣ /١٤٣١.

٢) سورة النجم – الآيتان ١ ، ٢ .

أهل المادة يجربون ، ويأتي آخر ويقول : هذا خطأ ، هذا صحيح ، ولكن ما جاء به النبي ﷺ فهو من عند الله ﷻ ولو كان في الغضب [١]، ولو كان في السرور ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [٢] وجبريل عليه السلام يأتي بالوحي وهو ذو مرة ، أي : ذي قوة أصلية ، ولا يستطيع أن يُدخل كلمة واحدة على الوحى . ﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [٣] وكان المعراج بالروح والجسد في اليقظة .

ورسول الله ﷺ رأى من آيات ربه الكبرى ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى .. إلى قوله تعالى .. لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ [٤] رأى المنعمين في الجنة ورأى المعذبين في النار .

يقول الناس: ويتمارون، فيما أخبر به الله ﷻ ورسوله ﷺ ،

---

١) كما في الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضى الله عنهما – أنه قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ وأريد حفظه فنهتني قريش ، وقالوا : تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا ! قال : فأمسكت ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ وقال : " أكتب فو الذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق وأشار بيده إلى فيه (أخرجه الحاكم فى المستدرك – ١/ ١٠٤ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأخرجه أبو داود في باب كتابة العلم والدا رمى).

٢) سورة النجم – الآيتان ٣ ، ٤ .

٣) سورة التكوير – الآية ٢١ .

٤) سورة النجم – الآيات ١١ : ١٨ .

ويقولون: أين العذاب في القبر؟ وجدنا القبور فيها العظام وما رأينا فيها شيئاً . يقول الله ﷻ ﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ﴾ .

وليس في المعراج فقط ، يرى الجنة والنار، بل مرة في صلاة الكسوف تقدم وتأخر ثم أخبرهم بما رأى، فعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النّبِيّ صلى الله عليه وسلم. قَالَتْ: خَسَفَتِ الشّمْسُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم. فَخَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى الْمَسْجِدِ. فَقَامَ وَكَبّرَ وَصَفّ النّاسُ وَرَاءَهُ. فَاقْتَرَأَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم قِرَاءةً طَوِيلَةً. ثُمّ كَبّرَ فَرَكَعَ رُكُوعاً طَوِيلاً. ثُمّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: "سَمِعَ اللّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ. رَبّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ". ثُمّ قَامَ فَاقْتَرَأَ قِرَاءَةً طَوِيلَةً. هِيَ أَدْنَى مِنَ الْقِرَاءَةِ الأُولَى. ثُمّ كَبّرَ فَرَكَعَ رُكُوعاً طَوِيلاً. هُوَ أَدْنَى مِنَ الرّكُوعِ الأَوّلِ. ثُمّ قَالَ: "سَمِعَ اللّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ. رَبّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ" ثُمّ سَجَدَ (وَلَمْ يَذْكُرْ أَبُو الطّاهِرِ: ثُمّ سَجَدَ) ثُمّ فَعَلَ فِي الرّكْعَةِ الأُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ. حَتّى اسْتَكْمَلَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ. وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ. وَانْجَلَتِ الشّمْسُ قَبْلَ أَنْ يَنْصَرِفَ. ثُمّ قَامَ فَخَطَبَ النّاسَ. فَأَثْنَى عَلَى اللّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ. ثُمّ قَالَ: "إِنّ الشّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللّهِ. لا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ. فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَافْزَعُوا لِلصّلاَةِ". وَقَالَ أَيْضاً: "فَصَلّوا حَتّى يُفَرّجَ اللّهُ عَنْكُمْ". وَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم "رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُلّ شَيْءٍ وُعِدْتُمْ حَتّى لَقَدْ رَأَيْتُنِي أُرِيدُ أَنْ آخُذَ قِطْفاً مِنَ الْجَنّةِ حِينَ رَأَيْتُمُونِي

جَعَلْتُ أُقَدّمُ. (وَقَالَ الْمُزَادِيّ: أَتَقَدّمُ) وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضاً، حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخّرْتُ. وَرَأَيْتُ فِيهَا بْنَ لُحَيَ، وَهُوَ الّذِي سَيّبَ السّوَائِبَ" وَانْتَهَىَ حَدِيثُ أَبِي الطّاهِرِ عِنْدَ قَوْلِهِ "فَافْزَعُوا لِلصّلاَةِ" وَلَمْ يَذْكُرْ مَا بَعْدَهُ. رواه مسلم [١].

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ قَالَ: كَسَفَتِ الشّمْسُ عَلَىَ عَهْدِ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرّ. فَصَلّىَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم بِأَصْحَابِهِ. فَأَطَالَ الْقِيَامَ. حَتّىَ جَعَلُوا يَخِرّونَ. ثُمّ رَكَعَ فَأَطَالَ. ثُمّ رَفَعَ فَأَطَالَ. ثُمّ رَكَعَ فَأَطَالَ. ثُمّ رَفَعَ فَأَطَالَ. ثُمّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ. ثُمّ قَامَ فَصَنَعَ نَحْواً مِنْ ذَاكَ. فَكَانَتْ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ. ثُمّ قَالَ: "إِنّهُ عُرِضَ عَلَيّ كُلّ شَيْءٍ تُولَجُونَهُ. فَعُرِضَتْ عَلَيّ الْجَنّةُ. حَتّىَ لَوْ تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفاً أَخَذْتُهُ (أَوْ قَالَ: تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفاً) فَقَصُرَتْ يَدِي عَنْهُ. وَعُرِضَتْ عَلَيّ النّارُ. فَرَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تُعَذّبُ فِي هِرّةٍ لَهَا. رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا. وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ. وَرَأَيْتُ أَبَا ثُمَامَةَ عَمْرَو بْنَ مَالِكٍ يَجُرّ قُصْبَهُ فِي النّارِ. وَإِنّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنّ الشّمْسَ وَالْقَمَرَ لاَ يَخْسِفَانِ إِلاّ لِمَوْتِ عَظِيمٍ. وَإِنّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللّهِ

---

١) صحيح مسلم شرح النووي – كتاب الخسوف – ٦ / ٢٠٣ (وقد وردت أحاديث كثيرة في الصحيحين بهذا الشأن) .

يُرِيكُمُوهُمَا. فَإِذَا خَسَفَا فَصَلّوا حَتّىَ تَنْجَلِيَ". رواه مسلم [١].

وفي رواية لـه: مَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلاّ قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلاَتِي هَذِهِ. لَقَدْ جِيءَ بِالنّارِ. وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخّرْتُ مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ لَفْحِهَا. وَحَتّىَ رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمِحْجَنِ يَجُرّ قُصْبَهُ فِي النّارِ. كَانَ يَسْرِقُ الْحَاجّ بِمِحْجَنِهِ، فَإِنْ فُطِنَ لَهُ قَالَ: إِنّمَا تَعَلّقَ بِمِحْجَنِي، وَإِنْ غُفِلَ عَنْهُ ذَهَبَ بِهِ. وَحَتّىَ رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَةَ الْهِرّةِ الّتِي رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ، حَتّىَ مَاتَتْ جُوعاً. ثُمّ جِيءِ بِالْجَنّةِ، وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَقَدّمْتُ حَتّىَ قُمْتُ فِي مَقَامِي، وَلَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَتَنَاوَلَ مِنْ ثَمَرِهَا لِتَنْظُرُوا إِلَيْهِ، ثُمّ بَدَا لِي أَنْ لاَ أَفْعَلَ. فَمَا مِنْ شَيْءٍ تُوعَدُونَهُ إِلاّ قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلاَتِي هَذِهِ". رواه مسلم [٢].

عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ. قَالَ: انْكَسَفَتِ الشّمْسُ عَلَىَ عَهْدِ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم، فَصَلّىَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم وَالنّاسُ مَعَهُ. فَقَامَ قِيَاماً طَوِيلاً قَدْرَ نَحْوِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ. ثُمّ رَكَعَ رُكُوعاً طَوِيلاً. ثُمّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَاماً طَوِيلاً، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوّلِ. ثُمّ رَكَعَ رُكُوعاً طَوِيلاً، وَهُوَ دُونَ الرّكُوعِ الأَوّلِ. ثُمّ سَجَدَ. ثُمّ قَامَ قِيَاماً طَوِيلاً، وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوّلِ. ثُمّ رَكَعَ رُكُوعاً طَوِيلاً، وَهُوَ دُونَ الرّكُوعِ الأَوّلِ. ثُمّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَاماً طَوِيلا،

---

١) المرجع السابق – ٦ / ٢٠٧ .
٢) المرجع السابق – ٦ / ٢٠٧ .

وَهُوَ دُونَ الْقِيَامَ الأَوّلِ. ثُمّ رَكَعَ رُكُوعاً طَوِيلاً، وَهُوَ دُونَ الرّكُوعِ الأَوّلِ. ثُمّ سَجَدَ. ثُمّ انْصَرَفَ وَقَدِ انْجَلَتِ الشّمْسُ. فَقَالَ: "إِنّ الشّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللّهِ. لا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ. فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَاذْكُرُوا اللّهَ" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئاً فِي مَقَامِكَ هَذَا. ثُمّ رَأَيْنَاكَ كَفَفْتَ فَقَالَ: "إِنّي رَأَيْتُ الْجَنّةَ. فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُوداً. وَلَوْ أَخَذْتُهُ لأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدّنْيَا. وَرَأَيْتُ النّارَ. فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَراً قَطّ. وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النّسَاءَ" قَالُوا: بِمَ؟ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: "بِكُفْرِهِنّ" قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللّهِ؟ قَالَ: "يَكْفُرْنَ الْعَشِيرِ. وَبِكفْرِ الإِحْسَانِ. لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَىَ إِحْدَاهُنّ الدّهْرَ، ثُمّ رَأَتْ مِنْكَ شَيئاً، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْراً قَطّ". رواه مسلم [١].

وعن زيد بن ثابت قال: بينما رسول الله ﷺ في حائط لبنى النجار على بغلة له ، ونحن معه، إذا حادت به وكادت تلقيه . وإذا اقبر ستة أو خمسة ، فقال: " من يعرف أصحاب هذه الأقبر ؟ " . قال رجل: أنا. قال " فمتى ماتوا ؟ " . قال: في الشرك ، فقال: " إن هذه الأمة تُبْتَلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه ". رواه مسلم [٢].

وقالﷺ: " والله ! لو تعلمون ما أعلم ، لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم

---

١) المرجع السابق – ٦ / ٢٠٧ .

٢) مشكاة المصابيح – كتاب الإيمان – باب إثبات عذاب القبر – ١ / ٤٦

كثيراً ، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى " رواه الترمذي [١].

جاءني أطباء وكلمتهم في عذاب القبر، قالوا: ما فهمنا شيء ؟ قلت لهم: لماذا ؟ قالوا: لأنه لا يُرى. فقلت لهم: الإنسان يأكل الطعام يدخل المعدة ، ثم يتحلل إلى دم ليغذي الجسد، فإذا زاد شيء عن تناسبه جاء المرض، فيذهب إلى طبيب التحاليل، فيقول له: عندك نسبة عالية في السكر، أو عندك نسبة عالية من الأملاح، وقلت لهم: أريد أن تخرجوا من جسد الإنسان قليل من السكر، فقال طبيب: هذا الأمر صعب يحتاج إلي مراحل كثيرة . فقلت لهم: عُلم من هذا أن السكر موجود يُرى وهو في الخارج، ولا يُرى وهو في الداخل، والملح موجود يُرى وهو في الخارج، ولا يُرى وهو في الداخل. كذلك البساتين والأفاعي والعقارب والنار على نوعين: نوع: نراه في الأرض . ونوع : في البرزخ لا يُرى ، فنحن لا نستطيع أن نحقق ونصل بالعقل بل نحن نعلم بالوحي ، بأي عمل يكون القبر روضة من رياض الجنة، وبأي عمل يكون القبر حفرة من حفر النار، فقال الأطباء: فهمنا.

بل نحن لا نُريد أن يفهم الناس فقط ، بل يميل الناس إلى الآخرة

---

١) رياض الصالحين – باب الخوف .

وينشغلوا بها عن الأسباب الدنيوية، ولا يكون عندهم الحرص على شهوات الدنيا، بل يكون الحرص على دين الله ﷻ .

زادت الأشياء وزادت المصائب، ويزول الأمن يوماً فيوم ، ولا تستقيم الإنسانية إلا إذا قامت حياة النبي ﷺ وليس هذا الجهد أربعين يوماً .. أربعة شهور .. ابتعدنا وابتعدنا حتى نسينا فهذا حتى تفهم أن هذا الجهد وهذا العمل كان عملنا وجهدنا .

فحياة الصحابة رضى الله عنهم أجمعين كانت فقط للآخرة، حتى الكفرة تأثروا بحياتهم. جيوشهم أقل من جيوش الأعداء ولكن في كل موطن ينتصرون عليهم . وتحير الأعداء لماذا ينتصرون علينا ؟ !! وبعثوا الجواسيس فجاءت وقالت : من أجل أنهم يقومون الليل .. يصومون النهار .. يتناصفون بينهم .. ألخ .

﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ (١) ، ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (٢) .

الجواسيس وصفوا صفاتهم ، ولم يصفوا أسبابهم .

ولما استنجد يزدجرد – ملك الفرس – بملك الصين : لما تَحَيَّرَ فِي أَمْرِهِ مَاذَا يَصْنَعُ؟ وَإِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ؟ وَقَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ بَعْضُ أُولِي النُّهَى مِنْ

---

١) سورة الذاريات – الآية ١٧ .

٢) سورة السجدة – الآية ١٦ .

قَوْمِهِ حِينَ قَالَ: قَدْ عَزَمْتُ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى بِلَادِ الصِّينِ أَوْ أَكُونَ مَعَ خَاقَانَ فِي بِلَادِهِ. فَقَالُوا: إِنَّا نَرَى أَنْ نُصَانِعَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَدِينًا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، فَنَكُونَ فِي بَعْضِ هَذِهِ الْبِلَادِ وَهُمْ مُجَاوِرِينَا، فَهُمْ خَيْرٌ لَنَا مِنْ غَيْرِهِمْ. فَأَبَى عَلَيْهِمْ كِسْرَى ذَلِكَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى مَلِكِ الصِّينِ يَسْتَغِيثُ بِهِ وَيَسْتَنْجِدُهُ، فَجَعَلَ مَلِكُ الصِّينِ يَسْأَلُ عَنْ صِفَةِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَدْ فَتَحُوا الْبِلَادَ وَقَهَرُوا رِقَابَ الْعِبَادِ، فَجَعَلَ يُخْبِرُهُ عَنْ صِفَتِهِمْ، وَكَيْفَ يَرْكَبُونَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَمَاذَا يَصْنَعُونَ، وَكَيْفَ يُصَلُّونَ. فَكَتَبَ مَعَهُ إِلَى يَزْدَجِرْدَ، إِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَبْعَثَ إِلَيْكَ بِجَيْشٍ أَوَّلُهُ بِمَرْوَ وَآخِرُهُ بِالصِّينِ الْجَهَالَةُ بِمَا يَحِقُّ عَلَيَّ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ وَصَفَ لِي رَسُولُكَ صِفَتَهُمْ ؛ لَوْ يُحَاوِلُونَ الْجِبَالَ لَهَدُّوهَا، وَلَوْ جِئْتُ لِنَصْرِكَ، أَزَالُونِي مَا دَامُوا عَلَى مَا وَصَفَ لِي رَسُولُكَ، فَسَالِمْهُمْ وَارْضَ مِنْهُمْ بِالْمُسَالَمَةِ. فَأَقَامَ كِسْرَى وَآلُ كِسْرَى فِي بَعْضِ الْبِلَادِ مَقْهُورِينَ، وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبُهُ حَتَّى قُتِلَ بَعْدَ سَنَتَيْنِ مِنْ إِمَارَةِ عُثْمَانَ، كَمَا سَنُورِدُهُ فِي مَوْضِعِهِ[١].

أعمالهم .. أخلاقهم .. كانت طيبة .. كان في أخلاقهم الإيثار .. الإنابة .. التقوى .. الخوف من الله ﷻ .. قيام الليل .. فكانت أبواب السماء مفتوحة لهم ، فلا يستطيع أحد أن يقاتل هؤلاء القوم لأنهم على صفات مرضية ، لأنهم يحبون الموت كما نحب الحياة، يحبون الموت

---

١) البداية والنهاية لابن كثير .

كما نحب العسل .. هكذا قال أعداؤهم .

ولما سألوا الرهبان: بأي طريقة نغلب عليهم، وكيف ترفع نصرة الله ﷻ التي معهم ..؟ قال الرهبان: الطريق موجود، واجتهدوا لإزالة صفات النبي ﷺ ، فعندما يبعدوا عن حياة القرآن، وحياة النبي ﷺ، ترفع نصرة الله ﷻ عنهم ، وتنزل عليهم نقمة الله ﷻ ، فحينئذٍ تغلبون عليهم .

وما حدث في القدس، عندما أرسل الأعداء جواريهم مزينات بالحلل والحلي وأمروا الجواري: أن لا يمنعن أنفسهن عنهم ، بل كل واحدة تراود وتحاول ، وأمروا أهل الدكاكين أن لا يمنعوا أحداً يأخذ شيئاً منهم .. فكانت الخطة أن يوقعوهم فى أمرين : أكل الحرام ، والزنا .

وفى زماننا هذا أعداء الله أعقل منهم، هم ما أرسلوا في المسلمين بناتهم فقط ، بل قاموا بتربية بنات المسلمين على حياة الكفرة فانتشرت حياة الكفرة في المسلمين .

ولكن هذا الجهد الذى قمنا من أجله ، وقام فينا لا يستطيع أهل الباطل ، بل الكون كله أن يقف أمامنا . قال تعالى ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذا هُوَ زَاهِقٌ﴾ (١) .

فطرق الباطل تنتهى بشرط أن يحيى طريق النبي ﷺ .. فإن لم يكن الحق موجود في حياتنا فبماذا يقذف الله ﷻ على الباطل ؟!!! ، فنجتهد

---

١) سورة الأنبياء – الآية ١٨ .

(ليل .. نهار) ، فالله ، ودود .. رحيم .

إذا قلت لكم: قوموا بهذا الجهد، فلا تنشغلوا بالرزق ، رفعت الأقلام وجفت الصحف ، وما كان لنا فلن يفوتنا .. بل الدنيا نجعلها تحت أقدامنا .. فإذا قدِّم الدين على الدنيا تصبح الدنيا دين .. وإذا قُدِّمت الدنيا على الدين ، فالشهيد والعالم والقارئ والمنفق يكون في النار لأن دينه أصبح دنيا .

ليس مقصود الدعوة ترك الأشياء.. بل تدمير الشيء الحرام الذي دخل في الأشياء .

وإذا كانت الدنيا فوق رؤوسنا ترفع عنا نصرة الله ﷻ .

ولقد اجتهد الكفار على المسلمين عن طريق العلوم الدنيوية لإبعادهم عن القرآن والدين ، وفى الجامعات قالوا لهم : أنتم رجال وهم رجال ، فافهموا القرآن بعقولكم ، يريدوا أن يبعدونا عن حياة الرجال (الصحابة رضى الله عنهم أجمعين) الذين كانوا ينزل عليهم القرآن وهم يطبقون ، وشاهدوا الأحوال وقد مرت بهم ، فكانوا ميداناً عملياً لتطبيق الدين ، لا يستطيع أحد أن يفهم مثل ما فهموا ، وقد أُمرنا باتباعهم . قال تعالى ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ ﴾ [١] .

فالترتيب الذى جاء به النبي ﷺ والصحابة الكرام رضى الله عنهم

---

١) سورة التوبة – الآية ١٠٠.

أجمعين أُمرنا أن نمشى به إلى يوم القيامة ، كان النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل ليحيى حياة الإسلام وكل وا حد يراه ، وكانت تأتى عليه الشدائد والمشقات ، والله ﷻ وصف حياة أصحاب النبي ﷺ ورضى الله عنهم أجمعين ، والله ﷻ شهد لهم بالصدق ، قال تعالى﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (١) .

ما اجتهد الصحابة للملك ولا للمال ، بل لرضوان الله ﷻ ، فجاءهم الملك والمال ، فمن يجتهد لله يأتيه الملك والمال ويكون جهده مقبول ، ومن اجتهد للملك والمال لا يأتيه هذا ولا ذاك ويكون جهده مردود .. فأساس الجهد النفس والمال ، وليس على الملك والمال .

البذر استوى واستغلظ على سوقه في عهد النبي ﷺ وأبو بكر الصديق ﷺ .. وفى عهد عمر ﷺ جاءت الثمار .. ولما خُيَّر النبي ﷺ .. إن شئت نبياً عبداً ، أو نبياً ملكاً .. اختار العبودية ' قال : " بل نبياً عبداً " ، يُعرض عليه : جبال تهامة ، ذهب ، وزمرد ، وياقوت ، فيرفض وهو جوعان .

لذا انتصر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، عندما جاء فيهم

---

١) سورة الحشر – الآية ٨.

الدين الحقيقي .

مضى ، قارون ، وفرعون ، وهامان ، وسيأتي الدجال ، ويأجوج ومأجوج ، وأكبر فتنة هي فتنة الدجال أعادنا الله ﷻ منها ، والله ﷻ يدمر قوته وينجى أهل الإيمان ، ويأجوج ومأجوج الله يدمرهم .

عامة أهل الدين هم أهل الفقر والمسكنة ، ولما يأتي فيهم قوة الدين تكون معهم نصرة الله ﷻ ، ولو جاء الدجال ويأجوج ومأجوج ، فالله ﷻ يدمرهم ، لأن أهل الدين معهم الله ﷻ فالله يدافع عن الذين آمنوا .

الله ﷻ أعطى داوود وسليمان الملك ، وأعطى أيوب المال ، وفى ذلك إشارة إلى أن كل واحد يستطيع يقوم بجهد الرسول ﷺ ، ليس الفقراء فقط .

عامة أهل الدين فقراء ، ليعرف الناس ؛ أن الدين ليس مربوط بالملك والحكومة والمال .

نزلت نصرة الله ﷻ الغيبية على بنى إسرائيل في البحر ، وفى التيه أنزل الله ﷻ لهم المنَّ والسلوى ، وذلك بسبب صفاتهم المرضية عند الله ﷻ .

والله ﷻ دمر كسرى ، وقيصر، ويزدجرد ، لما جاء الحق عند أصحاب النبي ﷺ ، لما خرجت الدنيا من قلوبهم .. والله ﷻ ينصر أهل الإيمان على يأجوج ومأجوج ، روى الحاكم من حديث حذيفة ﷺ مرفوعاً

بعد أن ذكر قتل عيسى عليه السلام للدجال ، وكسره للصليب ، وقتله الخنزير ، ووضعه الجزية ، قال : " فبينما هم كذلك، أخرج الله تعالى يأجوج ومأجوج ".

وفى حديث النواس بن سمعان : " فيوحي الله سبحانه وتعالى إلى عيسى بن مريم عليه السلام أنى قد أخرجت عباداً من عبادي لا يدان أحد من عبادي لقتالهم فحرز عبادي إلى الطور فيبعث الله سبحانه وتعالى يأجوج ومأجوج وهم كما قال الله عز وجل ﴿ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُون ﴾ (١) ، وهم من ولد آدم عليه السلام ، ولو أرسلوا على الناس لأفسدوا معايشهم ، ولا يموت الرجل منهم إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً وأن من وراءهم ثلاث أمم ما يعلم عدتهم إلا الله سبحانه وتعالى " (٢).

" ولا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه ، مقدمتهم بالشام وساقتهم بالعراق ، يشربون أنهار المشرق ، وبحيرة طبرية " (٣).

وروى الشيخان عن زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها قالت: أن النبي ﷺ دخل عليها فزعاً يقول : " لا إله إلا الله ، ويلٌ للعرب من

---

١) سورة الأنبياء – الآية ٩٦ .

٢) رواه عبد بن حميد ، وابن المنذر ، والطبرانى ، وابن مردوية ، والبيهقى فى الشعب ، وابن عساكر عن ابن عمرو (سبل الهدى والرشاد – ١٠ / ٦٣٩)

٣) رواه بن أبى حاتم ، وابن مردوية ، و ابن عدى ، وابن عساكر عن حذيفة رضى الله عنه (سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد – ١٠ / ٦٤٢)

شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلَّقَّ بأصبعيه الإبهام والتي تليها فقلت يا رسول الله : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : " نعم . إذا كُثر الخبث " (متفق عليه) [١].

فيأتون بيت المقدس، فيقولون: قد قتلنا أهل الدنيا ، فيرمون بنشابهم إلى السماء فترجع مخضبة بالدماء للبلاء والفتنة ، فيقولون: قد قتلنا من في السماء . ويحضر نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام وأصحابه ، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خير من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرسل الله سبحانه وتعالى النغف في أعناقهم، فيصبحون فرسى كموت رجل واحد ، ثم يهبط نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب عيسى بن مريم عليه السلام إلى الله سبحانه وتعالى، فيرسل عليهم طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ويستوقد الناس من قِسيِّهم ونشابهم سبع، ويرسل الله المطر لا يكن منه بيت ولا مدر ولا وبر أربعين يوماً فيغسل الأرض حتى يتركها زلقة ، ويقال للأرض: انبتي ثمرك وردي بركتك، فيومئذٍ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس،

---

١) مشكاة المصابيح – باب البكاء والخوف – ٣ / ١٤٦٧ .

واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس ". رواه مسلم [١].

ويكون طعام عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين كطعام الملائكة التسبيح والتهليل .

الله عز وجل أهلك النمرود ببعوضة عرجاء، وأهلك أبرهة الحبشي وجيشه بطير أبابيل .

فنسلم قلوبنا لله عز وجل ونجعل حياتنا لإحياء أمر الله عز وجل ، ونطوف البلاد لنجرّ الإنسانية إلى الله عز وجل .

الدجال يمهل أربعين يوماً ، ويأجوج ومأجوج لا يمهلون كلهم يموتون، فتأتى طيور لتحمل أجسادهم إلى مكان يعلمه الله ، وينزل المطر ليطهر الأرض منهم .

الله عز وجل أظهر قوته في الزمن الأول، وفى الزمن الآخر ، فكيف بذلك الوقت.

طوبى لعيش بعد المسيح ، يأمر الله سبحانه وتعالى السماء أن تنزل قطرها ، والأرض ثمرتها ، ويجتمع العصابة من الناس تحت قحف الرمانة ، ويلعب الصبي بالحية فما تضره ، وذلك بسبب الدين الذي معهم .

---

١) من حديث رواه مسلم – انظر كتاب رياض الصالحين – باب المنثورات والملح ، ومشكاة المصابيح كتاب الفتن . باب العلامات بين يدي الساعة وذكر الدجال ١٥٠٧/٣ .

النبي ﷺ أعرض كل الإعراض أن يكون أساس الدين الملك والمال ، فما قبل جبال تهامة ذهباً ، واختار العبودية ، واختار أن يكون أساس الدين هو بذل القوى والتضحية ، وإذا جاء المال ، فلننظر إلى حياة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعهده كانت وقت الثمار .

الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ما كان عندهم الكلام الكثير ، بل كان عندهم الاستعداد ، يسمعون كلمة يقومون بالعمل ، ولما خرجت هذه الحياة منا نحتاج إلى كلام طويل حتى يأتي فينا .

ربعي بن عامر رضي الله عنه كيف دعا رستم ... ؟ (نحن قوم ابتعثنا الله ﷻ لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ﷻ ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، وأرسلنا بدينه إلى خلقه ... كلمات بسيطة لأن الحياة كانت موجودة .. والكفرة كانوا ينظرون إلى حياتهم .

مكر الكفار إما بالملك أو بالمال أو بالنساء أو التخويف والذى يأتى عنده اليقين لا يخاف من أحد ، ولا يحرص على الملك والمال .. ربعي ما تأثر بأشياء رستم قائد الفرس بل مزق عامة الزينة التي زينوا بها مجلس رستم .

- نخرج في سبيل الله ﷻ حسب الأحوال ؟ هذا تبليغ ميت، بل نخرج خلاف الأحوال .

- الصحابة رضى الله عنهم أجمعين لم يكونوا متكلفين ، كل واحد كان يؤثر أخيه على نفسه فكانت بينهم المحبة والألفة ، الآن الأموال موجودة ولكن المشاكل تزداد يوماً بعد يوم .

- لعل قائل يقول : لماذا ندعو المسلمين ، الدعوة للكفار ؟ النبي ﷺ علمنا بعد الآذان الدعاء " اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ... " فنحن أمة الدعوة والدعوة لنا .

وعن ابْنَ عَبَّاسٍ ، يَقُولُ : " لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ ، قَالَ لَهُ : إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ ، فَإِذَا صَلَّوْا ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ ، فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ ، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ " [١]. فهل ندعوهم الآن للإسلام الذي عندنا ، أم الذي كان عند الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ..؟

فإذا دعوناهم للإسلام الذي عندنا، فليس فينا الحياة حتى نقول للناس، كما قال الصحابة رضي الله عنهم أجمعين : كونوا مثلنا ، فليس

---

١) صحيح البخاري» كِتَاب التَّوْحِيدِ» بَاب مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ _ رقم الحديث (٦٨٤٨).

فينا الصفات .. ولو دعوناهم لحياة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين لقالوا : لو كنتم على خير فأنتم أحق بهذا منا .

فلو عندنا الأعمال الصالحة لدخلت الإنسانية في الإسلام فوجاً، فوجا، وجاءت فينا الحياة الإسلامية ، لأن الدعوة العملية أقوى بكثير من الدعوة الكلامية.

الصحابة رضى الله عنهم أجمعين .. ثلاث عشرة سنة في مكة يتعلمون (كفوا أيديكم) فجاء عندهم الصبر ، ولما انتقلوا إلى المدينة (خذوا حذركم) .

فليس مقصود الإسلام قتل الكفار، فلذلك كان الأمر الثاني بعد الدعوة للإسلام ، فإن لم تقبلوا منا : أن تدفعوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون .. فالحياة الإسلامية أولى أن تكون عملياً ، من كان عنده الإسلام يكون عزيزاً ، ومن لم يدخل في الإسلام يكون ذليلاً . يدفعوا الجزية ويكونوا في ذمة المسلمين .

ربعي يقول هذه المقالة مع رثاثة لباسه وأمامه جيش عدده ١٨٠ ألف مدججين بالسلاح " تعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون .

لأنه يعتمد على ما وراءه من نصرة الله ﷻ وهذه الدعوة تُسمى الدعوة العملية ، لما يعاشروا المسلمين فيروا صفاتهم فيدخلون في الإسلام .. فكانت الجزية مقصدها الدعوة، وما كان مقصد خروج

الصحابة في سبيل الله قتل الكفار، بل لإخراجهم من الجحيم إلى الجنة، فإذا رفضوا فليس لهم أمان .. بل الأمان في أيد المسلمين .

المرحلة الثالثة : إذن يكون القتال .. ويكون له شروط : لا تقتلوا راهب في صومعته ، ولا النساء ، ولا الأطفال ، ولا تحرقوا الأشجار .. وهذه الشروط شديدة ولكنهم تعلموا الصبر في الزمن المكي (كفوا أيديكم) .

لما رفضوا الإسلام .. الجزية .. فأخرج ربعي سيفه من غمده وقال : هذا يفصل بيننا وبينكم .

المسلمون ستة وثلاثون ألفاً والأعداء مائة وثمانون ألفاً، ولكن الأعداء ينظرون إلى جنود الله ﷻ لا ينامون بل مستعدون (رهبان بالليل، فرسان بالنهار) ، فقال: كم تمهلنا؟ فقال ربعي: ما سن لنا رسول الله ﷺ ؛ أن نمهل عدونا فوق ثلاثة أيام وهذا يوم مضى، وبقى يومان.

فالصحابة رضي الله عنهم أجمعين كانوا رجال " قدوة لنا " لذا نقوم بالدعوة إلى الله ﷻ .

ولابد من منهج النبوة في الدعوة إلى الله ﷻ ، فلا ننجح إلا بطريق الأنبياء، ونتحرك حتى تقوم الأمة على مقصدها ، ولا نخاف من هذه الفتن، ولا نيأس من هذه البيئة .

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذا هُوَ زَاهِق ﴾ (١)(٢).

---

١) سورة الأنبياء – الآية ١٨ .

٢) محاضرة ألقيت يوم السبت – الموافق ١٩٨٧/١١/٧ – باجتماع رايوند بباكستان.

فتوحات ربانية

قال تعالي: {الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ }[١].

فالقرآن كتاب هداية، ويبين لنا طريق الرشد والصواب في كل حال من الأحوال، سواء كانت هذه الأحوال عالمية اجتماعية، أو عائلية، أو بيتية، أو كسبية، أو انفرادية .

وهذا القرآن نور وشفاء، قال تعالي : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا }[٢].

وقال تعالي: { قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }[٣] .

وقال تعالي: { وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }[٤].

---

١) سورة البقرة _ الآيتان ١ ، ٢ .
٢) سورة النساء _ الآية ١٧٤
٣) سورة المائدة _ الآيتان ١٥ ، ١٦ .
٤) سورة الأعراف _ الآية ١٥٧ .

وقال تعالي: { فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ }[١] .

وقال تعالي: { قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ }[٢]، ولكن كل واحد يستنير ويستفيد، ويحصل له الشفاء بهذا القرآن علي قدر معرفته بالله ﷻ ومحبته لخالقه، وخشيته له ﷻ .

فالهداية والشفاء علي قدر الإيمان، فإن كان الإيمان حقيقيا وقويا، فالهداية والإيمان كذلك .

وليس بلازم أن كل من يقرأ القرآن يستنير به، فإن كان في قلبه حب الدنيا، ونقصت معرفته بالله ﷻ، ويتبع الشهوات النفسانية ، فيضل به كما قال الله عز وجل : { يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ }[٣].

القرآن رسالة من الله ﷻ إلي خلقه، وإن سأل سائل: ما هو موضوع القرآن وعنوانه ؟ قلنا: موضوعه وعنوانه: ذكر الله ﷻ ، قال

---

١) سورة التغابن _ الآية ١٠٨ .
٢) سورة فصلت _ الآية ٤٤ .
٣) سورة البقرة _ الآية ٢٦ .

تعالي : {هَذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ }(١).

والله ﷻ داعٍ، قال تعالي : {وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }(٢) ، وقال تعالي :{ وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ }(٣).

ونبينا ﷺ داعٍ إلي الله، كما قال الله ﷻ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا }(٤).

فلا يفهم القرآن إلا في ميدان الدعوة والتضحيات للدعوة إلي الله .

الله تبارك وتعالي علمنا الدعاء وطريقة الدعاء في سورة الفاتحة ، وكان الشيخ محمد يعقوب نانوتوي (رحمه الله) يقول: كل دعاء من الأدعية التي ذكرت في القرآن الكريم ، يرجى أن يستجاب يقينا ، وقد علمنا ﷻ الأدعية القرآنية ليستجيب لنا وكان يضرب علي ذلك المثال ، فيقول :أن رجلا أميا ذهب إلي موظف في الإدارة ، وعرض عليه حاجته ، فقال الموظف : لا بد أن تقدم إلينا الطلب تحريرا فقال الرجل أنا أمي

---

١) سورة إبراهيم _ الآية ٥٢ .
٢) سورة يونس _ الآية ٢٥.
٣) سورة البقرة _ الآية ٢٢١ .
٤) سورة الأحزاب _ الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .

لا أعرف الكتابة، فأخرج الموظف القلم من جيبه وكتب علي الورقة طلبه ، وقال اذهب بهذه الورقة ، وانقل الطلب من هذه الورقة ثم قدمه إليَّ غدا ، فهو فعل هكذا ثم قدم الطلب إليه، فوقع عليه من الفور، لأنه هو الذي علمه طريقة تقديم الطلب، فمعناه أنه كان يُريد القبول، ولكن رعاية للنظام ، أمره بنقل الطلب وتقديمه إليه ، فكذلك الأدعية المذكورة في القرآن ، هي أحق أن يستجاب، إلا أن الله ﷻ يريد أن نقدمها إليه تعالي بألسنتنا رعاية لنظامه {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } (١) فعلمنا الله ﷻ الدعاء المهم ، قال تعالي : {اهدِنَـا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ } (٢) وبينه في آية أخري ، قال تعالي : {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا } (٣).

فما هو صراط الأنبياء ؟

---

١) سورة غافر _ الآية ٦٠ .

٢) سورة الفاتحة _ الآيتان ، ٧ .

٣) سورة النساء _ الآية ٦٩ .

إن صراطهم واضح فإنهم لم يبعثوا إلا للدعوة إلي الله كما قال الله ﷻ : {رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا }(١).

وقال تعالي : { ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاء أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ }(٢).

وقال تعالي : {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاء أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ }(٣).

وإن الله عز وجل ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام في القرآن وذكر دعوتهم تعليما لأمة محمد ﷺ كيف تدعوا إلي الله ، فلو أردنا أن نقدم الدعوة إلي الله للقوم الذين يغترون بكثرة عددهم ، فنقرأ دعوة سيدنا نوح عليه السلام ، كيف دعا قومه إلي الله:

قال تعالي : { إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا

---

١) سورة النساء _ الآية ١٦٥.

٢) سورة المؤمنون _ الآية ٤٤.

٣) سورة غافر _ الآية ٧٨.

اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاء لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا }(١) ، ثمُ يسمع الله دعوته في دعائه ، الله ﷻ يعلمنا بهذه القصة أن نُسمع الله دعوتنا في دعائنا الانفرادي مع أن الله قد سمعها وعلمها ، ومع هذا نُسمعه دعوتنا لتزداد محبتنا مع الله ، وتقوي علاقتنا مع خالقنا.

ثم قال نوح عليه السلام :{ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا * مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ

١) سورة نوح _ الآيات من ١ : ٩.

الْأَرْضِ نَبَاتًا* ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا }(١).

ثم الله ﷻ ذكر نتائج دعوة الأنبياء عليهم السلام ، و عاقبتها و إنجاء المؤمنين وإهلاك المكذبين و ذكر دعوة الأنبياء تثبيتا لفؤاد الرسول ﷺ و لكل من يسلك سبيل الدعوة إلي الله ﷻ، كما قال الله ﷻ :{ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ }(٢).

ثم الله ﷻ علمنا كيف ندعو إلي الله أولى القوة الذين يفتخرون بقوتهم المادية بدعوة هود عليه السلام الذي بعث إلي قوم عاد ،{ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ * وَأَمَّا ثَمُودُ

---

١) سورة نوح _ الآيات من ١٠ :٢٠ .

٢) سورة هود_ الآية ١٢٠.

فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }(١) .

وقال تعالي : { وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ}(٢).

فصراط الأنبياء عليهم السلام هو الدعوة إلي الله ﷻ و ندعو في كل ركعة من ركعات الصلاة (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ) و أول مظهر من مظاهر المنعم عليهم هم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كما هو مذكور في القرآن كله مفصلا.

وبين الله ﷻ سبيل الرسول ﷺ في قوله تعالي : {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٣).

وقد ذكر الله ﷻ دعوة الأنبياء عليهم السلام إجمالا في بعض السور ، وتفصيلا في البعض الآخر .. تعليما لأمة محمد ﷺ طرق

---

١) سورة فصلت _ الآيات من ١٥ : ١٧.
٢) سورة الحاقة_ الآيات من ٦ : إلي ٨ .
٣) سورة يوسف _ الآية ١٠٨

الدعوة وأساليبها وحكمها والعقبات التي تمر علي الدعاة في سبيل الدعوة ونتائجها وفوائدها وتأثيراتها علي المجتمع ، وقد ذكر الله ﷻ دعوة صالح عليه السلام كما قال الله : { وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ * قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةً مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ * وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ * فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ * فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ * وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا لِّثَمُودَ

}(١) وكان قوم ثمود من أهل الصناعة والحرفة ، فالذين آمنوا أنجاهم الله ﷻ، والذين كذبوا دعوته أهلكهم الله .

وكيف ندعو التجار إلي الله : فذكر الله ﷻ، دعوة شعيب عليه السلام الذي بُعث إلي أهل مدين ، مفصلا في قوله تعالي : { وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ * وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّةُ اللّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ * قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ }(٢).

---

١) سورة هود_ الآيات من ٦١ : إلي ٦٨ .

٢) سورة هود_ الآيات من ٨٤ : إلي ٨٨ .

إلي آخر ما ذكر الله قصته، وكانت نتيجة دعوته إنجاء المؤمنين، وإهلاك المكذبين، في قوله تعالي: { وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ }(١).

وذكر الله ﷻ دعوة موسي عليه السلام ، مجملة ومفصلة في كتابه العزيز، وكان جهده علي المسلمين العصاة ، وهم بنو إسرائيل ، وعلي الكفار وهم الفراعنة ، فعلمنا الله ﷻ كيف نجتهد علي المسلمين العصاة وعلي الكفار بقصة موسي عليه السلام.

ثم إن قصصهم لتثبيت الفؤاد، كما قال الله تعالي: { وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ }(٢).

فكان موضوع بعثة الأنبياء عليهم السلام الجهد علي الأمم والأقوام لربطهم مع خالقهم ، ولترسيخ التوحيد وعظمة الله وكبريائه في قلوبهم ، نعم من لوازم جهد الأنبياء عليهم السلام الجهد علي النفس ، حتي تزداد وتتقوي علاقة

---

١) سورة هود_ الآيتان ٩٤ ، ٩٥ .
٢) سورة هود_ الآية ١٢٠ . .

الداعي شخصيا مع الله ﷻ ، والداعي لا ينسي نفسه بسبب الفكر للإنسانية كلها ، ولا يشتغل بالجهد علي نفسه بحيث يغفل عن مسئوليته ، وعن فكره للإنسانية ، لأن الله ﷻ أنزل سورتين ، سورة المدثر لبيان الدعوة إلي الله ، وسورة المزمل لزيادة علاقة الداعي مع الله شخصيا وانفراديا ، كما قال عز وجل : { يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلًا * إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا * وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا }(١).

فلا بد للداعي من التبتل إلي الله، وهذا من لوازم الدعوة إلي الله.

كيف يعرف الداعي أنه من المقبولين عند الله ؟

دليل قبولية الداعي عند الله إذا وجد نفسه يحب الخلوة مع الله والأنس به ، ولا يريد أن يحول بينه وبين الله أحد ، ويستلذ بالمناجاة مع الله ، وبطول القيام في الصلاة وبطول الركوع والسجود ، وبذكر الله عز وجل ، وبتلاوة القرآن الكريم ، مصداقا لقول الله تعالي: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ

١) سورة المزمل _ الآيات من ١ : ٨.

آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ }(١).

ومع هذا التبتل والقنوت لله، لا بد أن ينغمس في خلق الله ويسبح في بحر الناس، لإخراجهم من الظلمات إلي النور، ومن الكفر والشرك إلي التوحيد، ومن البدعة إلي السنة، ومن المنكرات إلي المعروفات امتثالا لأمر الله ﷻ : { ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ }(٢).

ويقوم بالدعوة إلي الله تعالي في خلقه ، خلاف النفس (كره النفس) فهذا إن شاء الله من المقبولين ، وهذا مرتبط مع الله عز وجل ، ويربط الإنسانية مع الله ﷻ لا مع نفسه، أما الآخر الذي لا قدر الله ولا سمح الله إذ هو يستأنس بالناس، ولا يستأنس بالله ، ولا يتبتل إلي الله تبتيلا، بل يستوحش من الخلوة مع الله ﷻ ، ومن المناجاة مع الله طويلا ، ومن ذكر الله وتلاوة القرآن، وتزداد الأمراض الشهوانية في نفسه من حب المال وحب الجاه والحسد والبغضاء والشحناء ويستأنس بالكلام مع الناس

---

١) سورة الزمر _ الآية ٩ .

٢) سورة النحل _ الآية ١٢٥ .

وبطول الجلسات مع الناس، فهذا غير مرتبط بالله ولا يربط الإنسانية مع الله، بل يربطهم مع نفسه، فدعوته غير مقبولة عند الله .

فندعو الله ﷻ في سورة الفاتحة: (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ) وأولهم الأنبياء وصراطهم الدعوة إلي الله ﷻ، ولكن ليس مجرد الدعوة، بل الدعوة بصفاتها المطلوبة عند الله من التواضع والخشية لله والرحمة والشفقة علي الخلق والأنس بالله والتبتل إلي الله وقيام الليل عملا بقوله تعالي: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ }(١).

وغيرها من الصفات الحميدة المحبوبة عند الله، وقد ذكر الله ﷻ بعض صفات الأنبياء عليهم السلام، مثلا قال في شأن أيوب عليه السلام : { إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ }(٢).

وقال في شأن إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام: {وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ }(٣).

---

١) سورة الشرح _ الآيتان ٧ ، ٨ .

٢) سورة ص _ الآية ٤٤.

٣) سورة ص _ الآيات من ٤٥ : ٤٧ .

وقال في شأن إبراهيم عليه السلام:{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الْدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ }(١).

وقال الله تعالي : {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ }(٢).

وقال في شأن زكريا ويحي عليهما السلام : {وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ }(٣).

وذكر الله تعالي من شأن الأنبياء عليهم السلام وصفاتهم علي سبيل العموم أنهم ما كانوا يفتخرون بدعوتهم ، وما كانوا يعجبون بدعوتهم ، بل كانوا يستغفرون الله بعد الدعوة .

ويذكر الله تعالي ما عندهم من الحرص علي الهداية ، كما قال الله تعالي : { وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا

---

١) سورة النحل _ الآيات من ١٢٠ : ١٢٢ .
٢) سورة هود _ الآية ٧٥ .
٣) سورة الأنبياء _ الآيتان ٨٩ ، ٩٠ .

كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }(١).

حتي أن الله ﷻ أخبر النبي ﷺ بنزول النصرة الغيبية ودخول الناس في دين الله أفواج، وأمره بالتسبيح والتحميد والاستغفار في نهاية جهده، مع أن التقصير في آداء الواجب، لا يمكن ولا يُتصور من الأنبياء عليهم السلام، ومن إمام الأنبياء ﷺ ، ومع ذلك كانوا يستغفرون الله في نهاية جهدهم ، وأمر الله ﷻ لنبيه بالاستغفار، ليس بسبب أنه كان مقصرا في جهده والعياذ بالله، بل تعليما لهذه الأمة ، وأن هذه الأمة داعية إلي الله ، كما قال الله ﷻ: جهد الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أمة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٢).

والأنبياء عليهم السلام معصومون وأفراد هذه الأمة غير معصومين، نعم إن الأمة من حيثُ الأمة معصومة كما ورد في الحديث: " لا تجتمع أمتي على ضلالة "(٣)

---

١) سورة آل عمران _ الآيات من ١٤٦ : ١٤٨.

٢) سورة آل عمران – الآية ١١٠ .

٣) قد ورد بروايات عديدة؛ فقد رواه أحمد (٢٥٩٦٦) والطبراني في الكبير (٢١٧١) عن أبي بصرة الغفاري، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن

ولكن أفرادها من حيثُ الانفرادية غير معصومين كما جاء في الحديث عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ "(١).

فالأمة أولي بالاستغفار، قال الله ﷻ : إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا }(٢).

فالحاصل أن صراط الأنبياء عليهم السلام هو الدعوة إلي الله ، ولكن ليس مجرد الدعوة ، بل بصفاتها ولوازمها المقبولة ، والمطلوبة ، والمحبوبة عند الله عز وجل.

ودلائلها، حديث رقم ٤٢٥٣. وأخرجه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب السواد الأعظم، حديث رقم٣٩٥٠ ، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله انظر السلسلة الصحيحة – مختصرة – جـ ٣ / ٣١٩.

١) أخرجه الترمذي [٢٤٩٩]، وابن ماجه [٤٢٥١]، وأحمد [٣/١٩٨]،وعنه المزي في تهذيبه[١٣١/٢١] ،والحربي في غريب الحديث [٢/٧١٩]، وابن أبي شيبة [٣٤٢١٦]، وعبد بن حميد في المنتخب [رقم ١١٩٧]، وابن حبان في المجروحين [٢/١١١]، والحاكم [٤/٢٧٢]،وابن عساكر في التوبة [رقم ٠١]، والكلاباذي في بحر الفوائد [رقم ٣٢٦]، وغيرهم من طرق عن زيد بن الحباب عن علي بن مسعدة عن قتادة عن أنس به ... وزاد أحمد وحده : (ولو أن لابن آدم واديين من مال لابتغى لهما ثالثًا، و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب. وصححه الحاكم ، وحسنه الألباني .

٢) سورة النصر – الآيات من ١ :٣ .

وفقنا الله وإياكم أن نجعل مقصد حياتنا إعلاء كلمة الله في العالم لتكون كلمة الله العليا، وكلمة الكفر هي السفلي، ورزقنا الله وإياكم الصفات المرضية عند الله في سبيل الدعوة، وأعاذنا الله وإياكم من شرور النفس، ومن مضلات الفتن، ما ظهر منها وما بطن، ومن الرذائل الروحانية كلها آمين .

الصنف الثاني : من المُنعم عليهم هم (الصديقون):

من يتبع النبي ﷺ كل الإتباع، ويصبغ بصبغته، مثل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فقد استجاب لدعوة النبي ﷺ بلا تأمل ولا تردد، وكانت بينه وبين النبي ﷺ نسبة خاصة كما ظهر في صلح الحديبية ، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل النبي ﷺ : ألست نبي الله حقا ؟ قال: " بلي " . قال: ألسنا علي الحق وهم علي الباطل ؟ قال : " بلي " . قال: فلمَ نُعطي الدنية في ديننا إذا ؟ فقال رسول الله ﷺ : " أنا عبد الله ورسوله " أي أنا مأمور من الله ، هكذا أمرني الله. وذهب عمر إلي الصديق وألق عليه نفس الأسئلة التي سألها لرسول الله ﷺ وأجاب أبو بكر بنفس جواب النبي ﷺ.

وفي قصة خروج أبي بكر من مكة بسبب أذي المشركين له ، وإرادته رضي الله عنه الهجرة إلى الحبشة ، عَنْ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ

وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَفَيْ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً فَلَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا قِبَلَ الْحَبَشَةِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الْغِمَادِ، لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ فَأَعْبُدَ رَبِّي قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ إِنَّ مِثْلَكَ لَا يَخْرُجُ وَلَا يُخْرَجُ فَإِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، وَأَنَا لَكَ جَارٌ، فَارْجِعْ فَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبِلَادِكَ، فَارْتَحَلَ ابْنُ الدَّغِنَةِ فَرَجَعَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ فَطَافَ فِي أَشْرَافِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلَا يُخْرَجُ أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يُكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَيَصِلُ الرَّحِمَ وَيَحْمِلُ الْكَلَّ وَيَقْرِي الضَّيْفَ وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَأَنْفَذَتْ قُرَيْشٌ جِوَارَ ابْنِ الدَّغِنَةِ، وَآمَنُوا أَبَا بَكْرٍ، وَقَالُوا لِابْنِ الدَّغِنَةِ: مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَلْيُصَلِّ وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ وَلَا يُؤْذِينَا بِذَلِكَ وَلَا يَسْتَعْلِنْ بِهِ فَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ فَطَفِقَ أَبُو بَكْرٍ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِالصَّلَاةِ وَلَا الْقِرَاءَةِ فِي غَيْرِ دَارِهِ ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ وَبَرَزَ فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَتَقَصَّفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ يَعْجَبُونَ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً لَا يَمْلِكُ دَمْعَهُ حِينَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا لَهُ إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا

أَبَا بَكْرٍ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ وَإِنَّهُ جَاوَزَ ذَلِكَ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ وَأَعْلَنَ الصَّلَاةَ وَالْقِرَاءَةَ وَقَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا فَأْتِهِ فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلَ وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ ذَلِكَ فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ فَإِنَّا كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ الِاسْتِعْلَانَ قَالَتْ عَائِشَةُ فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ وَإِمَّا أَنْ تَرُدَّ إِلَيَّ ذِمَّتِي فَإِنِّي لَا أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ قَالَ أَبُو بَكْرٍ إِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللَّهِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" قَدْ أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ رَأَيْتُ سَبْخَةً ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ وَهُمَا الْحَرَّتَانِ فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ الْمَدِينَةِ حِينَ ذَكَرَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْضُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" عَلَى رِسْلِكَ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي" قَالَ أَبُو بَكْرٍ : هَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ، قَالَ: نَعَمْ فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَصْحَبَهُ وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ [١].

---

١) صحيح البخاري _ كتاب الكفالة _ بَاب جِوَارِ أَبِي بَكْرٍ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَقْدِهِ_ رقم الحديث (٢١٧٦) .

المتأمل يجد أن ابن الدغنة وصف الصديق بصفات ذكرتها خديجة في رسول الله ﷺ حينما نزل عليه الوحي ورجع إلي خديجة ويقول: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة – وأخبرها الخبر – لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة: كلا والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم وتقري الضيف. وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل[١].

فعلم من ذلك أن النسبة الخاصة ، كانت بين الرسول ﷺ وبين أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

إذا الصديق من تصبغ بصبغة النبي ﷺ فسبيله سبيل النبي ﷺ وصراط الأنبياء هو الدعوة إلي الله ﷻ.

الصنف الثالث : من المُنعم عليهم هم (الشهداء):

الشهيد من يُضحي بنفسه لإعلاء كلمة الله ﷻ ، لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلي ، فهم يبذلون أنفسهم في سبيل الدعوة إلي وإحياء دين الله في العالم كله ، قال الله تعالي : { وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ*

---

١) المرجع السابق .

فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }[١].

وقال تعالي : {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا }[٢].

فصراط الشهداء هو الدعوة إلي الله ، وهو واضح بالقرآن الكريم والسيرة النبوية وحياة الصحابة.

الصنف الرابع : من المُنعم عليهم هم (الصالحين):

لا يتم صلاح أمة محمد ﷺ إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد بين الله ﷻ صفات الصالحين ، قال تعالي : { لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ }[٣].

وقال تعالي : { وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ

---

١) سورة آل عمران – الآيتان من ١٦٩ ، ١٧٠ .
٢) سورة الأحزاب – الآية ٢٣.
٣) سورة الأحزاب – الآية ٢٣.

هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ }[١].

فبعد أن ذكر الله سبحانه وتعالي الدعاة (الأنبياء) قال تعالي : (كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ)، وهذا نبي الله يوسف عليه السلام بعد الابتلاء والجهد والتضحية من أجل دين الله ﷻ ، وكانت حياته عامرة بالدعوة إلي الله داخل السجن وخارجه ، يقول: { رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ }[٢].

فليس معني الصلاح أن يكتفي العبد بعبادته فقط ، ويترك الدعوة، بل الصلاح أن يكون داعيا إلي الله وإلي دينه، بقوله وعمله، وصلاحه وتقواه، وزهده وقناعته، وصبره وشكره ، وإحسانه ، حتى إن رؤيته تكون دعوة للناس إلي الله ﷻ ، فعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخِيَارِكُمْ ؟ " قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : " الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ اللَّهُ ، أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِشِرَارِكُمْ ؟ " قَالُوا : بَلَى ،

---

١) سورة الأنعام – الآية ٨٥.

٢) سورة يوسف – الآية ١٠١.

قَالَ : " فَإِنَّ شِرَارَكُمُ الْمَشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ ، الْبَاغُونَ الْبُرَءَاءَ الْعَنَتَ " [١] .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ : قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ جُلَسَائِنَا خَيْرٌ ؟ قَالَ : " مَنْ ذَكَّرَكُمْ بِاللَّهِ رُؤْيتَهُ ، وَزَادَ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقَهُ ، وَذَكَّرَكُمْ بِالآخِرَةِ عَمَلُهُ " . "[٢]

وروي ابن حبان وصححه من حديث أنس ﷺ قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلي الله عليه وآله وسلم: إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِذِكْرِ اللَّهِ، إِذَا رُءُوا ذُكِرَ اللَّهُ. "[٣].

لا شك أن مجالسة الصالحين لها آثار علي النفس ، ورؤية الرجل الصالح القدوة، إنما تذكر بالله، لما يري عليه من النور، والإشراق والأنس والطمأنينة ، والمحبة، والسكينة ، في سمته وهيئته، وخشوعه، وفي نطقه، وصمته وإطراقه، وحركته وسكونه، وكل شؤونه، فلا ينظر إليه ناظر إلا

---

١) المعجم الكبير للطبراني » بَابُ الأَلِفِ» مَنِ اسْمُهُ أَسْمَاءُ» أَسْمَاءُ بِنْتُ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ الأَنْصَارِيَّةِ ... » عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ خُثَيْمٍ _ رقم الحديث (١٩٩٣٦)،مسند الإمام أحمد _ رقم الحديث (٢٦٩٣٩)، الأدب المفرد للبخاري _ رقم الحديث (٣٢١)، مسند عبد بن حميد _ رقم الحديث (١٥٨٩).

٢) مسند عبد بن حميد» مُسْنَدُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ _ رقم الحديث (٦٣٨)،. شعب الإيمان للبيهقي_ رقم الحديث (٨٨٢٥)

٣) فيض القدير للمناوي ٥٢٨/٢.

كان النظر إليه مذكر بالله تعالي ، وكانت صورته محرضة له ، للإقبال علي الله تعالي ، أولئك الذين إذا رؤوا ذُكر الله .

قال ابن الجوزي في كتابه صيد الخاطر: قد كان جماعة من السلف يقصدون العبد الصالح للنظر إلي سمته و هديه لا لاقتباس علمه و ذلك أن ثمرة علمه في هديه وسمته انتهى.

وقال أبو طالب المكي في قوت القلوب(قد كانوا يقصدون الأمصار للقاء العلماء والصالحين للنظر إليهم و التبرك والتأدب بهم) انتهى.

وقال أبو العباس البردعي سمعت الحسن بن إسماعيل يقول سمعت أبي يقول: كان يجتمع في مجلس الإمام أحمد بن حنبل زهاء خمسة آلاف أو يزيدون، أقل من خمسمائة يكتبون، والباقون يتعلمون منه حسن الأدب وحسن السمت.

وقال أحمد بن سلمان النجار سمعت أبا بكر المطوع يقول: اختلفت إلي أبي عبد الله أحمد بن حنبل ثنتا عشرة سنة وهو يقرأ المسند علي أولاده، فما كتبت منه حديثا واحدا إنما كنت انظر إلي هديه وأخلاقه وآدابه [١].

وكان التابعي الجليل عمرو بن ميمون الأودي الكوفي أدرك الجاهلية ولم يلق النبي ﷺ وقدم مع معاذ بن جبل رضي الله عنه من اليمن فنزل

---

١) كتاب مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي ص ٢١٠.

الكوفة وكان صالحا قانتا لله تعالي ، حج واعتمر مائة مرة ، قال تلميذه أبو إسحاق السبيعي : كان إذا رؤى ذُكر الله .. توفي سنة ٧٥ هـ رحمه الله تعالي[١].

وكان التابعي الجليل محمد بن سيرين البصري إذا ذكر الموت ، مات كل عضو منه ، ، وكان إذا مر في السوق فما يراه أحد إلا ذكر الله [٢].

وقال جعفر بن محمد بن سليمان كنت إذا وجدت في قلبي قسوة غدوت فنظرت إلي وجه محمد بن واسع ، البصري كأنه ثكلي [٣].

وفي ترجمة عبد العزيز بن أبي رواد المكي (رحمه الله) المتوفي سنة ١٥٩ هـ قال عبد الله بن المبارك فيه: كان يتكلم ودموعه تسيل علي خده ، وقال تلميذه شعيب بن حرب: كنت إذا نظرت إليه رأيت كأنه يطلع القيامة [٤].

قال مصعب بن عبد الله: كان مالك إذا ذكر النبي ﷺ عنده تغير لونه وانحني حتى يصعب ذلك علي جلسائه ، فقيل له يوما في ذلك، فقال : لو رأيتم لما أنكرتم عليَّ ما ترون، كنت آتي محمد بن المنكدر

---

١) تهذيب التهذيب لابن حجر ٨/ ١٠٩.
٢) كتاب العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد بن حنبل ٢٠/١.
٣) تاريخ الإسلام للذهبي ١٥٩/٥.
٤) تهذيب التهذيب ص ٣٣٩.

وكان سيد القراء أي سيد العلماء، لا نكد نسأله عن حديث إلا بكي حتى توفي رحمه الله تعالي، ولقد كنت آتي الإمام جعفر بن محمد (الصادق) وكان كثير المزاح والتبسم، فإذا ذُكر عنده النبي ﷺ اصفر واخضر، وكنت كلما أجد في قلبي قسوة آتي محمد بن المنكدر، وكان يجتمع عنده الصالحون ليقتبسوا من هديه وصلاحه، فأنظر إليه نظرة فأتعظ بها أياما[١] .

وجاء في ترجمة الإمام العابد الزاهد المحدث فضيل بن عياض ، ثم المكي المتوفى سنة ١٨٧ (رحمه الله تعالي) ، قال إبراهيم بن الأشعث خادم الفضيل : ما رأيت أحد كان الله في صدره أعظم من الفضيل ،كان إذا ذُكر الله عنده أو سمع القرآن ظهر به الخوف والحزن وفاضت عيناه فبكي حتي يرحمه من بحضرته .

وقال خالد بن رباح قال لي عبد الله بن المبارك : إذا نظرتُ إلي الفضيل ، جدد لي الحزن ، ومقت نفسي ، ثم بكي[٢] .

فهذه بعض النماذج من أولئك الذين كانت رؤيتهم تذكر بالله تعالي ، وينتفع الناس بهديهم وسمتهم ومشاهدتهم .

---

١) من ترتيب المدارك للقاضي عياض ١٥١/٢.
٢) تهذيب التهذيب ٨/ ٢٩٦.

وها نحن بعد أكثر من ألف وأربع مائة عام نسمع أخبارهم فننتفع بها، فكيف بمن شاهدهم وجالسهم، نفعنا الله بعباده الصالحين ، وألحقنا الله برحمته في زمرتهم .

فكان صلاحهم، وورعهم، وتقواهم، وحياتهم، دعوة عملية فصراط الصالحين والدعوة إلي الله بالعمل أكثر من القول .

فلابد أن نستحضر هذه التفصيلات المذكورة أثناء قراءة قوله تعالي : {اهدِنَـا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ } (١) .

والمغضوب عليهم هم: اليهود والنصارى، فمن تشبه بهم حشر معهم ، قال الله تعالي : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }(٢).

---

١) سورة الفاتحة _ الآيتان ٦ ، ٧ .

٢) سورة المائدة _ الآية ٥١ .

وقال الله تعالي: { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ }(١).

فوائد قرآنية من سورة البقرة:

قال تعالي : { الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ }(٢).

عامة المفسرين رحمهم الله تعالي ذكروا في تفسير (الم) الله أعلم بمراده منها، وكان الشيخ محمد يوسف رحمه الله يقول بهذا التفسير ويقول من باب الإشارة : كما لا نعرف مراد الله من(الم) وهو مركب من ثلاثة حروف، كذلك لا ندري حقيقة المال فإنه مركب من ثلاثة حروف هل هو سبب لنفعنا أم سبب لمضرتنا .

إذا أراد الله عز وجل النفع بالمال فننتفع بالمال، وإذا أراد الله إفساد الحياة فتفسد الحياة بالمال كما نشاهد كثيرا .

وكذلك الذهب مركب من ثلاثة حروف لا ندرى أنه سبب لصلاح حياتنا ، أم سبب لفساد حياتنا ، وإذا أراد الله صلاح الحياة فتصلح الحياة بالذهب وبدونه، وإذا أراد الله فساد الحياة فتفسد الحياة مع الذهب .

---

١) سورة المائدة _ الآيتان ٥٥ ، ٥٦ .

٢) سورة البقرة _ الآيتان ١ ، ٢ .

وكذلك مثلا الفضة لا ندرى أنها سبب لصلاح حياتنا أم سبب لفساد حياتنا ، إذا أراد الله صلاح الحياة فتصلح الحياة مع الفضة وبدونها ، وإذا أراد الله فساد الحياة فتفسد الحياة مع وجود الفضة.

وكذلك مثلا الجبل فيه ثلاثة حروف ، نار ، بحر ، أرض ، ماء ، مثل هذا الكلمات المركبة من ثلاثة حروف أو أكثر ، ولا ندرى أن هذه الأشياء والأسباب سبب لصلاح حياتنا أم سبب لفساد حياتنا ، الله أعلم بها.

كم من الناس يقتلون بسبب الخصومة على الأرض ، إذا كانت الأرض سبب لصلاح الحياة فقط ، فلم فسدت حياة كثير من الناس بسبب الأرض ، كذلك البحر كان سببا لنجاة بنى إسرائيل ، ونفس البحر كان سببا لإغراق آل فرعون .

كذلك النار إنها سبب عام لإفساد الحياة والإحراق ، ولكن جعلها الله سببا لإصلاح الحياة ، وجعلها بردا وسلاما في شأن إبراهيم عليه السلام ، كما قال ﷻ :{ قُلْنَا يَا نَارُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا } [١] .

وقس علي ذلك أمثلة أخري ، فكان رحمه الله يقول : كما لا نعلم مراد الله من (الم) كذلك لا ندري حقائق الأشياء وتأثيراتها إنها من أسباب الصلاح أو من أسباب الفساد والأصل هو أمر الله ﷻ وهو

---

١) سورة الأنبياء _ الآية ٦٩ .

كالروح للجسم ، إن كان أمر الله في الأسباب والأشياء للنفع فينبعث النفع منها ، وإن كان أمر الله للضرر فينبعث الضرر والفساد منها .

ثم كان رحمه الله يقول إن الله أراد من (الم) أن نعترف بجهلنا أولا ، لأن من لا يعترف بجهله ويري نفسه عالما لا يفتح الله له باب العلم وعلي قدر ما يظهر علي الإنسان جهله يفتح الله له أبواب العلم.

الجهل علي نوعين : جهل بسيط ، وجهل مركب.

النوع الأول: الجهل المفرد :

مثاله: أن الإنسان لا يعلم ما هو الأسد ، فيقال إنه جاهل بالأسد ، وهذا جهل بسيط ويسمي جهل مفرد.

النوع الثاني : الجهل المركب :

مثاله: أنه رأي البغلة وقال أنها أسد فهذا أجهل من الأول لأنه يعلم الأسد علي غير ما هو عليه ، فعلمه علم خطأ ، ويري نفسه أنه عالم بالأسد.

وهكذا قضاء الحوائج وحل المشاكل بالمال والأسباب والأشياء والذهب والفضة والأرض والتجارة والزراعة والوظيفة ، لو علم الإنسان أن الحوائج لا تنقضي والمشاكل لا تحل إلا بها فهذا ليس بعلم بل يعتبر جهل ، ولا يعتبر جهل بسيط ومفرد ، بل يعتبر جهل مركب والأمة واقعة في هذا الجهل وتظن أنها عالمة بحقائق الأمور ٠

كيف تعلم بحقائق الأمور مع أن العلم بالحقيقة هو العلم بأن قاضي الحوائج هو الله وحده لا شريك له .

إن أراد الله قضاء الحوائج فتنقضي مع الأسباب والأشياء وبدونها ، وإن لم يرد الله قضاء الحوائج وحل المشاكل فمع كثرة الأسباب والأشياء لا تنقضي الحوائج ، ولا تحل المشاكل أبدا ، كما قال الله ﷻ{ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (١) .

وقال تعالي : {وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ } (٢)

وقال تعالي : { وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } (٣).

وقال تعالي : {ا لم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ }(٤) .

---

١) سورة فاطر _ الآية ٢ .
٢) سورة الأنعام _ الآية ١٧ .
٣) سورة يونس _ الآية ١٠٧ .
٤) سورة البقرة _ الآيتان ١ ، ٢ .

إن جنس الريب والشك منتفٍ عن هذا الكتاب العزيز ولو كانت المشاهدات والتجربات ضده، نكذب التجربات الإنسانية ومشاهداتها ونصدق ما في هذا الكتاب ، مثلا :

قال الله تعالي : {يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ }(١).

وقال الله تعالي :{ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ }(٢) والمشاهدات ضده لأن المال يزداد بالربا في الظاهر، وينتقص بالصدقة، والله تبارك وتعالي يقول خلاف الظاهر، فنقول إن المشاهدة تخطيء { وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ }(٣) فنكذب الظاهر ونصدق بقلوبنا قول الله ﷻ .

والصحابة رضي الله عنهم قد بلغوا هذه الدرجة الإيمانية العالية ، ومن شاء يطلع علي القصص الإيمانية للصحابة رضي الله عنهم ، كانوا

---

١) سورة البقرة _ الآية ٢٧٦ .
٢) سورة الروم _ الآية ٣٩ .
٣) سورة الأحزاب _ الآية ٤ .

يصدقون العلوم الإلهية ويكذبون المشاهدات والتجربات الإنسانية ، فليطالع كتاب حياة الصحابة للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي رحمه الله.

قال تعالي : {ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [١] .

هدي للمتقين : أي أن القرآن كتاب هداية .

ما هي الهدايــة ؟

الهداية : اسم لنور يقذفه الله في قلوب من يشاء من عباده ، كما قال الله تعالي : {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ }(٢)

وتنور القلب بنور الهداية أن ينظر بهذا النور منافع الأعمال الصالحة، ومضار الأعمال الفاسدة، كما يميز الإنسان بين الحجر

---

١) سورة البقرة _ الآيات من ٢: ٥ .

٢) سورة الشوري _ الآيتان ٥٢ ، ٥٣ .

والذهب ، وبين العصا والحية في ضوء الشمس ، وإذا لم يميز بين النافع والضار في ظلمة الليل حتى يمسك بالحية في ظلمة الليل ظانا أنها عصا ، وأحيانا يترك الذهب ويظن أنه حجر بسبب ظلمة الليل ، كذلك لما يُظلم القلب من نور الهداية فيكذب الإنسان ويري أن الكذب نافع ويترك الصدق ، ويري أنه مهلك ، ويأكل الربا ويظن أن المال يزداد به ، ويترك الصدقة ويظن أن المال ينتقص بها ، هذه نتيجة خلاء القلب من نور الهداية .

ونور الهداية سبب للحياة القلبية وعدم وجود هذا النور هو موت القلب ، قال تعالي: {أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ }[1].

فالقرآن الكريم ينور القلب بنور الهداية ، ويخرج الإنسان من الظلمات إلي النور ، ويحي القلوب الميتة ، ورسول الله ﷺ ذكر ثلاث علامات للقلوب المنورة بنور الهداية ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :

---

١) سورة الأنعام _ الآية ١٢٢ .

" إِنَّ النُّورَ إِذَا دَخَلَ الصَّدْرَ انْفَسَحَ " فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ يُعْرَفُ (١)؟ قَالَ : " نَعَمْ ، التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ ، وَالْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ (٢)" رواه البيهقي في شعب الإيمان(٣).

العلامة الأولي : التجافي عن دار الغرور (الدنيا) :

أي يأتي الزهد في الدنيا، لما يتنور القلب بنور الهداية ، ولا يقع الإنسان في غرورها وخداعها ، وقد ذكر الله ﷻ الدنيا ، فقال : {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ }(٤).

والآية التي تلاها رسول الله ﷺ :﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ ﴾(٥) وهذه العلامات التي ذكرها رسول الله ﷺ هي

---

١) أي علامة .
٢) أي علامة .
٣) مشكاة المصابيح – كتاب الرقاق – ٣ / ١٤٤١ .
٤) سورة الحديد _ الآية ٢٠ .
٥) سورة الأنعام _ الآية ١٢٥.

علامات لانشراح الصدر، فإذا انشرح الصدر فيزهد في الدنيا ، ويري الدنيا بعين البصيرة دار الغرور، ويري الدنيا لهوا ولعبا، ولا يقع في خداع الدنيا ، كما نور الله بصائر أصحاب محمد ﷺ ، فكان عليَّ ﷺ يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويستوحش من الدنيا وزهرتها : فقد أَخرج أبو نعيم عَنْ أبي صالح قَالَ : دَخَلَ ضرار بن ضمرة الكناني عَلَى معاوية، فَقَالَ لَهُ: صِفْ لِي عليا. فَقَالَ : أَوَتُعْفِينِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : لَا أُعْفِيكَ ، قَالَ : أَمَا إِذْ لَا بُدَّ، فَإِنَّهُ كَانَ وَاللَّهِ بَعِيدَ الْمَدَى، شَدِيدَ الْقُوَى ، يَقُولُ فَصْلًا، وَيَحْكُمُ عَدْلًا، يَتَفَجَّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ ، وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ، يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا، وَيَسْتَأْنِسُ بِاللَّيْلِ وَظُلْمَتِهِ ، وَكَانَ وَاللَّهِ غَزِيرَ الْعِبْرَةِ ، طَوِيلَ الْفِكْرَةِ، يُقَلِّبُ كَفَّهُ وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ ، يُعْجِبُهُ مِنَ اللِّبَاسِ مَا قَصُرَ، وَمِنَ الطَّعَامِ مَا جَشُبَ، كَانَ وَاللَّهِ كَأَحَدِنَا، يُدْنِينَا إِذَا أَتَيْنَاهُ ، وَيُجِيبُنَا إِذَا سَأَلْنَاهُ ، وَكَانَ مَعَ تَقَرُّبِهِ إِلَيْنَا وَقُرْبِهِ مِنَّا لَا نُكَلِّمُهُ هَيْبَةً لَهُ، فَإِنْ تَبَسَّمَ فَعَنْ مِثْلِ اللُّؤْلُؤِ الْمَنْظُومِ، يُعَظِّمُ أَهْلَ الدِّينِ، وَيُحِبُّ الْمَسَاكِينَ، لَا يَطْمَعُ الْقَوِيُّ فِي بَاطِلِهِ ، وَلَا يَيْأَسُ الضَّعِيفُ مِنْ عَدْلِهِ ، فَأَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ وَقَدْ أَرْخَى اللَّيْلُ سُدُولَهُ، وَغَارَتْ نُجُومُهُ ، يَمِيلُ فِي مِحْرَابِهِ قَابِضًا عَلَى لِحْيَتِهِ، يَتَمَلْمَلُ تَمَلْمُلَ السَّلِيمِ، وَيَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ ، فَكَأَنِّي أَسْمَعُهُ الْآنَ وَهُوَ يَقُولُ : يَا رَبَّنَا يَا رَبَّنَا – يَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ لِلدُّنْيَا: إِلَيَّ تَغَرَّرْتِ، إِلَيَّ تَشَوَّفْتِ ، هَيْهَاتَ

هَيْهَاتَ ، غُرِّي غَيْرِي قَدْ بِنْتُكِ ثَلَاثًا، فَعُمْرُكِ قَصِيرٌ ، وَمَجْلِسُكِ حَقِيرٌ، وَخَطَرُكِ يَسِيرٌ ، آهٍ آهٍ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ ، وَبُعْدِ السَّفَرِ ، وَوَحْشَةِ الطَّرِيقِ . فَوَكَفَتْ دُمُوعُ معاوية عَلَى لِحْيَتِهِ مَا يَمْلِكُهَا ، وَجَعَلَ يُنَشِّفُهَا بِكُمِّهِ ، وَقَدِ اخْتَنَقَ الْقَوْمُ بِالْبُكَاءِ ، فَقَالَ : كَذَا كَانَ أبو الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ ، كَيْفَ وَجَدَكَ عَلَيْهِ يَا ضرار ؟ قَالَ : وَجَدَ مَنْ ذَبَحَ وَاحِدَهَا فِي حِجْرِهَا ، لَا تَرْفَأُ دَمْعَتُهَا وَلَا يَسْكُنُ حُزْنُهَا ، ثُمَّ قَامَ فَخَرَجَ . [1].

العلامة الثانية : الإنابة إلي دار الخلود :

لما يتنور القلب بنور الإيمان ونور الهداية فالإنسان يتوجه إلي الآخرة ، ويجعل همه همَّ الآخرة ، ويذكر عقبات الآخرة ، ويستحضرها أمامه في كل حين ، ويذكر الموت والقبر والصراط والحساب والحشر والكتاب ، والقيام بين يدي الله ﷻ ، ويكون من أبناء الآخرة.

فيتشوق إلي لقاء الله ﷻ ويتفكر لآخرته لأن الله عز وجل جعل لكل إنسان حياتين : حياة قبل الموت وحياة بعد الموت ، فالحياة الأولي التي قبل الموت محدودة وقصيرة ومشاكلها محدودة وقصيرة ، وحوائجها محدودة وقصيرة ، والحياة الأخرى هي الحياة الأبدية السرمدية لا تنتهي

---

١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء » المهاجرون من الصحابة» علي بن أبي طالب» وصف ضرار الكناني له في مجلس معاوية، وأَخرجه أيضاً ابن عبد البر في الاستيعاب عن الحِرماني رجل من همْدان ١عن ضِرار الصُدَائي بمعناه (حياة الصحابة باب الآثار في صفة الصحابة الكرام ١/ ١٩.

أبدا ، وحوائجها كذلك أبدية سرمدية لا تنتهي أبدا وكذلك مشاكلها لا تنتهي أبدا.

وغلب الفكر عموما علي سائر الناس ، كيف تنقضي حوائج الدنيا ، وكيف تنحل مشاكل الدنيا ، مع أن حوائج الدنيا مقابل حوائج الآخرة كالقطرة مقابل البحار ، ومشاكل الدنيا مقابل مشاكل الآخرة كالقطرة مقابل البحار .

لذلك يجب أن يكون الفكر لحوائج الدنيا ولحل مشاكلها كالقطرة ، ونتفكر لحوائج الآخرة ولحل مشاكلها مثل البحار .

العلامة الثالثة : الاستعداد للموت قبل نزوله :

كما قال الله ﷻ :{ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ }(١).

فلما يأتي نور الهداية في القلب ، فيستعد لقضاء حوائجه الأخروية ، ويستعد لحل مشاكله الأخروية، بداية من الموت وحتى يلق ربه سبحانه تعالي.

---

١) سورة المنافقون _ الآية ١٠.

فكان بلال ﷺ في الفرح عند موته ، وكانت زوجته تبكي وتقول واحزناه، فيقول لها : لا تقولي واحزناه بل قولي واطرباه غدا نلق الأحبة محمدا وصحبه .

وخبيب ﷺ علي الخشبة يقول والرمح ينفذ في صدره : فزت ورب الكعبة. . فهكذا كانوا رحمهم الله .

فكانت علامات الهداية الثلاثة في أصحاب محمد ﷺ قد ظهرت في حياتهم بأعمالهم ظهورا تاما .

فعلي كل واحد منا أن ينظر ويتأمل في نفسه أن علامات الهداية المذكورة موجودة فيه أم لا ، وإن كانت موجودة فما مقدار ذلك وعليه أن يجتهد كل الجهد في هذا الميدان حتى يترقي يوما بعد يوم ويتنور قلبه بنور الهداية وهذا النور يكون مختفيا في قلبه في عالم الدنيا ، ولكن يظهر عند الموت وفي قبره علي قدر ما كان من نور الهداية في قلبه ، ثم هذا النور يظهر علي الصراط ، كما قال الله ﷻ : {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }[١]

١) سورة الحديد _ الآية ١٢.

وقال بعض العلماء: أن النور الذي يسعى بين أيديهم هو نور الإيمان ، وما يسعى بأيمانهم هو نور الأعمال الصالحة ،فيعبر الإنسان الصراط في نور الهداية ، ولا يكون هذا النور عند المنافقين علي الصراط ، كما قال الله ﷻ

{يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ }(١) .

حتى بعد دخول الجنة ما يري من الأنوار ، فقال العلماء : إنها نفس نور الهداية التي تحصل عليها بالجهد في عالم الدنيا .

كيف نتحصل علي نور الهداية ؟

كما هو معلو أن الله ﷻ جعل الدنيا دار الأسباب ، وجعل لكل سببا ، مع أن الله غير محتاج إليها ، كذلك جعل الله ﷻ للهداية أسباب ، وهو لا يحتاج إلي تلك الأسباب لهداية أحد ، ولكن سنته في الكون أن

---

١) سورة المنافقون _ الآيتان ١٣، ١٤ .

من يختار أسباب الهداية ، يهديه ، فالإنسان يحاج لأسباب الهداية ولكن الله لا يحتاج إليها .

بل قد يهدي الإنسان بمنه وكرمه ، ولكن هذا ليس هو الأصل ، بل شاذ عن القاعدة، ولا يخفي علي أحد، أن الهداية بمشيئة الله تعالى وحده يهدى من يشاء ويضل من يشاء كما قال ﷻ{ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ }(١)

وجعل الهداية مرتبطة بأسبابها، وذكر للهداية سببين، فإذا كان اختيار تلك الأسباب من قبل العبد ، فتترب علية الهداية بمشيئة الله :

السبب الأول : الإنابة إلى الله وطلب الهداية من الله:

قال ﷻ {وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ }(٢).

وقال ﷻ : {اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ }(٣).

---

١) سورة المدثر _ الآية ٣١.

٢) سورة الحج _ الآية ١٦.

٣) سورة الشورى _ الآية ١٣.

فلا بد للعبد أن يطلب الهداية من الله ﷻ بصدق القلب ، وأن يري نفسه بحاجة إلي الهداية، أكثر مما يحتاج إلي المأكل و المشرب، والملبس حتى من أنفاسه.

السبب الثاني : المجاهدة :

قال ﷻ {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } (١) .

والمراد من المجاهدة الجهد للحصول الهداية، وهو أن يغير ترتيبه الطبيعي والعادي ويختار الترتيب النبوي لقضاء أربع وعشرين ساعة ، أي يقضي حياته مثل الصائم فإنه لا ينقطع عن الأكل والشرب بالكلية ، ولكنه يغير ترتيب الأكل والشرب أي يمسك نفسه عن الأكل والشرب والشهوة النفسانية من الصبح الصادق إلى غروب الشمس ،ثم بعد غروب الشمس يباح له الأكل والشرب وقضاء الشهوة النفسانية إلى الصبح الصادق، بل يزداد رزق المؤمن في شهر رمضان كما ورد ومع ذلك يقول الله ﷻ في الحديث القدسي : (يدع طعامه وشرابه من أجلى) لم يدع الطعام والشراب بل غير ترتيبهما ، فعند الله كأنه ترك بالكلية .

---

١) سورة العنكبوت _ الآية ٩٦.

وكذلك الله ﷻ رزقنا شهر رمضان لنتمرن كيف نقضي حياتنا علي ترتيب شهر رمضان ، وهذا هو التقوى فبالصيام يمتزج الإنسان بمزاج التقوى كما قال ﷻ { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }[١] فكما أن الصائم لا ينقطع عن الأكل والشرب تماما ، كذلك يطلب الله ﷻ منا أن نغير ترتيبنا العادي والطبيعي ونختار الترتيب النبوي في شئون الحياة كلها، وليست المطالبة من الله ﷻ أن الإنسان يترك السباب المادية وينقطع عنها تماما ويتخلى عنها بل المطالبة من الله ﷻ أن يقدم أمر الله ﷻ على كل شيء إذا كان أمر الله ﷻ للاشتغال بها فيشتغل بها ، وإذا كان أمر الله لتركها فيتركها مثاله: أمر الله ﷻ لترك البيع والشراء عند نداء الجمعة وبعد الفراغ من صلاة الجمعة أباح الله ﷻ البيع والشراء ، كما قال ﷻ:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }[٢] .

---

١) سورة الجمعة_ الآيتان ٩، ١٠.

٢) سورة البقرة _ الآية ١٨٣ .

وقس علي ذلك سائر أوامر الله، فليس المقصود الاشتغال بالأسباب ولا ترك الأسباب ، بل المقصود امتثال أمر الله ﷻ.

فهذه هي المجاهدة ، وهي تتعلق بكسب العبد ، فإذا كان العبد يعمل المجاهدة، فيشاء الله له الهداية ولكن لا بد أن تكون المجاهدة ابتغاء مرضاة الله، لا للرياء والسمعة والجاه والمنصب ، وكذلك قيض الله ﷻ المجاهدة بهذا القيد وقال: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } [١] ومن يؤدي الشرط فيعطيه الله ﷻ الهداية إتماما وجائزة ، أي يفتح الله له سبيل التقرب إليه تعالي ، حتى يوصله إلي مرتبة الإحسان، والإحسان كما ورد في حديث جبريل : " أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك " .[٢].

وبعد أن يصل العبد إلي مرتبة الإحسان ، يرزقه الله معيته ، وهي المعية الخاصة ، كما قال الله عز وجل : { وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } فعلم أن آخر مرتبة من مراتب الهداية ، الوصول إلي مرتبة الإحسان.

(هدى للمتقين) أي لا ينتفع بالقرآن ولا يستضيء به ولا يهتدي به إلا المتقون .

---

١) سورة العنكبوت _ الآية ٦٩.

٢) جزء من حديث رواه مسلم (رياض الصالحين باب المراقبة) .

ما هي **التقوى**: التقوى اسم لأمور عديدة .

الأمر الأول: وهو الأمر الأساسي الإيمان بالمغيبات.

الأمر الثاني: العبادات القوية المصحوبة بالصفات المطلوبة عند الله ﷻ.

الأمر الثالث: أن تكون المعاملات فيما بين الخلق صحيحة وفق أوامر الله ﷻ على طريق النبي ﷺ والمراد من المعاملات التجارة ، والزراعة ، والوظيفة ،وغيرها من الأمور الكسبية.

الأمر الرابع : أن تكون المعاشرة طيبة نبوية إسلامية ، والمراد من المعاشرة ، التعاشر مع الأقارب والأصدقاء والجيران ومع الأهل والأولاد والآباء والأمهات وغيرهم .

الأمر الخامس : أن تكون الأخلاق عالية حسنة وهى الأخلاق النبوية ومن اتصف بهذه الأمور المذكورة يطلق علية لفظ المتقي وهو الموصوف بصفة التقوى .

والقرآن يفصل بعضة بعضا فنسأل الله ﷻ أن يجعلنا من المتقين ؟ فالله ﷻ بين وفسر هذا في الآيات التي تليها. {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ* والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ

وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ }[١] وفسره الله في آية أخري بأوضح منها قال الله تعالي : { لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ }[٢].

فجمع الله ﷻ في هذه الآية المباركة جميع الأمور المتعلقة بالتقوى وشرح في هذه الآية المباركة أمور كثرة نذكر منها :

أولها : الإيمان : ذكر الله ﷻ في هذه الآية المباركة الإيمانيات (ما تسمي بأمهات العقائد .

وما لم تترسخ هذه في قلوب الأمة لا ينشأ الاستعداد في الأمة لقبول الأوامر وامتثالها .

بل إن بيان الأحكام الإلهية للأمة بدون الجهد لترسيخ الإيمانيات ، يكون مثاله : كما تلقي البذور في الأرض الصحراء ، فإنها تضيع ولا

---

١) سورة البقرة _ الآيات من ٣: ٤ .

٢) سورة البقرة _ الآية ١٧٧.

فائدة فيها ، فكذلك إذا كان بيان الأحكام بدون الجهد علي القلوب لتوليد الاستعداد فإن بيان الأحكام ضائع لأن القلوب لا تقبل الأحكام.

ومن جمـــــلة الإيمانيـــــات :

الإيمان بالله عز وجل :

والمراد من الإيمان بالله ، أن يترسخ اليقين في القلب أن الله ﷻ ، هو الفعال الحقيقي ، يفعلُ ما يشاء بقدرته ، لا يحتاج إلي أحد من خلقه ، وكل المخلوقات محتاجة إليه ، كما قال الله ﷻ : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ } [١].

وقال تعالي : { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ }[٢].

معني الصمد : الذي يقضي جميع حوائج المخلوقات ، وتحتاج إليه المخلوقات كلها ، وهو لا يحتاج إلي أحد من خلقه .

كل مخلوق في خلقه محتاج إليه ﷻ .. وفي بقائه محتاج إلي الله ﷻ.. وكل مخلوق في إظهار تأثيره محتاج إلي الله ﷻ .. وكل مخلوق

---

١) سورة فاطر _ الآيات من ١٥ : ١٧.

٢) سورة الإخلاص _ الآيات من ١ : ٤.

في فنائه محتاج إلي الله ﷻ.. والله ﷻ لا يحتاج في أي مرحلة إلي مخلوق .. وقادر أن يفعل أي شيء بدون أي شيء .. وجميع المخلوقات لا تستطيع أن تفعل أي شئ إلا بإرادة الله ﷻ .

وإذا أراد الله ﷻ حفظ أحد ، فإنه يحفظه ، ولقد حفظ خاتم الأنبياء وسيد المرسلين محمد ﷺ في غار ثور وقت الهجرة بنسيج العنكبوت ، { وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } [١]

وإذا أراد الله إهلاك أحد فإنه يهلكه ، ولقد أهلك الله ﷻ نمرود مع جميع قوته وحكومته ، لم يستطع أن يخلص نفسه من البعوضة .. أهلكه الله ببعوضة وهي مخلوقة ضعيفة.

فيترسخ اليقين علي الله ﷻ أنه هو المستحق للعبادة لا معبود بحق إلا الله ، وجميع المخلوقات مسخرة بأمره ، هو الذي خلق المخلوقات كلها بقدرته ، ولا يحتاج في خلق المخلوقات ، خلق آخر ، كما خلق السماء بقدرته بدون مخلوق من المخلوقات وكذلك خلق الأرض والجبال والبحار والشمس والقمر والنجوم والكواكب ولم يستخدم أحدا من المخلوقات ، الله خالق كل شيء .

وعند الله لخلق المخلوقات طريقان :

---

١) سورة العنكبوت_ الآية ٤١.

الطريق الأول: خلق بعض المخلوقات مباشرة بدون أن يستخدم أي إنسان أو غيره ، يقول الله ﷻ : { أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ }(١)

وقال تعالى :{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ}(٢)

وقال تعالى :{ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}(٣)

وقال تعالى : { وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ

---

١) سورة الغاشية _ الآيات من ١٧: ٢١.
٢) سورة لقمان _ الآية ١٠.
٣) سورة البقرة_ الآية ٢٢.

رَّحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }[١]

فجميع المراكب الحديثة إلى يوم القيامة دخلت في ضمن هذه الآية (ويخلق مالا تعلمون) حتى إن المؤمن لما ينظر إلى السيارات والطائرات والقطارات السريعة فيقول خالقها هو الله ، وإن الله استخدم الإنسان في صنعها .

فيجب اليقين أن الله ﷻ هو خالق كل شئ ، قال الله تعالى : { وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }[٢].

وقال في أية أخرى : {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}[٣]

---

١) سورة النحل_ الآيات من ٥: ٨.
٢) سورة النور_ الآيات ٤٥.
٣) سورة القصص_ الآية ٦٨.

وهو سبحانه خالق الملائكة كما قال ﷻ : { الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }[١]

الطريق الثاني :

أن الله ﷻ هو الذي يخلق المخلوقات ولكنه يستخدم جهد الإنسان ويده، فينخدع الإنسان وينسبه لنفسه وإلى جهده ويفخر بصناعته ، إن الله ﷻ أخرج الناس من هذا الخداع في القران الكريم ، قال الله تعالي: { أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ * أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُون}[٢].

ثم يسأل ويقول :{ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُون}[٣] فإن المزارع يجتهد على الأرض ويسقيها بالماء ويلقى البذور بدون ترتيب معين ، ثم من يشق الأرض شقا ؟ ، ومن يفلق الحب والنوى ؟ ومن يخرج الغلة والثمار ؟ والفواكه مختلفة الألوان مختلفة الطعم ، ومختلفة الأشكال مع أن الأرض ذات لون واحد وتسقى بماء واحد،

---

١) سورة فاطر_ الآية ١.
٢) سورة الواقعة_ الآيات من٥٨: ٥٩.
٣) سورة الواقعة_ الآيات من٦٣: ٦٤.

فالله ﷻ يقول : { إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ }[١]

و يقول: {فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكم}[٢]

ويقول في آية أخري : { وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }[٣].

والأسئلة المتوجهة من الله إلي عباده ، توقف المخاطب ليتوجه توجها تاما ، إلي التفكر في الجواب ، ثم الله ﷻ يقول : { أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ }[٤].

---

١) سورة الأنعام _ الآية٩٥.
٢) سورة عبس _ الآيات من٢٤: ٣٢.
٣) سورة الرعد _ الآية ٤.
٤) سورة الواقعة _ الآيات من ٦٣ : ٦٥.

وقال تعالي :{أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاء الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ * لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ }(١).

وإن الإنسان يقول نحنُ ترقينا وأوصلنا الماء إلي كل قرية ومدينة وبيت ، وينسب الجهد إلي نفسه ، فالله ﷻ يقول : { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ } (٢)

وتتوالي الأسئلة من الله تعالي لعباده :{ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ * نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ } (٣).

وكذلك بعض الأسئلة الأخرى متوجهة إلي عباده في آيات أخري ، وفي هذه الأسئلة قوة عظيمة وهيبة جليلة تهتز بها القلوب ، وتقشعر بها الجلود ، قال الله ﷻ { أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ

---

١) سورة الواقعة _ الآيات من ٦٨ : ٧٠ .
٢) سورة الملك _ الآية ٣٠ .
٣) سورة الواقعة _ الآيتان ٧١ ، ٢٧.

مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }[١]

وكذلك الله ﷻ يلقي أسئلة أخري علي عباده ليتفكروا في آياته ويعرفوه حق معرفته ويعتصموا به ويتخذوه وكيلا ، ويصرفوا وجهة قلوبهم إليه تعالي : {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }[٢]

---

١) سورة النمل _ الآيات من : ٦٠ : ٦٤ .

٢) سورة القصص _ الآيات من : ٧١ : ٧٣ .

ولا بد من ترسيخ اليقين في القلوب : بأن الله خالق كل شيء ، وخالق كل المخلوقات بقدرته وحده لا شريك له ، سواء المخلوقات التي خلقها بقدرت مباشرة ، والمخلوقات التي استخدم الله جهد الإنسان ويده ، خالقها كلها الله .

وإذا لم يترسخ هذا اليقين في القلب فلا يمكن حفظ الإيمان والثبات عليه عند ظهور اختراعات الدجال لأنه معه جنة ونار ، ويقول للسماء أمطري فتمطر ، ويقول للأرض أخرجي كنوزك فتخرج ، الأرض كنوزها ....الخ .

ولا ريب أن كلها بأمر الله ، وأمر الله في الغيب وأمر الدجال في ال مشاهد ، فضعفاء الإيمان يؤمنون بالدجال والعياذ بالله ، تأثروا بمشاهدة أعينهم واختراعات الدجال ، فلذلك ننفي تأثير جميع المخلوقات ، ونثبت صفة الخلق لله وحده .

ولما ننظر إلى الصناعات الحديثة الفاخرة فننفى العظمة عن كل ما سوى الله ونقول: خالقها هو الله وحدة ، وإذا لم ننفها عما سوى الله فيضعف الإيمان ويتأثر الإنسان بالمشاهدات، وإذا ضعف الإيمان ضعفت الأعمال ، فالله ﷻ أكبر وأعظم ، ففي كل صفة من صفاته أكبر وأعظم من كل صفة وصف بها أحد من خلقه مهما كانت عظيمة ، وسمي نفسه الخالق البارئ المصور ، كما قال ﷻ : { هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ

الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[١].

وصفة من صفاته البديع ، كما قال ﷻ : {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ }[٢].أي خالق السماوات والأرض علي غير مثال سابق، وهو الذي يخلق أشكالا مختلفة ، كما قال تعالي : { هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاء لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }[٣].

فإذا كان هو الخالق وهو المصور وهو البارئ فكيف نحتاج في قضاء حوائجنا البشرية ، وحل مشاكلنا إلي شكل معين نُريده نحنُ، وهذا فساد يقين الناس في زماننا أنهم يريدون قضاء حوائجهم بشكل معين ، قد حددوه بدلا أن يتوجهوا إلي الله ﷻ الذي هو خالق الأسباب والأشياء والأشكال .

إنهم يتوجهون إلي شكل معين ، فهم يجتهدون ليل نهار للحصول علي ذلك الشكل المعين، فإما لا يعطيهم الله ذلك الشكل المعين في

---

١) سورة الحشر _ الآية ٢٤.
٢) سورة البقرة _ الآية ١١٧.
٣) سورة آل عمران _ الآية ٦.

أيديهم ، وإما يُعطيهم ذلك الشكل المعين، ولكن ينزع تأثيره ، فيهيمون في كل واد ، وبدلا أن تنقضي حوائجهم وتنحل مشاكلهم ، تزداد مشاكلهم ، مثلا الله ﷻ يعطي تارة أسبابا للحصول علي الصحة من المستشفى والأدوية والآلات والأطباء ولكن ينزع الصحة عنها ، ليفهم الناس أن الشافي هو الله ، ويعطي تارة أسباب العز والملك، والمال والجاه والمنصب وغيرها، وينزع العزة عنها ، ويعطي تارة أسباب الحفظ والحماية وينزع عنها الحفظ والحماية ، كما قال ﷺ : " إنما وكل ابن لمن رجا ابن آدم ، ولو أن ابن آدم لم يرجو إلا الله لم يكله إلي غيره ، إنما سلط علي ابن آدم ما خافه ابن آدم ، ولو أن ابن آدم لم يخف إلا الله لم يسلط عليه غيره.

وقدرة الله ﷻ لا تحتاج إلي شكل معين ، ولا تتقيد بشكل دون شكل ، بل قدرته مطلقة ، فيفعل الله ما يشاء بقدرته، أحيانا يفعل بالشكل الظاهري ، وأحيانا يخلق الشكل بقدرته فجأة من حيثُ لا يحتسب الإنسان ، قال تعالي: { وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ }[1] ، وعنده أشكال لا تعد ولا تُحصي للنصر والهزيمة ، فكيف نصر الله الأمم الماضية المؤمنة بأشكال مختلفة، وكيف أخذ الأمم

---

١) سورة المدثر _ الآية ٣١.

الماضية الكافرة بأشكال مختلفة فوق التصوير، قال تعالي : {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }(١).

فالحاصب والصيحة والخسف والغرق من الأشكال المخلوقة بقدرته وخلقها الله فجأة ، ويخوف الله ﷻ الأقوام الموجودة ، فيقول : { أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ * أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ }(٢).

فقدرته مطلقة لا تتقيد بالظاهر ، ولما فقد يعقوب عليه السلام ، يوسف عليه السلام، فبكي علي فراقه ، كما قال الله تعالي : {وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ * قَالُواْ تَاللّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ}(٣).

---

١) سورة العنكبوت _ الآية ٤٠.
٢) سورة الأعراف _ الآيات من ٩٧ : ٩٩.
٣) سورة يوسف _ الآيتان ٨٤ : ٨٥ .

فأجاب يعقوب قائلا :{قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }[١] .

يقول الشيخ محمد يوسف (رحمه الله): معناه : اعلم من قدرة الله ما لا تعلمون أنتم ، أنتم تعلمون الظاهر ، وأنا أعلم قدرة الله الغيبية .

ثم قال يعقوب عليه السلام : {يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ }[٢]. ثم الله ﷻ جمع بينة وبين أخوية كما قال تعالى: {قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ }[٣]

وقال يوسف عليه السلام{ اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ }[٤] .

رد بصر يعقوب عليه السلام بقميص يوسف وهذا خلاف الظاهر ويعقوب عليه السلام لم يأخذ سبب ظاهريا للعلاج ولكن الله ﷻ جعل التأثير بقدرته في

---

١) سورة يوسف _ الآية ٨٦.
٢) سورة يوسف _ الآية ٨٧.
٣) سورة يوسف _ الآية ٩٠.
٤) سورة يوسف _ الآية ٩٣.

قميص يوسف ولم يكن قميص يوسف مؤثرا بذاته بل جعله الله سببا كما قال ﷻ : { فَلَمَّا أَن جَاءِ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }(١)

فعلم من ذلك أن كل مخلوق في تأثيره محتاج إلى الله والله ﷻ لا يحتج في إظهار أثر من الآثار إلى شيء من خلقة وهو قادر أن يظهر أثر بدون شيء من الأشياء أو يجعل الأثر في أي مخلوق من مخلوقاته مثلا اللسان في النطق يحتاج إلى أمر الله والله ﷻ لا يحتاج في إظهار النطق إلى اللسان بل هو قادر أن يخرج النطق من أي عضوا شاء كما قال ﷻ : { الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }(٢)

وكذلك تتحدث الأرض يوم القيامة كما قال ﷻ : { يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا } (٣)

والله ﷻ ينطق أعضاء البدن يوم القيامة كما قال ﷻ : { حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *

---

١) سورة يوسف _ الآية ٩٦ .
٢) سورة يس _ الآية ٥٦ .
٣) سورة الزلزلة _ الآيتان ٤: ٥ .

وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } [١]

هكذا الله ﷻ لا يحتاج لإبصار أحد إلي العين بل العين تحتاج إلي أمر الله ، والله ﷻ لا يحتاج إليها واليد في البطش تحتاج إلى أمر الله والله ﷻ لا يحتاج إليها والرجل في المشي تحتاج إلى أمر الله ، والله لا يحتاج إليها هكذا المخ والقلب في التفكير والتدبر والفهم و لأدراك يحتاج إلي أمر الله ﷻ و الله ﷻ لا يحتاج إليه والطعام في سد الجوع يحتاج إلي أمر الله، والله ﷻ لا يحتاج في دفع الجوع إلي الطعام والماء في دفع العطش يحتاج إلي أمر الله ﷻ ، والله ﷻ لا يحتاج إلي الماء كما ورد عند خروج يأجوج و مأجوج يختفي المسلمون في الغار ليس طعامهم إلا التسبيح فيندفع جوعهم و عطشهم بذكر الله ﷻ وقس علي ذلك سائر المخلوقات والأسباب والأشياء المنتشرة في الكون فإنها تحتاج في إعطاء تأثيراتها إلي أمر الله ﷻ والله ﷻ لا يحتاج إليها.

فنرجع إلي قصة يوسف عليه السلام ولما اجتمعت العائلة بأكملها خاطبهم يعقوب عليه السلام وقال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون لأنه هو الذي قال سابقا وأعلم من الله ما لا تعلمون أي أعلم قدرة الله الغيبية و

---

١) سورة فصلت _ الآيتان ٢٠: ٢١ .

أنتم تعلمون الظاهر محضا وتتأثرون بالمشاهدة وأنا أتأثر بقدرة الله الغيبية، فالله ﷻ جمع بين عائلتنا كلها خلاف الظاهر بقدرته الغيبية.

والله ﷻ هو الفعال الحقيقي يفعل ما يشاء بقدرته ولا يحتاج إلي أحد من خلقه وهو خالق جميع الأشكال والصور والأسباب والأشياء ويفعل.

١) إما بالشكل الظاهري٠

٢) وإما ضد الشكل الظاهري٠

٣) وإما يخلق الشيء فجأة من حيث لا يحتسب الإنسان.

كما قال ﷻ :{ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}(١)

كما رزق الله مريم عليها السلام في محراب زكريا عليه السلام قال الله ﷻ{ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ }(٢).

---

١) سورة الطلاق _الآيتان ٢،٣.

٢) سورة آل عمران _ الآية ٣٧.

وكما رزق خبيب ﷺ في أسره وكان بيده عنقود من عنب ولم تكن حبة من عنب في مكة كلها .

وكما رزق المقداد بن الأسود ﷺ لما ذهب لقضاء حاجته فجاءت الفأرة بدينار وألقته أمامه ثم جاءت بدينار أخر هكذا ألقت سبع عشر دينارا.

وكما رزق الصحابة ﷺ في غزوة سيف البحر، دابة يقال لها العنبر أكل منها ، ثلاثمائة من الصحابة ﷺ ، ودخل ثلاثة عشرة من الصحابة في حلقة عينها .

اليقين الثاني:

أن الله ﷻ هو خالق الأحوال كلها ، وما من حال يأتي على الإنسان إلي بأمره ومشيئة ، فينبغي للإنسان أن يلتجئ إليه في كل حال من الأحوال ، وأي حال من الأحوال يمر على الإنسان فينسبه إلى الله ، وتطرأ الأحوال المختلفة على الإنسان ليلا ونهارا ، وفي أول وهلة لا بد من الالتفات إلي الله قال ﷻ : { وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا * وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى

* وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى * وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى * وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى * وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى } [١].

وإن الله ﷻ يقلب الأحوال كيف يشاء كل يوم هو في شأن لا يسأل عما يفعل وهم يسألون يعز هذا ويذل هذا ويضحك هذا ويبكى هذا يميت هذا ويحي هذا يغنى هذا ويفقر هذا وهو قادر أن يحفظ الإنسان مع جميع أسباب الهلاك وهو قادر أن يهلكه مع جميع أسباب الحفظ والحماية وهو قادر أن يعز الإنسان مع جميع أسباب الذل وقادر أن يذل الإنسان مع جميع أسباب العز قال ﷻ : { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ}[٢]

وذكر الله ﷻ قصص الأمم الماضية الكافرة، كيف الله قلب أحوالهم من العز إلي الذل، ومن القوة إلي الضعف، ومن الغنى إلي الفقر، ومن السراء إلي الضراء، ومن الحفظ إلي الهلاك .

---

١) سورة النجم _ الآيات من ٤٣ : ٥١ .

٢) سورة آل عمران _ الآيتان ٢٦،٢٧.

وكذلك ذكر الله ﷻ قصص الأمم المؤمنة كيف أصلح الله أحوالها من الذل إلي العزة ، ومن الضعف إلي القوة ، ومن الهلاك إلي الحفاظة ، ومن الضراء إلي السراء ، ومن الفقر إلي الغنى ، ومن الأحزان إلي الأفراح .

قال ﷻ : {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ }[١]

وقال ﷻ : { كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ }[٢]

وقال ﷻ : { وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ * لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ}[٣].

---

١) سورة الأعراف _ الآية ١٣٧.
٢) سورة الدخان _ الآيات من ٢٥: ٢٨ .
٣) سورة الأنبياء _ الآيات من ١١: ١٥.

وقال الله ﷻ : { وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون}[١] هذه الأحوال كانت في بداية إسلامهم ثم الله أصلح أحوالهم بقدرته ، وقال :{ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون} فإذا طرأ أي حال من الأحوال علي الإنسان فأولا يتوجه إلي الله ، ويتيقن يقينا جازما أنه من الله ، ويرضي بقضاء الله ، ويعلم أن الله رب العالمين فما من حال من الأحوال إلا والمقصود منه تربية الإنسان والله ﷻ أعلم بأحوال عباده ، وأعلم بأساليب تربيتهم ، فيربي بعضهم بالغنى ، وبعضهم بالفقر ، وبعضهم بالسراء ، وبعضهم بالضراء ، وبعضهم بالصحة ، بعضهم بالمرض ، وبعضهم بالقوة ، وبعضهم بالضعف ، قال الله ﷻ : {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاء إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ }[٢].

وربط الله ﷻ الأحوال بالأعمال ، لا بالأسباب والأشياء ، إن كانت الأعمال صالحة ،فالأحوال صالحة ، وإن كانت الأعمال فاسدة فالأحوال فاسدة ، قال الله ﷻ : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ

١) سورة الأنفال _ الآية ٢٦.
٢) سورة الشوري _ الآية ٢٧.

مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُون ﴾ (١).

وقال الله تعالي: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٢).

وربط الله ﷻ الأعمال باليقين إن كان اليقين صالحا فالأعمال تكون صالحة ، وإن كان اليقين فاسدا كانت الأعمال فاسدة .

بعبارة أخري : علي حسب اليقين الذي في القلب ، تصدر الأعمال من الجوارح ، وعلي حسب هذه الأعمال تنزل الأحوال من السماء ، أي كما تصعد الأعمال من الأرض إلي السماء ، تنزل الأحوال من السماء إلي الأرض ، وفساد الأحوال بفساد الأعمال وفساد اليقين ، فلا قوة في العالم تصلحها ، ولا يمكن أن تصلح الأحوال إلا بأمر واحد ، وحل وحيد وهو الجهد لإصلاح اليقين والأعمال ، ولذا نري كثيرا في زماننا أن الفساد قد فشا في العالم مع كثرة أسباب الأمن ، لأن الله ﷻ رفع الأمن عن العالم ، لفساد يقين القلوب ، فأسباب الأمن المادية ، لا تأتي بالأمن

---

١) سورة النحل – الآية ٩٧ .

٢) سورة الروم – الآية ٤١ .

، قال الله ﷻ : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوَاْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ (١).

أي لا يختلط يقينهم الصحيح باليقين الفاسد ، بل كان يقينهم خالصا ، علي الله ﷻ (أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ) أي في الدنيا والآخرة (وَهُمْ مُّهْتَدُونَ).

بين الله ﷻ في الآية الكريمة إن أردتم الأمن فاجتهدوا بتقوية إيمانكم وإصلاح يقين قلوبكم ، فيصلح الله أحوالكم ، وبدون ذلك لو بذلتم كل القوة من الأسباب المادية للحصول علي الأمن لا يأتي الأمن أبدا .

اليقين الثالث:

أن الله ﷻ هو رب العالمين ، وهو الذي يقضى الحوائج ويحل المشاكل بقدرته ، لا يحتاج إلي سبب من الأسباب وإلي شيء من الأشياء.

والله ﷻ هو الذي جعل الحوائج في الإنسان ، وهو الذي يقضيها ، ولكن الإنسان يري قضاء الحوائج في الأسباب والأشياء ، وهذا هو الاختبار من الله ﷻ أنه نشر الأسباب في عالم الدنيا وجعل الدنيا دار الأسباب وربط الحوائج بالأسباب ، فينظر الله ﷻ من يتيقن على

١) سورة الأنعام – الآية ٨٢ .

الأسباب الظاهرية ويتوجه إليها كل التوجه ويفر إليها في كل أمر ، ومن يتيقن على اليه ويفر إليه في كل أمر من الأمور ، مع كثرة الأسباب والأشياء، ومن يتعلق قلبه بالله ومن يتعلق قلبه بالأسباب .

ومن جملة الأسباب الملك والمال والمناصب ، والذهب والفضة ، والأرض والزراعة ، والتجارة والصناعة ، والوظيفة ، فنشرها الله في العالم ابتلاء للعباد ، ولم ينشر الأسباب في العالم لحاجته إلى الأسباب ، بمعنى أنه لا يقدر والعياذ بالله علي قضاء الحوائج بدونها ؟ بل هو غنى عن العالمين وهو الصمد ، وقد نشر الأسباب امتحانا واختبارا كما قال ﷻ: { إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } [١].

ثلاث اختبارات مقصودة من خلق الأسباب:

الأول: جعل الله بعض الأسباب حلال ، وبعضها حرام ، فمن كان يقينه علي الأسباب لا يميز بين الحلال والحرام ، بل ينظر إلي حل مشكلته بأي سبب كان حلال أو حرام ،بخلاف من كان يقينه على الله ، فهو يعرف حق المعرفة أن الله ﷻ هو قاضي الحوائج ، وهو الذي يحل المشاكل ، وأنا أختار السبب امتثالا لأمر الله وحده ، فيترك الحرام

---

١) سورة الكهف – الآية ٧ .

ويختار من الأسباب ما كان حلال مثلا قال ﷻ { الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (١)

فيترك الربا ويختار البيع ، بخلاف ما كان يقينه فاسدا ، فلا يميز بين البيع والربا ، يريد زيادة المال سواء يحصل بالمال بالحرام أم بالبيع ، وهذا هو المقياس لمعرفة اليقين أنه صحيح أم فاسد ، وإلا كل مسلم يظن بأن يقينه صحيح ، وإيمانه كامل ولا يرى نفسه بحاجه إلي إصلاح يقينه ، ولا إلا تعلم الإيمان ، وكان الصحابة ﷺ يرون أنفسهم بحاجه شديدة بتعلم الإيمان مع أنهم صحبوا رسول الله ﷺ عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا(٢).

وعَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَوْفٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ، يَقُولُ: " لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا ، وَأَحَدُنَا يُؤْتَى الإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ ، وَتَنْزِلُ

---

١) سورة البقرة – الآية ٢٧٥.

٢) سنن ابن ماجه» كتاب المقدمة» باب في الإيمان _ رقم الحديث (٦١).

السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَتَعَلَّمُ حَلالَهَا وَحَرَامَهَا ، وَآمِرَهَا وَزَاجِرَهَا ، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا ، كَمَا تَعَلَّمُونَ أَنْتُمُ الْيَوْمَ الْقُرْآنَ ، ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ رِجَالا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الإِيمَانِ ، فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا آمِرُهُ وَلا زَاجِرُهُ ، وَلا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ ، فَيَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ " [١].

وكان تعلم الإيمان مقدما على تعلم القرآن في أيام الصحابة رضي الله عنهم قال الله ﷻ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ) والخطاب للمؤمنين وأمروا بالإيمان ، مع أن الإيمان كان موجود فيهم ، فمعنى الآية تعلموا الإيمان المطلوب عند الله ، أي أخرجوا اليقين الفاسد من القلب على جميع ما سوى الله من الأسباب والأشياء والأحياء والأموات والأموال وأهل الأموال والمناصب وأهلها.

الاختبار الثاني:

أمر الله يختلف بنسبة اختيار الأسباب وتركها ، مثلا : أمر الله عند نداء الجمعة وترك البيع وعند الفراغ من الصلاة ، أباح الله ﷻ الاشتغال بالبيع والشراء ، قال ﷻ: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن

---

١) السنن الكبرى للبيهقي » كِتَابُ الْحَيْضِ » جُمَّاعُ أَبْوَابِ الْخُشُوعِ فِي الصَّلاةِ وَالإِقْبَالِ... » بَابُ الْبَيَانِ أَنَّهُ إِنَّمَا قِيلَ : يَؤُمُّهُمْ ... _ رقم الحديث (٤٨٦٨) ، المستدرك على الصحيحين» كتاب الإيمان» كيف يتعلم القرآن _ رقم الحديث (١٠٨) .

يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ } (١)

فمن كان يقينه خالصا لله وحده فهو ينظر إلى أمر الله ، إن كان أمر الله لترك الأسباب يتركها ولا يبالى ، وإن كان أمر الله لأخذ الأسباب فيأخذها امتثالا لأمر الله لا لليقين عليها ، وإن كان يقينه فاسد فلا يستطيع أن يترك الأسباب بل كان جهده ليلا ونهارا حول الأسباب ويدندن حولها ويتعب لها ويذهب وراء الأسباب وأربابها ، قال رسول الله ﷺ :" تعس عبد الدينار وعبد الدرهم " مثلا عندما يتوجه أمر الله إليه ﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُون ﴾(٢) لا يقوم بهذا الأمر بل يكون شاقا عليه لأن يقينه علي الأسباب ، ولو يقول بلسانه أنا مسلم كامل الإيمان صحيح العقيدة ، وأنا موحد بالله ولكن هذا المقياس لمعرفة صحة اليقين وفساده قال ﷻ :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي

١) سورة الجمعة – الآية ٩.
٢) سورة التوبة – الآية ٤١.

سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ} (١).

وقالﷻ في آية آخري : { قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ }(٢)

فذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة ثمانية أشياء ومنها الأموال والتجارة فهذه من جملة الأسباب ، وبسبب فساد اليقين عليها يتخلف الإنسان عن الخروج في سبيل الله.

الاختبار الثالث:

تزداد الأسباب أحيانا فمن كان يقينه خالصا على الله تستوي الحالتان عنده فلا يمرح ولا يفتخر بزيادة الأسباب ولا ييأس عند قلة الأسباب بل يكون شكورا عند زيادة الأسباب وصبارا عند قتلها قال ﷻ:{

---

١) سورة التوبة – الآية ٣٨.

٢) سورة التوبة – الآية٢٤.

لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ } [١] .

وهذا المقياس الثالث لمعرفة صحة اليقين وفساده ، فمن كان يقينه فاسد يمرح ويفتخر بزيادة الأسباب إنه لفرح فخور وييأس ويقنط عند قلة الأسباب إنه ليئوس قنوط ، فالحاصل أن يري كل مسلم نفسه بحاجة إلى إصلاح يقينه وإلي تقوية إيمانه ولا يرى نفسه مستغنيا عن هذا.

كما كان الصحابة ﷺ لم يكونوا مطمئنين على إيمانهم ، بل يخشون على أنفسهم من النفاق كما خشي أبو بكر الصديق ﷺ ، وحنظله ﷺ ، وعمر بن الخطاب ﷺ من النفاق.

فسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ يذهب إلى حذيفة ويسأله ، هل ذكرني رسول الله ﷺ في المنافقين ؟

وسيدنا ابن أبى مليكه يقول : أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف على نفسه النفاق . (رواه البخاري) .

فكان الصحابة رضي الله عنهم يخافون من النفاق ، فمن في زماننا هذا يخشى علي نفسه من النفاق ؟ بل الكل مطمئن علي إيمانه ، ولو قيل له تعلم الإيمان ، فيجيب : هل أنا كافر مشرك ، ولا شك أنه ليس

---

١) سورة الحديد – الآية ٢٤.

بكافر ولا مشرك ، ولكن اليقين فاسد ، بحيث أنه متيقن علي غير الله ، والله تبارك وتعالي ، يريد منا اليقين الخالص ، لأن كل ما سوي الله باطل والله هو الحق ، قال تعالي : { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }[١] .

وقال تعالي : {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ }[٢]

وقال تعالي :{ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ }(٣)

المراد من الحق في الآية الكريمة : الحق الخالص .

والباطل علي نوعين :

١) باطل خارجي: معروف عند المسلمين جميعا، مثل الإلحاد والزندقة والشرك بالله وعبادة الأصنام واليهودية والنصرانية والمجوسية ولا شك أنه باطل .

---

١) سورة الحج – الآية ٦١.

٢) سورة الحج – الآية ٦٢.

٣) سورة الأنبياء – الآية ١٨.

٢) باطل داخلي: هو في قلب المسلم، ولا يدري مثل اليقين الفاسد علي ما سوي الله، وقد يرسخ في جذر القلب، وإذا نظرنا إلي سيرة الرسول ﷺ فوجدنا أنه اجتهد أولا لتطهير القلوب، من وسخ اليقين الفاسد ، ولإخراج الباطل الداخلي من القلوب، مع أن الباطل الخارجي ، في صورة الأصنام التي كانت في الكعبة المشرفة ، ولكنه ﷺ لم يكسر الأصنام في حياته المكية ثلاث عشر سنة، وعندما تطهرت القلوب ، وترسخ اليقين الصحيح، علي الله وحده وخرج الباطل من القلوب فقام لتكسير الأصنام بعد فتح مكة المكرمة ولكنه ﷺ لم يكسر الأصنام في حياته المكية وهذا هو الترتيب النبوي ما يستفاد من سيرته ﷺ {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}[١] .

فكيف نجتهد لإحياء الين في العالم ، ولدمغ الباطل في العالم ؟

فلا بد أن نرجع إلي سيرة الرسول ﷺ ونقتبس من نوره ، ونفعل ما فعل ﷺ ، كما قال الإمام مالك (رحمه الله) : لا يصلح أخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها.

ومن جملة الإيمان بالله ترسيخ عظمة الله وكبرياء الله في القلوب ، كما قال ﷻ : {وَرَبَّكَ فَكَبِّر} {وَلَهُ الْكِبْرِيَاء فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ }{ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا } فالله أكبر من كل صفة من صفاته علمه أكبر كما قال :

---

١) سورة الأحزاب – الآية ٢١ .

ﷻ{ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ }وبصره أكبر ففي صفة البصر أكبر وفي السمع أكبر وقدرته عظيمه{ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير} وفي صفة الخلق أكبر ٠

يقول الشيخ يوسف (رحمه الله) : مع كل صفة من صفات الله ﷻ ثلاث صفات مرتبطة بهذه الصفة:

الصفة الأولي: أنه أكبر فمثلا في صفة الخلق فهو أكبر وفي صفة معز فهو أكبر وفي صفة أنه حفيظ فهو أكبر وغيرها من الصفات.

الصفة الثانية :أنه قادر صفة القدرة مع كل صفة من الصفات في صفة الخلق فهو القادر وفي صفة الحفظ فهو القادر وهكذا في كل الصفات.

الصفة الثالثة : أنه صمد أي لا يحتاج لأحد من خلقة ، وكان الشيخ محمد يوسف رحمه الله يقول : أن الله ﷻ ما ذكر شيء من عظم المخلوقات في القرآن الكريم إلا أن المقصود بذكره ذكر عظمة الله وكبريائه تعالي، وذكر الجنة والنار ليس لبيان عظمهما بل لبيان عظمة قدرة الله ﷻ .

إن الله أعد في الجنة ما أعد للمطيعين وأعد المصائب العظيمة للمجرمين.

فذكر الجنة ليس لبيان عظمة الجنة بل لبيان عظمة الله ﷻ .

وذكر النار ليس لبيان عظم النار ولكن لبيان عظمة الله ﷻ .

فعلي قدر ما تترسخ عظمة الله في القلوب تأتي عظمة أوامر الله في القلوب ، وعلى قدر ما تأتي عظمة أوامر الله في القلوب يسهل امتثال أوامر الله ﷻ ، مثلا إن الله ﷻ بين حرمة الربا في هذه الآية قال الله تعالي: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) خاطبهم بوصف الإيمان ، لأن الإيمان يقيم الإنسان على امتثال أوامر الله ﷻ ، ثم قال اتقوا الله ثم قال ذروا ما بقي من الربا ثم أخيرا ذكر صفة الإيمان وقال إن كنتم مؤمنين بدون الإيمان الحقيقي لا يمكن ترك الربا وكذلك إذا بين الله ﷻ حكما من الأحكام في القرآن الكريم قبله أو بعده يذكر الله ﷻ على سبيل الترغيب أو الترهيب التذكير بالإيمان والتقوى.

فمثلا: بين الله أحكام الحج فقال في أخرها واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب أي لمن خالفه وقال فلي أية أخرى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون. وبين الله أحكام الطلاق في سورة الطلاق فقال في ضمن الأحكام { وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا } وكذلك : {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} { وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا }

ما هو رباط التقوى والتوكل بأحكام الطلاق؟

أي لا يمكن العمل بأحكام الطلاق إلي أن يأتي التقوى في قلب الإنسان وبدون التقوى لا يعمل بأحكام الطلاق. ثم من جملة الإيمان بالله اليقين بموعودات الله ﷻ خلاف الظاهر وهو الإيمان والعمل الصالح

وهو القيام بامتثال أمر الله ﷻ خلاف النفس وذكر الله الإيمان والأعمال الصالحة في القرآن كله

والصديق من هو؟

هو الذي يتيقن يقينا كاملا بدون أدنى ريب وتردد بموعودات الله ﷻ وبأخبار الأنبياء كما قال الله ﷻ { وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ}

وقال الله ﷻ{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ }.

ومن أمهات العقائد الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة:

والمراد من الإيمان بالملائكة: أن يخرج اليقين من القلب على النظام الظاهري، ويأتي اليقين على النظام الغيبي، ما يسيره الله بالملائكة. والنظام على نوعين:

١) نظام ظاهري.

٢) نظام غيبي.

وبلفظ آخر نظام أرضي ونظام سماوي. وبعبارة أخرى نظام مادي ونظام روحي ، فيخرج اليقين على النظام الأرضي والمادي، ويترسخ اليقين على النظام الروحي والسماوي .

ونظام الأرض تابع لنظام السماء ، النظام الظاهري للنظام الغيبي ، والنظام المادي تابع للنظام الروحاني، لا يحدث شيء في الأرض إلي ما يقضى في السماء ، فتتصرف وجهة القلب عن النظام الظاهري ، ويتركز النظر على النظام الغيبي ، والله ﷻ لا يحتاج في تسيير نظامه الغيبي إلي الملائكة.

أنزل الله الملائكة لنصر المسلمين في معركة بدر ، قال الله ﷻ :{ وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ } [١]

لأن الإنسان يتسلى ويطمئن ويستبشر بكثرة العدد ، ولكن الله ﷻ نبه على ألا تلتجئ أنظاركم إلي الملائكة ، بل أصرفوا وجهة قلوبكم إلي الله ، فقال الله ﷻ :(وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ).

والأصل أن يكون النظام الغيبي موافق للإنسان، ولا يبالي بمخالفة النظام الظاهري له، فسواء وافقه النظام الظاهري أو خالفه، وإذا وافقه

---

١) سورة آل عمران – الآية ١٢٦ .

النظام الغيبي فهو ينجح في الدنيا والآخرة ، وإذا خالفه النظام الغيبي ولو وافقه النظام الظاهري فهو يخسر الدنيا والآخرة وذكر الله ﷻ قصص الأمم الماضية الذين هم أصلحوا يقينهم وأصلحوا أعمالهم وافقهم النظام الغيبي فنجحوا في الدنيا والآخرة مع أن النظام الظاهري ضدهم.

الإيمان بالملائكة ينتظم في معان :

أولا : التصديق بوجودهم

ثانيا: إنزالهم منازلهم، وإثبات أنهم عباد الله وخلقه كالإنس والجن مأمورون مكلفون لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله عليه والموت عليهم جائز ولكن الله جعل لهم أمدا بعيدا فلا يتوفاهم حتى يبلغوه . ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلي إشراكهم بالله تعالي ولا يدعون آلهة كما دعتهم الأوائل .

الثالث : الاعتراف بأن منهم رسلا يرسلهم الله إلي من يشاء من البشر وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلي بعض ويتبع ذلك الاعتراف أن منهم حملة العرش، كما قال الله ﷻ :{ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ

كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ }[١]

وقال الله ﷻ :{ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[٢]

ومنهم الصافون ، كما قال الله ﷻ :{ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ}[٣] ومنهم خزنة الجنة، ومنهم خزنة النا، ومنهم كتبة الأعمال ، ومنهم الذين يسوقون السحاب، فقد ورد في القرآن بذلك كله أو أكثره.

والملائكة لا يعلم عددها إلا الله ، كما قال تعالي: (وما يعلم جنود ربك إلا هو)[٤].

أخرج البيهقي في الشعب عن ابن مسعود ﷺ قال ما في السموات شيء موضع أكرم مجلس وأحسن حديثا منه قال: ذاك جبريل وإن منكم لرجال لو أن أحد يقسم على الله لأبره.

---

١) سورة غافر– الآية ٧ .
٢) سورة الزمر – الآية ٧٥.
٣) سورة الصافات – الآيتان ١٦٥ ، ١٦٦ .
٤) سورة الزمر– الآية ٧٥.

وأخرج البيهقي عن ثابت قال بلغنا أن الله تعالي وكل جبريلعليه السلام بحوائج الناس، فإذا دعا المؤمن قال: يا جبريل أحبس حاجته فإني أحب دعائه ،وإذا دعا الكافر قال يا جبريل أقضى حاجته فإني أبغض دعائه ، قال البيهقي هذا هو المحفوظ.

وأخرج الحاكم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ وزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل ومن أهل الأرض أبو بكر وعمر.

وأخرج البيهقي والطبراني وأبو الشيخ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ: " بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ يُنَاجِيهِ ، إِذِ انْشَقَّ أُفُقُ السَّمَاءِ فَأَقْبَلَ جِبْرِيلُ يَتَضَاءَلَ ، وَيَدْخُلُ بَعْضُهُ فِي بَعْضِهِ، وَيَدْنُو مِنَ الأَرْضِ، فَإِذَا مَلَكٌ قَدْ مَثُلَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ! إِنَّ رَبَّكَ يُقْرِئُكَ السَّلامَ ، وَيُخَيِّرُكَ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ نَبِيًّا مَلَكًا ، وَبَيْنَ أَنْ تَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَأَشَارَ جِبْرِيلُ إِلَيَّ بِيَدِهِ أَنْ تَوَاضَعْ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ نَاصِحٌ ، فَقُلْتُ لَهُ: عَبْدًا نَبِيًّا ، فعَرَجَ ذَلِكَ الْمَلَكُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ ! قَدْ كُنْتَ أَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ هَذَا فَرَأَيْتُ مِنْ حَالِكَ مَا شَغَلَنِي عَنِ الْمَسْأَلَةِ ، فَمَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَذَا إِسْرَافِيلُ خَلْقهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلْقَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، صَافِنًا قَدْمَيْهِ ، لا يَرْفَعُ طَرْفَهُ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّبِّ سَبْعُونَ نُورًا، مَا مِنْهَا نُورٌ يَدْنُو مِنْهُ إِلا احْتَرَقَ ، بَيْنَ يَدَيْهِ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ ، فَإِذَا أَذِنَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ، أَوْ

فِي الأَرْضِ ، ارْتَفَعَ ذَلِكَ اللَّوْحُ يَظْرِبُ جَبِينَهُ ، فَيَنْظُرُ فِيهِ ، فَإِنْ كَانَ مِنْ عَمَلِي أَمَرَنِي بِهِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ عَمَلِ مِيكَائِيلَ أَمَرَهُ بِهِ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، عَلَى أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ ؟ قَالَ: عَلَى الرِّيَاحِ وَالْجُنُودِ، قُلْتُ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ مِيكَائِيلُ ؟ قَالَ: عَلَى النَّبَاتِ، قُلْتُ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ مَلَكُ الْمَوْتِ ؟ قَالَ: عَلَى قَبْضِ الأَنْفُسِ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّهُ هَبَطَ إلا بِقِيَامِ السَّاعَةِ، وَمَا ذَاكَ الَّذِي رَأَيْتَ مِنِّي إلا خَوْفًا مِنْ قِيَامِ السَّاعَةِ ، قَوْلُهُ : بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّبِّ سَبْعُونَ نُورًا : يَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بَيْنَهُ، وَبَيْنَ عَرْشِ الرَّبِّ "[١] .

والمراد من الإيمان بالملائكة: أن يخرج اليقين الفاسد عي نظم الإنسان وعلي نظام المشاهدة وعلي نظام الأرض وعلي نظام المادة ، ويأتي اليقين علي نظام الله عز وجل ، وعلي نظام السماء وعلي نظام الروحانية ، فلا يكون شيء بنظام الإنسان ، بل كل شيء بنظام الله الغيبي ، ونظام الله الغيبي هو الغالب علي نظام كل شيء لا يحدث شيء في الأرض حتى يقضي في السماء .

---

١) شعب الإيمان للبيهقي » الثَّالِثُ مِنْ شُعَبِ الإِيمَان وهو باب في الإيمان ... » فصل في معرفة الملائكة_ رقم الحديث (١٤٣) المعجم الكبير للطبراني _ رقم الحديث (١٠٥٤٥).

إن الإيمان لا يكون بوجود الملائكة فقط، بل مقصود منه اليقين علي نظام الحفظ بالملائكة ، نظام المطر بالملائكة ، ونظام الأرزاق بالملائكة .

وملائكة يستغفرون لزائري المرضي، وملائكة يكتبون الأعمال، وملائكة يحفون بحلق الذكر والعلم ، وملائكة العرش يستغفرون للذين آمنوا ، وملائكة تنزل عند الموت [١].

ومن أمهات العقائد الإيمان بالكتب:

والمراد منه أن يترسخ الإيمان واليقين علي العلوم الإلهية ، ويخرج اليقين من القلب علي العلوم الإنسانية والعصرية ، كل العلوم الإنسانية ظنية لا تخلو من الشك ، لأن أساسها علي التجريبات والمشاهدات ، والتجربات تتغير ، والمشاهدات تُصيب وتخطئ ، والعلوم الإلهية كلها يقينية لا ريب فيها ولا شك لأن أساسها علي موعودات الله ﷻ ، قال تعالي :

{ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثًا }(٢)

{ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً }(٣)

---

١) انظر كتاب الحق المبين في معرفة الملائكة المقربين بقلم / محمد علي محمد إمام.

٢) سورة النساء – الآية ٨٧.

٣) سورة النساء – الآية ١٢٢ .

{وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ }(١).

{ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ }(٢) .

وفي العلوم الإنسانية البحث عن تأثيرات الأشياء وقوة الأشياء.

وفي العلوم الإلهية تأثيرات الأعمال، وقوة الأعمال، فمثلا تأثير التقوى:

الأول : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ﴾ (٣).

الثاني : ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ (٤).

الثالث : قال تعالي :{ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا }(٥).

الرابع : قال تعالي : ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (٦)

الخامس : قال تعالى: ﴿ يا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوَاْ إَن تَتّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفّرْ عَنكُمْ سَيّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٧)

---

١) سورة التوبة – الآية ١١١ .
٢) سورة الرعد – الآية ٣١ .
٣) سورة الطلاق – الآية ٢.
٤) سورة الطلاق – الآية ٣ .
٥) سورة الطلاق – الآية ٤ .
(٦) سورة آل عمران – الآية ١٢٠ .
(٧) سورة الأنفال – الآية ٢٩

السادس : قال الله ﷻ ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١)، وقال الله ﷻ ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (٢) .

السابع : قال الله تعالي :{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ }(٣).

وكذلك تأثير التوكل علي الله ، وتأثير الصبر، والشكر، وتأثير الإيمان.

وكذلك قوة الأعمال ، مثل: قوة الدعاء ، وقوة الصدقة ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ فَخَلَقَ الْجِبَالَ فَعَادَ بِهَا عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ فَعَجِبَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ شِدَّةِ الْجِبَالِ قَالُوا يَا رَبِّ هَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ الْجِبَالِ قَالَ نَعَمْ الْحَدِيدُ قَالُوا يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ الْحَدِيدِ قَالَ نَعَمْ النَّارُ فَقَالُوا يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ النَّارِ قَالَ نَعَمْ الْمَاءُ قَالُوا يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ الْمَاءِ قَالَ نَعَمْ الرِّيحُ قَالُوا يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ الرِّيحِ قَالَ نَعَمْ ابْنُ آدَمَ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ بِيَمِينِهِ

---

١) سورة البقرة – الآية ١٩٤ .

٢) سورة النحل – الآية ١٢٨

٣) سورة الأعراف – الآية ٩٦ .

يُخْفِيهَا مِنْ شِمَالِهِ قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعًا إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ [١].

من العلوم الإنسانية تأثيرات الأشياء وقوة الأشياء ، وهي غير يقينية ، وفيها معرفة الاستفادة بالأشياء والأشياء محدودة وفانية ، فالفائدة التي تحصل بها محدودة وفانية ، بخلاف العلوم الإلهية ،فإن معرفة الاستفادة بالأعمال من خزائن الله مباشرة ، وخزائن الله غير محدودة ، فمن تعلم الاستفادة بالأعمال يستفيد بها في الدنيا والآخرة ، وفي العالم كله.

فالمطلوب إخراج من القلب التأثر بالعلوم الإنسانية، وإدخال التأثر بالعلوم الإلهية (القرآن والسنة)، كما كان الصحابة رضي الله عنهم يتأثرون بها.

والنجاح كل النجاح في تعلم العلوم الإلهية، والعمل بها، والدعوة إليها.

كانت هناك ثلاثة أشياء في أهل العلوم الإلهية :

الأول: اليقين بها، كما قال الصحابة رضي الله عنهم: عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا[١].

---

١) سنن الترمذي » كتاب تفسير القرآن» باب ومن سورة المعوذتين _ رقم الحديث (٣٣٦٩).

وعَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَوْفٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ، يَقُولُ: " لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا ، وَأَحَدُنَا يُؤْتَى الإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَتَعَلَّمُ حَلالَهَا وَحَرَامَهَا ، وَآمِرَهَا وَزَاجِرَهَا ، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا ، كَمَا تَعَلَّمُونَ أَنْتُمُ الْيَوْمَ الْقُرْآنَ ، ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ رِجَالا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الإِيمَانِ ، فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا آمِرُهُ وَلا زَاجِرُهُ ، وَلا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ ، فَيَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ " [٢].

وأن الله ﷻ ذكر من صفات المؤمنين {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } [٣] ولا يمكن زيادة الإيمان إلا باليقين عليها.

الثاني : العمل بها .

الثالث : الدعوة إليها .

---

١) سنن ابن ماجه» كتاب المقدمة» باب في الإيمان _ رقم الحديث (٦١).

٢) السنن الكبرى للبيهقي » كِتَابُ الْحَيْضِ » جُمَّاعُ أَبْوَابِ الْخُشُوعِ فِي الصَّلاةِ وَالإِقْبَالِ... » بَابُ الْبَيَانِ أَنَّهُ إِنَّمَا قِيلَ : يَؤُمُّهُمْ ... _ رقم الحديث (٤٨٦٨) ، المستدرك على الصحيحين» كتاب الإيمان» كيف يتعلم القرآن _ رقم الحديث (١٠٨) .

٣) سورة الأنفال – الآية ٢ .

وهذه الصفات الثلاثة كانت مشتركة في قراء الصحابة وعلمائهم مثل: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وعبد الله بن مسعود، وأبو هريرة رضي الله عنهم أجمعين.

أخرج ابن سعد من طريق الواقدي عن كعب بن مالك ﷺ قال: كان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: خرج معاذ إلى الشام لقد أخلّ خروجه بالمدينة وأهلها في الفقه، وما كان يفتيهم به، ولقد كنت كلمت أبا بكر رحمه الله أن يحبسه لحاجة الناس إليه، فأبى ليّ وقال: رجل أراد وجهاً يريد الشهادة فلا أحبسه. فقلت: والله إنَّ الرجل ليرزق الشهادة وهو على فراشه وفي بيته عظيم الغنى عن مِصره. قال كعب بن مالك: وكان معاذ بن جبل يفتي الناس بالدينة في حياة النبي ﷺ وأبي بكر. كذا في الكنز [١].

وأبي بن كعب ﷺ كان أقرأ الصحابة ﷺ فما غزا رسول الله ﷺ غزوة إلا وفيها أبي بن كعب .

فالدعوة إلي والخروج في سبيل الله ﷻ رأس كل شعب الدين .

الدين ينير مثل المصباح ووقوده الدعوة إلي الله .

---

١) حياة الصحابة _ باب رغبة الصحابة رضي الله عنهم وشوقهم إلي الجهاد والنفر في سبيل الله ٤٣٥/١ .

إذا كانت الدعوة موجودة فتحيى شعب الدين كلها ، وإذا خرجت الدعوة من الأمة فتخرج الروح من جميع شعب الدين.

الفرق بين الدعوة والتعليم ؟

الدعوة : الجهد علي غير الطالبين لإنشاء طلب الدين فيهم علي منهاج النبوة.

التعليم : للطالبين وغير الطالبين، والطالبين أكثر من غير الطالبين، فلذلك جهد الدعوة أهم من التعليم .

الله ﷻ بين ثلاثة مقاصد لبعثة النبي ﷺ :

المقصد الأول : تلاوة الآيات : وهي دعوة المخاطبين الأولين وكانوا عرب، وكان النبي ﷺ يتلوا عليهم الآيات {وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا } (١) فكان القرآن يعمل في قلوبهم ، فيخافون {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ }(٢)

المقصد الثاني : تعليم الكتاب والحكمة : هذا يترتب علي الأول بعد إنشاء الطلب كما حدث مع وفد ثقيف: فعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ ، أَنّ

---

١) سورة الكهف – الآية ٢٧ .

٢) سورة فصلت – الآية ٢٦ .

رَسُولَ اللَّـهِ صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ أَنْزَلَهُمْ فِي قُبَّـةٍ فِي الْمَسْجِدِ لِيَكُونَ أَرَقَّ لِقُلُوبِهِمْ ، وَاشْـتَرَطُوا عَلَيْـهِ حِينَ أَسْـلَمُوا أَنْ لا يُحْشَـرُوا (١) ، وَلا يُعْشَـرُوا (٢)، وَلا يُجَبُّوا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ : " لَكُمْ أَنْ لا تُحْشَرُوا وَلا تُعْشَرُوا وَلا خَيْرَ فِي دِينٍ لَيْسَ فِيهِ رُكُوعٌ "(٣) .

عَنْ وَهْـبٍ ، قَـالَ: سَـأَلْتُ جَـابِرًا عَنْ شَـأْنِ ثَقِيـفٍ إِذْ بَايَعَتْ ، قَـالَ: اشْتَرَطَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لا صَدَقَةَ عَلَيْهَا، وَلا جِهَادَ، وَأَنَّـهُ سَـمِعَ النَّبِـيَّ صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ بَعْدَ ذَلِـكَ يَقُـولُ: " سَيَتَصَـدَّقُونَ وَيُجَاهِدُونَ إِذَا أَسْلَمُوا " (٤) .

وكذلك قصة بعث معاذ بن جبل إلي اليمن :

وعن ابْنَ عَبَّاسٍ ، يَقُولُ : " لَمَّا بَعَثَ النَّبِـيُّ صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ ، قَالَ لَـهُ :" إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ

---

١) أي يجمعوا ويساقوا للجهاد .

٢) أن تؤخذ منهم العشور وهى صدقة ولا تجبى منهم زكاة .

٣) دلائل النبوة للبيهقي» الْمَدْخَلُ إِلَى دَلائِلِ النُّبُوَّةِ وَمَعْرِفَةِ ... » جُمَّاعُ أَبْوَابِ غَزْوَةِ تَبُوكَ» بَابُ : قُدُومِ وَفْدِ ثَقِيفٍ وَهُمْ أَهْلُ الطَّائِفِ _ رقم الحديث (٢٠٦١)، السنن الكبرى للبيهقي _ رقم الحديث (٣٩٨٤)، مسند الإمام أحمد _ رقم الحديث (١٧٥٦١ _ ١٧٥٦٢) ، سنن أبي داود _ رقم الحديث (٢٦٣٤)، مسند أبي داود الطيالسي_ رقم الحديث (٩٧٢).

٤) سنن أبي داود _ رقم الحديث (٢٦٣٣) ، مسند الإمام أحمد (١٤٣٧٨٩)، دلائل النبوة للبيهقي» الْمَدْخَلُ إِلَى دَلائِلِ النُّبُوَّةِ وَمَعْرِفَةِ ... » جُمَّاعُ أَبْوَابِ غَزْوَةِ تَبُوكَ» بَابُ : قُدُومِ وَفْدِ ثَقِيفٍ وَهُمْ أَهْلُ الطَّائِفِ _ رقم الحديث (٢٠٦٢)،

أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ ، فَإِذَا صَلَّوْا ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ ، فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ ، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ " (١).

المقصد الثالث : تزكية النفوس : أي بعد تعليمهم العلوم الظاهرية ، تزكية أرواحهم من الرذائل كلها ، كما قال الله تعالي : {لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ }(٢)

وقال تعالي :{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }(٣).

---

١) صحيح البخاري» كِتَاب التَّوْحِيدِ» بَاب مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ _ رقم الحديث (٦٨٤٨) ،صحيح البخاري _ باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة رقم (١٣٨٩).

٢) سورة آل عمران _ الآية ١٦٤ .

٣) سورة الجمعة _ الآية ٢.

بتعظيم الأمر ، يأتي عظمة الآمر في القلب ، وبعظمة الآمر يسهل امتثال الأوامر .. فلا بد من بيان عظمة الله وكبريائه ، كما قال الله تعالي: { وَلَهُ الْكِبْرِيَاء فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }(١) ، وقال تعالي : {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا }(٢) وقال تعالي :{وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ }(٣). فنكبر الله ﷻ ونصغر كل ما سواه، نكبر الله ﷻ ونصغر السماوات السبع ، نكبر الله ﷻ ونصغر الأرضين السبع، نكبر الله ﷻ ونصغر الجبال ، نكبر الله ﷻ ونصغر البحار، نكبر الله ﷻ ونصغر النيران، نكبر الله ﷻ ونصغر طواغيت الزمان، كما كبر الصحابة رضي الله عنهم الله ﷻ وصغروا كل ما سواه .

ومن سنة الله ﷻ : لما نكبر الله ﷻ ونصغر ما سواه ، فيسخر الله لنا ما سواه، وهذا هو السر لتسخير البحار والنيران والسباع والأسود والهواء لأصحاب محمد ﷺ .. لأنهم صغروا كل مخلوق فسخر الله لهم كل مخلوق.

---

١) سورة الجاثية _ الآية ٣٧.

٢) سورة الإسراء _ الآية ١١١.

٣) سورة المدثر _ الآية ٣.

.

بين الله في كتابه كيف تتحرر الأمم من الطواغيت :

فبنو إسرائيل كانوا مستضعفين في الأرض، وفرعون كان يذبح أبنائهم ، ويستحيي نسائهم ، قال تعالي :{ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ }(١) فأراد الله أن يَمُنَّ عليهم ، قال تعالي : {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ }(٢).

فأراد الله أن يمنحهم خمسة أشياء :

الأول: خروجهم من الذل إلي العز: (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ).

الثاني : إمامتهم في الدين والدنيا(وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً).

---

١) سورة البقرة _ الآية ٤٩.

٢) سورة القصص _ الآيات من ٤ : ٦ .

.

الثالث: توريثهم وتمليكهم خزائن فرعون كلها(وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ).

الرابع: التمكين في أرض مصر (وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ) .

الخامس: خيبة أعدائهم (وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ).

وهذه الخمسة أشياء يريدها المسلمون في زماننا، بدون أن نمر بالمراحل التي مرت بها بنو إسرائيل ، فالنظام الغيبي كان موافقا لهم، والنظام الغيبي لا يوافق الإنسان إلا بصلاح اليقين وصلاح الأعمال، فأرسل موسي عليه السلام داعيا لهم لإصلاح يقينهم وأعمالهم ، وكان نظام فرعون أن لا يولد موسي عليه السلام ، وإذا ولد فيقتل ، ونظام الله عز وجل أن يبعث موسي عليه السلام للدعوة إلي الله ، فتضادا النظامان ، النظام الظاهري والنظام الغيبي .

فولد موسي عليه السلام ، فجاء الأمر إلي أم موسي: { وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ }(١).

وكانت أم موسي تخاف من الهلاك فأمرها الله عز وجل أن تلقيه في موضع الهلاك، وإذا كان أمر الله خلاف النفس فوعد الله عليه خلاف

---

١) سورة القصص _ الآية ٧.

الظاهر، ولو تأملنا الأوامر المذكورة في القرآن الكريم وجدناها خلاف النفس .

ووجدنا علي امتثالها موعودات الله ﷻ خلاف الظاهر ، مثل قول الله ﷻ : {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا }(١) هذا أمر شاق علي النفس ، ووعد الله عليها خلاف الظاهر{ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى } (٢) وقس علي ذلك الأوامر والموعودات عليها.

ففي قصة موسي عليه السلام : وعد الله مع أمه خلاف الظاهر:

الوعد الأول : (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) (٣).

رادوه : بضمير جمع المتكلم ، وفيه من الجلال والربوبية ، لا يخفي علي من له ذوق للغة العربية .

الوعد الثاني : (وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)

ولم يذكر الله ﷻ شكلا ونظاما وترتيبا ووقتا للإيفاء بهاذين الوعدين. . وهذا هو الأسلوب في سائر موعودات الله ﷻ .. فالله تبارك وتعالي يعد الوعد في القرآن بدون ذكر الترتيب والنظام والشكل

---

١) سورة طه _ الآية ١٣٢.

٢) سورة طه _ الآية ١٣٢.

٣) سورة القصص _ الآية ٧.

المخصوص والوقت المعين لإيفاء وعده، لأنه هو الفعال الحقيقي ، يفعل ما يشاء بقدرته، ضد الشكل أو مع الشكل، أو يخلق الشكل فجأة بقدرته، فمن أسمائه الخالق البارئ المصور . . ومنزه عن الأشكال والصور فكيف يحتاج إليها ؟.

فالله تبارك وتعالي لم يذكر في هذين الوعدين ، متي يرد موسي عليه السلام إلي أمه ، ومتي يجعله من المرسلين ، وبأي شكل وبأي نظام وبأي ترتيب ، لم يتعرض لهذه الأمور .

ويريد الله ﷻ من عباده أن يتيقنوا علي وعده يقينا جازما أن وعده حقا ، ولا يتأملون متي وكيف ، ويفوضون أمرهم إلي الله .

قال الله ﷻ : {فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ }(١) خاطئين لأنهم لم يعرفوا نظام الله الغيبي ، والفصل السماوي ، وإرادة الله ومشيئته .

فألق الله ﷻ حبه في قلب زوجة فرعون، وهذا الإلقاء أي المحبة في قلبها من الله ﷻ، فما من حال يمر علي الإنسان ، إلا وهو بأمر الله ومشيئته ، قال الله ﷻ : {إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ

(١) سورة القصص _ الآية ٨.

لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي }(١) وقالت امرأة فرعون : {وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ }(٢) بنظام الله الغيبي والفصل السماوي .

ثم الله ﷻ رد موسي إلي أمه وجعل لردة شكلا عجيبا فالله ﷻ يقول حكاية عن قول أمه { وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ } (٣) فموسي عليه السلام ما كان يقبل من أي مرضعة لأن اللهﷻ منع منعا تكوينيا وإذا كان المنع من الله فمن يستطيع أن يرضع موسي ، وفرعون مع حكومته وقوته وماله عجز عن إرضاع موسي فنظام الإنسان أن يرضع موسي ونظام الله ﷻ ألا يرضع من أمه فغلب نظام الله {وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ } (٤) رد الله موسي إلي أمه بهذا الشكل، وجعل الله هذا

---

١) سورة طه _ الآيتان ٣٨ ، ٣٩.
٢) سورة القصص _ الآية ٩.
٣) سورة القصص _ الآيتان ١١ ، ١٢.
٤) سورة القصص _ الآية ١٢

الشكل فجأة بقدرته فوق التصور، وهو لا يحتاج إلي الشكل المعين ، بل عنده أشكال لا تعد ولا تحصي ، قال الله ﷻ :{ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } (١) أوفي الله الوعد الأول ما قاله لأمه إنا رادوه إليك بهذا الشكل المذكور ، ثم الله أوفي بالوعد الثاني ما قاله لأمه وجاعلوه من المرسلين ، رزقه الله النبوة على جبل الطور ، قال الله ﷻ: { فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي } (٢)

فالنظام على نوعين :

١) نظام الإنسان. ٢) ونظام الله .

ولا يكون شيء بنظام الإنسان ، بل كل شيء بنظام الله الواحد القهار، والله غالب على أمره ، ونظام الإنسان تابع لنظام الله ، فلا يكون شيء بنظام التجار، ولا بنظام المزارعين، ولا بنظام أهل الصناعة ، ولا بنظام الحكومات ، ولا بنظام أهل المادة ، ولا بأهل الفنون الإنسانية ،

---

١) سورة القصص _ الآية ١٣

٢) سورة طه _ الآيات ١٠: ١٤.

فننفي عن جميع الأنظمة ، ونثبت نظام الله الواحد {إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكِّلُونَ }(١) أليس الله بأحكم الحاكمين ، فلا يكون شيء ما يشاءه تجار العالم وصناع العالم وحكام العالم ، بل ما يشاء الله ﷻ {وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } (٢).

وكيف يوافقنا النظام الغيبي ؟

حتى يوافقنا النظام الغيبي لا بد لنا من جهدين علي أمرين :(اليقين ، والعمل) .

فبصلاح اليقين وصلاح الأعمال ، يصلح الله ﷻ الأحوال ، وإذا فسد اليقين وفسدت الأعمال ، يفسد الله الأحوال ، وقد بين الله ﷻ نظامه الغيبي والسماوي في القرآن الكريم ، قال الله ﷻ :{ فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً }(٣).

---

١) سورة يوسف _ الآية ٦٧.
٢) سورة الإنسان _ الآية ٣٠.
٣) سورة الإسراء _ الآية ٥.

وقد بين الله ﷻ نظامه في آيات عديدة ، قال تعالي :﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١).

وإذا أردت أن تعرف النظام الغيبي السماوي ، ما هو ؟ وكيف يوافق الإنسان ؟ ، فتأمل وتدبر في قصص الأمم الماضية ، كيف كان عروجها ، وكيف كان زوالها ؟ وما هي أسباب عروجهم ؟ وما هي أسباب زوالهم وانحطاطهم ؟ وهذا القصص مذكور في القرآن إجمالا وتفصيلا ، وإذا تأملت فيها فتح الله عليك نظامه الغيبي ، وهذا النظام الغيبي يسيره الله ﷻ ، مع أنه لا يحتج إلي الملائكة ، فهو وكل الملائكة للقيام بأعمال عديدة في الأرض والسماء .

ومن أمهات العقائد :(الإيمان بالأنبياء عليهم السلام):

قال تعالى: ﴿ آمَنَ الرّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رّبّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مّن رّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٢).

---

١) سورة الروم – الآية ٤١ .

٢) سورة: البقرة – الآية: ٢٨٥

المراد من الإيمان بالأنبياء عليهم السلام :

أن يترسخ اليقين في القلب، أن شخصية الإنسان لا تتكون بالتصبغ بصبغة أهل الملك والمال والمادة والأشياء، بل الشخصية تتكون بالتصبغ بصبغة الأنبياء عليهم السلام، لأن الشخصية كانت للأنبياء عليهم السلام ، ولم تكن لأهل الملك والمال والمادة .

مثلا: كانت العزة والشخصية لموسي عليه السلام مع أنه كان يسكن في العريش ، وما كانت لفرعون وقارون وهامان وشداد مع أنهم أهل الملك والمال والوزارة والمادة ، وكانت العزة والشخصية لنبينا محمد ﷺ مع أن مسكنه كان بسيط ، وينام علي الحصير ويتحمل الجوع ، ولم تكن العزة والشخصية لكسري وقيصر مع أنهم كانوا أهل الملك والمال ويسكنون في القصور وينامون علي الديباج والحرير ، فمن أراد العزة فليصتبغ بصبغة الأنبياء عليهم السلام، قال الله تعالي : { وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ }(١) وقال تعالي :{ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا }(٢) أي تخرج العزة من خزائن الله علي طريق الرسول ﷺ .

---

١) سورة المنافقون – الآية ٨.

٢) سورة النساء – الآية: ١٣٩ .

فالعزة كل العزة في امتثال أوامر الله ﷻ علي طريق النبي ﷺ ، وأرسل نبينا ﷺ قدوة وأسوة حسنة لنا وللناس إلي يوم القيامة قال الله تعالي :{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}(١) .

ولا طريق للمحبوبية عند الله إلا باتباع النبي ﷺ، قال الله ﷻ : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبّونَ اللّهَ فَاتّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رّحِيمٌ﴾ (٢) .

فالرسول ﷺ حبيب الله فمن اتبع سنته يكون محبوبا عند الله تبارك وتعالي.

الله تبارك وتعالى ذكر أعضاءه الشريفة في القرآن :

١) وجه ﷺ : قال تعالي : { قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ }(٣).

---

١) سورة الأحزاب – الآية ٢١ .
٢) سورة آل عمران – الآية ٣١ .
٣) سورة البقرة – الآية ١٤٤ .

٢) قلبه ﷺ : قال تعالي : {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ } [١] وقال تعالي : { مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى } [٢].

٣) لسانه ﷺ : قال تعالي : { فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا } [٣].

٤) صدره ﷺ : قال تعالي : { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } [٤] .

٥) ظهره ﷺ : قال تعالي : {الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ } [٥].

٦) نطقه ﷺ : قال تعالي : {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى } [٦].

٧) بصره ﷺ : قال تعالي : { مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى } [٧].

---

١) سورة الشعراء – الآيات من ١٩٢ : ١٩٤ .
٢) سورة النجم – الآية ٣.
٣) سورة مريم – الآية ٩٧ .
٤) سورة الشرح – الآية ١ .
٥) سورة الشرح – الآية ٣.
٦) سورة النجم – الآيتان ٣ ، ٤ .
٧) سورة النجم – الآيتان ١٧ ، ١٨ .

وأقسم بحياته ﷺ ولم يقسم بحياة نبي من الأنبياء غيره :

قال تعالى : {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ } [١].

وأقسم ببلده ﷺ فقال : {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ } [٢]. وقال تعالى: { وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ } [٣].

وأقسم على عظم خلقه ، فقال : {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ } [٤].

ومن أمهات العقائد :(الإيمان باليوم الآخر):

معناه أن يترسخ اليقين علي اليوم الآخر فإنه هو القطعي علي كل واحد منا ، فلا مفر منه ، وطوله كما قال الله تعالي : {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ * فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا * يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ

---

١) سورة الحجر – الآية ٧٢.

٢) سورة البلد – الآيتان ١ ، ٢ .

٣) سورة التين – الآيات من ١ ، ٣ .

٤) سورة القلم – الآيات من ١ :٤ .

* وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ * وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا * يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ * كَلَّا إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى * تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعَى }[١] بخلاف سائر الأيام التي نعيش فيها فإنها ظنية غير قطعية ، لا ندري أن اليوم الحاضر الذي نحنُ فيه ندرك كله أم لا.

ولا يخفي علي أحد أن للأيام الحاضرة حوائج ولها مشاكل ، وحوائجها ومشاكلها معروفة عند كل واحد ، فكما أن للحياة الدنيا حوائج كذلك للحياة الأخروية حوائج ، وكما أن للحياة الدنيا مشاكل كذلك تحدث المشاكل للحياة الأخروية، فإذا كان اليوم الحاضر غير قطعي فحوائجه ومشاكله غير قطعية ، واليوم الآخر هو اليوم القطعي واليقيني فحوائجه ومشاكله قطعية ويقينية ، بل حوائج الدنيا مقابل حوائج الآخرة كقطرة مقابل البحار ، ومشاكل الحياة الدنيوية مقابل مشاكل الحياة الأخروية كالقطرة مقابل البحار.

وإن الناس عوامهم وخواصهم يتفكرون لقضاء حوائج الدنيا، كيف تنقضي، ويتفكرون لحل مشاكل الدنيا ، وإن هذا الفكر غير ممنوع شرعا

---

١) سورة المعارج – الآيات من ٤ : ١٨ .

إلا أن يغلب الفكر لقضاء حوائج الدنيا وحل مشاكلها ، علي الفكر لقضاء حوائج الآخرة ، وحل مشاكلها .

وقد ذكر الله ﷻ مشاكل الآخرة في القرآن والآيات كثيرة في أحوال الآخرة ، قال تعالى : {فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ *أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ } (١).

وقال تعالى :{ فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَى * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى * فَأَمَّا مَن طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى * يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا * إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا * إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا * كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا}(٢).

---

١) سورة عبس – الآيات من ٣٣ : ٤٢ .

٢) سورة النازعات – الآيات من ٣٤ : ٤٦ .

وقال تعالى :{ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ *وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ }[١].

والآيات كثيرة ومعلومة ، والقرآن مليء بمشاهد يوم القيامة .

* * * * * *

١) سورة التكوير – الآيات من ١ : ١٤ .

الإيمان الحقيقي

الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين تحصلوا على الإيمان ، وبسبب الإيمان صار دينهم قوياً جداً ، وبسبب قوة إيمانهم فالله أعطاهم النجاة .

الصحابة رضي الله عنهم كانوا أقل منا عدداً وعُددا ، كان عددهم ١٢٤ ألف ونحن أكثر من ألف مليون ، وكانت بيوتهم صغيرة طعامهم فيه تقشف واللباس مرقع ، وكانوا يركبون الجمال والنوق ، وكانت حياتهم بسيطة ، ومع ذلك كله الله ﷻ أعطاهم النجاة والعزة أمام طواغيت زمانهم (كسرى .. وقيصر .. ورستم .. ويزدجرد .. وأبو جهل .. وأبو لهب .. ويهود خيبر .. ونصارى تبوك .. وكذلك مشركي مكة الذين كانوا يضربون الصحابة الكرام رضي الله ، ولكن لما تحصلوا على قوة الإيمان ، وقوة الدين ، فالله ﷻ أعطاهم النجاة أمام طواغيت زمانهم .

ونحن فى زماننا هذا أكثر من ألف مليون ، ونحن كذلك مؤمنون ولكن نحن في الذلة والخسارة ، مع أننا نركب الطائرات والسيارات ولباسنا جميلة ، وبيوتنا عالية ، وطعامنا فيه رفاهية ، وأموالنا كثيرة ، كل شئ عندنا كثير ، ولكن مع هذا نحن فى الذلة والخسارة .

فما سبب نجاحهم مع قلة عددهم وعُددهم ؟

وما سبب خسارتنا مع كثرة عددنا وعُدتنا ؟

فالأعداء يستهزئون بنا ويقولون ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ و ﴿ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِين ﴾ . . ويسألوننا هل هذه الموعودات للصحابة فقط أم لكم أيضاً ؟ هكذا يتكلمون أمام الطلبة في المدارس العصرية ليغيروا فكرهم وتوجهاتهم في الدين إلى الفكر المنادى والحضارة الغربية ويجعلون الشك في قلوبهم .. فإذا أجبنا عليهم باللسان فقط فهذا لا يكفى .

لو أن التاجر موجود ، وليس عنده بضاعة ، ويقول: أبى سماني تاجراً ، فكيف يربح ؟ !

فالسبب الأول في نجاحهم :

كان عندهم حقيقة الدين ، وعندنا صورة الدين .. وصاحب حقيقة الدين مثل الأسد، وصاحب حقيقة المادة مثل الفأرة.

جميع الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم ، كان معهم حقيقة الدين ، ولذا صار أهل المادة أمامهم مثل الفئران .

فالنمرود صار مثل الفأرة، أمام سيدنا إبراهيم عليه السلام .. وقارون وفرعون ، وهامان ، صاروا مثل الفئران أمام سيدنا موسى وهارون عليهما السلام وبني إسرائيل .

وكسرى وقيصر ويزدجرد ورستم ويهود خيبر ونصارى تبوك أصبحوا ؛ مثل الفئران أمام النبي ﷺ والصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين .

. قال تعالى ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أنتم قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأرض تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١)

وفى الزمن الآتي ، أصحاب المادة ، مثل الدجال ويأجوج ومأجوج يصيروا مثل الفئران أمام أصحاب أهل الإيمان .

مع أن أهل الإيمان من ناحية المادة ليس معهم شئ ، ولكن يكونوا مثل الأسد ، وينزل عليهم عيسى عليه السلام لأنهم معهم دين حقيقي ، فتكون نصرة الله عز وجل معهم .

الآن صلاة موجودة .. زكاة موجودة.. حج موجود .. صوم موجود .. تلاوة القرآن موجود .. ولكن الأعمال ليس فيها الروح .

نحن فى زماننا هذا أسد من ناحية الصورة ، لا من ناحية الحقيقة .. الأسد المصنوع من القرطاس كبير ، ولكن صورة ، فتأتى فأرة حقيقية فيها روح فتأكل بطنه .. تأكل أنفه .. تأكل عينيه .. وهذا الأسد يقول : أنا أسد .. نحن نجحنا فى بدر ، نحن نجحنا فى القادسية ، نحن نجحنا فى اليرموك .. نحن أُسد .. أنتم فئران .. ولكن الفأرة تخوفه لماذا ؟ لأنه صورة وهى حقيقة .. فأهل المادة عندهم حقيقة المادة ليست الصورة ..

---

١) سورة الأنفال – الآية ٢٦ .

قنبلة ذرية .. قنبلة هيدروجينية .. الأسلحة ليست صورة .. النفاثات .. الطائرات والمصنوعات الجديدة ليس عندهم الصورة بل الحقيقة.. ولكن المسلم عنده صورة الدين ، وصورة الدين لا تغلب على حقيقة المادة .. ولكن حقيقة الدين هي التي تغلب على حقيقة المادة كما قال الله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

فجميع الطرق الباطلة تكون مغلوبة ، أمام الطريق الحقيقي الذي جاء به النبي ﷺ .

فالسبب الأول : *لخسارتنا ونجاحهم :*

أنهم كان عندهم حقيقة الدين ونحن عندنا صورة الدين.

والسبب الثاني : *لخسارتنا ونجاحهم :*

أن الصحابة الكرام رضي الله عنهم، كانوا يحفظون دين الله تعالى، فالله تعالى حفظهم قال تعالى ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (٢) وقال تعالى ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٣) أي تنصروا دين الله .

---

١) سورة الصف – الآية ٩ .
٢) سورة محمد – الآية ٧ .
٣) سورة الحج – الآية ٤٠ .

أيها الأحباب .. أنا بينت مرضين من الأمراض التي أصابت الأمة مع أن الأمراض كثيرة .

المرض الأول : عندنا صورة الدين وليس حقيقة الدين .. المرض الثاني : نحن تركنا حفاظة دين الله فالله تركنا .. فما علاج هذه الأمراض ؟

الدين الحقيقي لا يكون إلا بقوة الإيمان ، وقوة الإيمان هي روح الأعمال وروح جميع الدين ، وجميع المواعيد المنتشرة في القرآن بحقيقة الإيمان لا بكلام الإيمان فبالكلام يقول : أنا مؤمن ..أنا موحد .. أنا مسلم .. وهذا فقط لفظ الإيمان ليس حقيقة الإيمان واللفظ لا يكفى قال تعالى ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾[١] فبالكلام لا يتحصل الإنسان على موعود الله ﷻ ، وكذلك الكلام من ناحية المادة لا يكفى .

فلو قال الإنسان .. قنبلة ذرية خمسين مرة ، لا تموت ذبابة واحدة .. باللسان يقول الإنسان مفتاح .. مفتاح ، ولكن لا يفتح القفل .. باللسان يقول لمبة .. لمبة ولكن لا يأتي النور .. ولكن لابد من حقيقة الأشياء فإذا قال الإنسان آمنت بالله .. بدون الحقيقة في القلب فالله لا يوفى مواعيده .

ولكن متى يوفى الله مواعيده ؟

---

١) سورة العنكبوت – الآية ٢ .

يـوفى الله مواعيـده ، إذا قـال الإنسـان : آمنـت بـالله ﷻ ، وهـذا الشـيء رسخ في قلبه (يعنى رسخ في قلبه حقيقة الإيمان) فهو صار صـادقاً فـي قولـه : آمنـا .. فبعد ذلك الله ﷻ يعطيـه النجـاة فـي الـدنيا والآخرة .

فكثير من الناس ، يقولون : آمنا بالله ، وليس عندهم الإيمان ، ولا يعلمهم إلا الله ، قال تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

فـالله ﷻ يختبـر الإنسـان ، لـيُعلم النـاس ، أي رجـل عنـده حقيقـة الإيمان ، وأي رجل ليس عنده إيمان ، وأي رجل عنده إيمان ضعيف ، وليبين للناس : أي رجل صادق ، وأى رجل كاذب . . قال تعالى ﴿ أَلم * أَحَسِـبَ النَّـاسُ أَنْ يُتْرَكُـوا أَنْ يَقُولُـوا آمَنَّـا وَهُـمْ لا يُفْتَنُـونَ * وَلَقَـدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٢) أي من ناحية الإيمان.

ما معنى حقيقة الإيمان .. ؟!

معنـى حقيقـة الإيمـان يفهمنـا كلمـة التوحيـد (لا إلـه إلا الله محمـدٌ

---

١) سورة البقرة – الآية ٨ .

٢) سورة العنكبوت – الآيات ١ : ٣ .

رسول الله) لا معبود بحق إلا الله .. ولكن الإنسان لا يمكن أن يصل إلى توحيد الألوهية ، قبل أن يصل إلى توحيد الربوبية .

لهذا السبب الله ﷻ ، جمع الأرواح جميعاً في عالم الذر ، ولم يقل ألست بإلهكم ، بل قال ألست بربكم ..؟

والإيمان والإسلام والتوحيد على قسمين :

القسم الأول :

قانوني ، يكفى باللسان ، يقول أنا : مسلم .. أنا : مؤمن .. أنا : موحد .. لا إله إلا الله محمد رسول الله . . قال باللسان وبعد ذلك يعبد الله تعالى وحده ويصلى ، فعنده إسلام موجود .. إيمان موجود .. توحيد موجود .. ولكن **قانوني** يعامل به معاملة المسلمين ، ويدفن في مقابر المسلمين ، ويرث ويورث ، لأنه يعد مسلم .

القسم الثاني :

التوحيد الحقيقي والإيمان الحقيقي والإسلام الحقيقي ولا يعلمه إلا الله تعالى ، ويعطى الزكاة ، ويصوم رمضان ، ويحج البيت ، ويفهم بعد الموت .. لأن كثير من الناس ينطقون كلمة التوحيد ، ويقومون بالأعمال الظاهرية ، وهم عند الله ليسوا بمؤمنين ، مثل المنافقين فهؤلاء يصيرون إلى نار جهنم خالدين فيها أبداً .

ولهذا كان الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ، يخافون من النفاق

والمنافقون في زمن رسول الله ﷺ .. كان الرسول يعاملهم معاملة المسلمين . وزمان الرسول ﷺ هو الزمن الوحيد الذي كان الرسول ﷺ يعرفهم بالوحي :

قال تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فإن أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ (٢) .

وقال تعالى ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣).

وقال تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٤) .

فهذا جدَّ بن قيس لما جاء وقت الجهاد فى سبيل الله ﷻ ، ما

---

١) سورة التوبة – الآية ٤٩ .
٢) سورة التوبة – الآية ٥٨ .
٣) سورة التوبة – الآية ٦١ .
٤) سورة التوبة – الآية ٧٥ .

اعتذر وقال : ماذا يصير لمزرعتي ولا أولادي ولا زوجتي .. لماذا ؟ .. لأنه سمع في القرآن .. قال تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (١).

هذه الأشياء التي ذكرها الله ﷻ ما كان يعتذر بها المنافقون لأنهم كانوا يعرفون أن هذه الأشياء لا تقبل أمام أوامر الله ﷻ وطريق النبي ﷺ ، وأمام الجهد والمشقة لإعلاء كلمة الله ... ولهذا ما اعتذر جدَّ بن قيس بهذه الأشياء فماذا كان عذره ؟

قال رسول الله ﷺ وهو في جهازه لتبوك لجدَّ بن قيس " يا أبا وهب .. هل لك في جهاد بني الأصفر تتخذ منهم سراري ووصفاء " . قال : يا رسول الله ﷺ ! لقد عرف قومي أنى رجل مغرم بالنساء ، وأني أخشى إن رأيت بنات بني الأصفر أن لا أصبر عنهن ، فلا تفتني بهن ، وائذن لي في القعود عنك ، وأعينك بمالي ، فأعرض عنه النبي ﷺ وقال : "

١) سورة التوبة – الآية ٢٤ .

قد أذنت لك " فأنزل الله ﷻ هذه الآية ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (١) فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لبنى سلمة ، وكان الجدَّ منهم : " من سيدكم يا بني سلمة ؟ " قالوا : الجدَّ بن قيس غير أنه بخيل جبان، فقال النبي ﷺ : " وأي داء أدوا من البخل ؟ بل سيدكم الأبيض الفتى الجعد ، بشر بن البراء بن معرور (٢) " .

ورسول الله ﷺ عامله على الظاهر ، فهو يقول : أنا مؤمن وأخشى أن أقع في الزنا ولكن الله ماذا أخبر ؟ أنه ليس مؤمن ، لأنه سقط في الفتنة لتخلفه عن رسول الله ﷺ ، والرغبة بنفسه عن نفسه أعظم ، فلا محيد له ولا مهرب من جهنم لأنه ليس مؤمن .

فنحن نقول بألسنتنا : آمنا ، ولكن نخاف من الله تعالى هل هذا الشيء رسخ في القلب أم لا ؟

وكيف نتحصل على قوة الإيمان ؟

أولا : يكون في قلوبنا اليقين على ذات الله ﷻ (٣) فالإيمان والنفاق

---

١) سورة التوبة – الآية ٤٩ .

٢) انظر مختصر تفسير ابن كثير للصابوني – في تفسير سورة التوبة – ٢ / ١٤٧ ، وأسباب النزول للسيوطي .

٣) انظر كتابنا " كلمات مضيئة في الدعوة إلى الله ﷻ " باب الأسباب للاختبار والامتحان – صـ ٢٦٨ .

متضادان ، الإيمان مختفي والنفاق كذلك مختفي ، وقبل أن يأتي النفاق تأتى جراثيم النفاق في القلب ، مثاله مثل : مرض السل أو السرطان ، أولا : تأتى الجراثيم ثم يأتي المرض .

فما هي جراثيم النفاق ؟ وما علاجه ؟

العلاج هو القضاء على جراثيم النفاق أولاً، فيصبح الإيمان قوى بعد ذلك يصبح العمل الصالح قوياً ، وبقوة العمل الصالح تأتى النصرة والمدد من الله ﷻ والرسول ﷺ أخبرنا عن جراثيم النفاق .. عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن النبي ﷺ قال : " أربع من كنَّ فيه ، كان منافقاً خالصاً ، ومن كان فيه خصلة منهن ، كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها " إذا أؤتمن خان وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر " متفق عليه [١] .

وعن أبى هريرة ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : " آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان " متفق عليه. وزاد في رواية مسلم " وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم " [٢] .

والنفاق نوعين :

(١) *نفاق عملي : (لا يخلد صاحبه في النار) .*

---

١) رياض الصالحين – باب تحريم الكذب – صـ ٥٣١ .

٢) رياض الصالحين – باب الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد – صـ ٢٩٧ .

(٢) *نفاق اعتقادي :* يخلد صاحبه في نار جهنم وعذابه أشد من الكفار ، والعلامات الأربع ليس نفاق اعتقادي بل نفاق عملي وهذا النفاق العملي يجر إلى النفاق الاعتقادي . . كما حدث مع الرجل الذي أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، ادع الله لي أن يرزقني مالاً . فقال رسول الله ﷺ : " ويحك ، قليل تؤدى شكره خيرٌ من كثير لا تطيقه " ثم قال مرة أخرى : " أما ترضى أن تكون مثل نبي الله فو الذي نفسي بيده لو شئت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لصارت " . فقال والذي بعثك بالحق ، لئن دعوت الله أن يرزقني مالاً لأوتين كل ذى حق حقه . فقال رسول الله ﷺ " اللهم ارزقه مالاً " فاتخذ غنماً فنمت كما ينمى الدود ، فضاقت عليه المدينة ، فتنحى عنها فنزل وادياً من أوديتها ، حتى جعل يصلى الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ، ثم نمت وكثرت ، فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة وهى تنمى كما تنمى الدود حتى ترك الجمعة ... وأنزل الله ﷻ ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [١]فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة . فأتياه فسألاه الصدقة ، وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ . فقال : ما هذه إلا جزية . ما هذه إلا أخت الجزية .. فانطلقا

١) سورة التوبة – الآية ١٠٣ .

حتى آتيا النبى ﷺ فأخبراه وأنزل الله ﷻ قوله ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (١) .

إيمان قانوني.. إسلام قانوني.. المسلمون يعاملونك معاملة المسلمين.

ولكن الإسلام الحقيقي ، والإيمان الحقيقي في قلبك ، لا يعلمه إلا الله ﷻ .. ولهذا كان الصحابة رضى الله عنهم يخافون من النفاق ، فسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ يذهب إلى حذيفة ويسأله ، هل ذكرني رسول الله ﷺ فى المنافقين ؟

وسيدنا ابن أبى مليكة يقول : أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخاف على نفسه النفاق . (رواه البخاري) .

فالله جل جلاله بسبب كثرة المعاصي والذنوب حينما يغضب يعاقب تارة بالزلازل وتارة بالسيول وتارة بالقحوط ولكن لو يغضب على العبد غضباً شديداً بسبب كثرة المعاصي ، واجترأ وقال : أنا مؤمن .. أنا موحد .. أنا أدخل الجنة ، ليس فى قلبه عظمة الله ولهذا اشتغل بالمعاصي فالله ﷻ يجعله منافقاً كما قال الله تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ

١) سورة التوبة – الآيتان ٧٥ ، ٧٦

اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١).

فماذا كانت النتيجة ؟

﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (٢) فخلف الوعد والكذب .. جراثيم النفاق

فعاقبهم الله ﷻ بالنفاق في قلوبهم إلى يوم يلقونه . وكثير من الناس يكون عنده النفاق وهو لا يدرى ولكن يعلمه الله ﷻ قال تعالى ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلامُ الْغُيُوبِ﴾ (٣) فعلام الغيوب بين أنهم بهذا النفاق وصلوا لدرجة الكفر بالله ﷻ ورسوله ﷺ مع وجود أعمال ظاهرية . قال تعالى ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ (٤).

فما العلاج ؟

قال تعالى ﴿ الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ

---

١) سورة التوبة – الآية ٧٥ .
٢) سورة التوبة – الآية ٧٧ .
٣) سورة التوبة – الآية ٧٨ .
٤) سورة التوبة – الآية ٥٤ .

لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (١) .

يا الله متى تقول لنا أنتم صادقين ولستم كاذبين ؟ ، لأن الصدق بالقلب لا يعلمه إلا أنت فالله ﷻ يجيبنا قال ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (٢)

فعلامة التصديق التضحية فلهذا نخرج في سبيل الله لنقيم أنفسنا ونقيم الناس على جهد الرسول ﷺ (٣) .

* * * * *

١) سورة العنكبوت – الآيات ١ : ٣ .
٢) سورة الحجرات – الآية ١٥ .
٣) جزء من بيان قبل صلاة الجمعة الموافق ١٩٩٧/١١/٦ – اجتماع رايوند .

أسباب المحبة

نحمده ونصلى ونسلم على رسوله الكريم ﷺ أما بعد :

قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً ﴾ (١).

لحياة الناس في هذه الدنيا منهجان قديماً وحديثاً :

(١) منهج يقوم على إتباع الهوى .

(٢) منهج يقوم على الإيمان والعمل الصالح .

ونجد أن الله ﷻ جعل في النواة نخلة كبيرة ، ومن هذه النخلة ينتج نخلاً كثيراً لا حصر له ، وكل ذلك مخفي في نواةٍ بسيطة .. وكما أن الشجرة لا تخرج إلا في حينها الذي قدره الله لها ، كذلك السلام والطمأنينة والمودة والمحبة والرحمة والمغفرة والرضوان والجنة وما أعده الله ﷻ فيها يظهر في الوقت المحدد له .

وكما أن الأشياء جعلها الله ﷻ سبباً لتربية الإنسان .. فقد جعل الله ﷻ الأعمال الصالحة سبباً لتربية روح الإنسان .

الله ﷻ خلق الإنسان في هذا العالم من الجسد والروح ، وكانت

---

١) سورة مريم – الآية ٩٦ .

الروح الإنسانية موجودة ، قبل أن تنتقل في هذا الجسد العنصري كانت في خزائن الله ﷻ ونقلها الله ﷻ إلى هذا الجسد الإنساني ، واتصال الجسد والروح لأجلٍ مسمىً حتى يأتي الموت .

الروح بمثابة الراكب والجسد بمثابة المركب .

هذه الروح التي انتقلت إلى هذا العالم فى هذا الجسد يظهر منها أعمال تظهر على الجسد، فإن كانت الروح سليمة تظهر الأعمال على الجسد صالحة، وإن كانت الروح مظلمة فاسدة خبيثة، تظهر أعمال فاسدة مظلمة على جسد الإنسان ، وصلاح الأعمال وفسادها بسبب صلاح الأحوال وفسادها.

وعندما ينتقل الإنسان إلى عالم البرزخ لا تفنى الروح ، فإن كانت صالحة تنتقل إلى عليين ، وإن كانت خبيثة تنتقل إلى سجين وهو سجن فى جهنم ، ثم تعود إلى الجسد عند نفخة البعث يوم القيامة . . وأثناء فترة البرزخ لها اتصال بالجسد فى القبر .. فإن كانت الروح صالحة يكون الجسد منور ، وإن كانت الروح خبيثة يكون الجسد مظلم ، ويوم القيامة ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾[1] والملك الذي يسلط عليه في قبره أسود والحيات سوداء والنار سوداء مظلمة .. سواد

---

١) سورة آل عمران – الآية ١٠٦ .

في سواد .. فى سواد ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ (١).

جلد الإنسان يكون كثيفاً ، حتى يمشى الإنسان مسيرة ثلاث ليالٍ ، ولا يصل إلى جلد الإنسان ، والضرس مثل جبل أحد .. هذه الروح المُظْلمة .

أما الروح الطيبة فتكون منورة والجسد الذي يمنح هذه الروح يكون منور والملك الذي يأيتها في قبرها أبيض منور ، الله ﷻ خلق الإنسان من نظام عجيب.

وانظر معي : إلى كيفية تسليط أشعة الشمس على مياه البحار ، وبعد ذلك تتحول مياه البحار إلى أمطار ، ثم ينزله الله ﷻ على البلد الميت ، قال تعالى ﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأرض بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إذا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فأنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ

---

١) سورة النور – الآية ٤٠ .

٢) سورة النحل – الآية ٦٥ .

مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [١] .

فتنبت الأرض النبات والثمار، فيأكله الإنسان والحيوان ، ومن النبات والحيوان الذي يأكله الإنسان، يتكون الحيوان المنوي الذي يخلق منه الإنسان .

والله ﷻ يخلق هذا الجنين في رحم الأم بشكل عجيب ، في ظلمات ثلاث ، وعندما تنقضي أربعة أشهر ، فالله ﷻ ينفخ في الجنين الروح ، والله ﷻ الذي يرسل الروح لا يرى ، والروح لا ترى ، والملك الذي يحملها لا يرى ، وفى أربعة أشهر الله ﷻ يكمل أعضاء الإنسان .. (العين .. الأذن .. الأنف .. الفم .. اليد .. الرجل .. الخ)

والله ﷻ جعل نظاماً لتربية هذا الجسد ، ولكن لتربية الروح شئ آخر هو كتاب الله ﷻ ، والأسوة التي نتعلم بها تربية الروح ألا وهو : سيدنا محمد ﷺ .. مُعلم الإنسانية كلها في تربية الروح .

وعندما يطبق الإنسان القرآن في جميع مجالات الحياة ، تتربى الروح بالنور الإيماني . . فإمام العالم هو محمد ﷺ ، والدستور الذي يربى به الإنسان هو القرآن الكريم .

كلما يمتثل أمر الله على طريق الرسول ﷺ ، تزداد روحه طهارة وذكاءً ، وكذلك تزداد أعماله طهارة وذكاءً .

---

١) سورة الأعراف – الآية ٥٧ .

إن الأعمال الإنسانية هي التي تنتج الأحوال ، فعندما تكون الأعمال الإنسانية صالحة تكون الأحوال صالحة ، وعندما تكون الأعمال الإنسانية خبيثة تكون الأحوال فاسدة ، وتصاب البشرية بالزلازل .. والحوادث .. والفتن .. والحروب .. وينتشر الفساد .. والبغي.. والكل يظلم غيره.. والصغير لا يحترم الكبير.. الغنى لا يؤدى حق الفقير .. وهذا الفساد فى المجتمع نتيجة فساد الأعمال .

وعندما تكون الأعمال صالحة ، تكون الأحوال صالحة ومحبوبة ، وتنتشر المحبة ، والوئام ، والإيثار ، والإخلاص ، والإكرام .

ما هي خواص الروح ؟

وما هي خواص الجسد ؟

وكيف تغلب أرواحنا أجسادنا ، فكل واحد منهما ينازع الآخر إلى متطلباته ؟

الروح خلقها الله ﷻ من النور بأمر الله ﷻ قال تعالى ﴿ وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ (١) .

فالروح : وجود نوراني لطيف ، معطرة ، تحب الرائحة الطيبة ، ومن خواصها الوصل .

والجسد : وجود ظلماني ، مادي كثيف ، يميل إلى الرائحة الخبيثة ، ومن

---

١) سورة الإسراء – الآية ٨٥ .

خواصه الفصل .

عند خروج الروح من الجسد فبعد قليل يخرج من الجسد الرائحة الكريهة، ويتحول الجسد إلى أعضاء متفرقة، فالرابطة بين أعضاء الجسد الإنساني هي الروح وعندما تخرج الروح .. اليد لا تتعاون مع الرجل.

وكما أن البدن يسبب الانفصال ، فإن الروح تسبب الاتصال بين الأعضاء .

وكذلك الجسد الإنساني الذي همه جمع المال والمادة؛ يفرق بين الناس.

والنظام الروحاني، يعنى: منهج سيدنا محمد ﷺ يكون سبباً لاجتماع القلوب والشعوب البشرية ، كما أن الروح كانت سبباً لربط الأعضاء ﴿ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأرض جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ (١) .

وقال تعالى ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾(٢)

الروح متطلباتها ونتائجها : الجمع، والروح الطيبة، والصعود إلى العلو والنور .. وهي الفطرة الإنسانية.

والبدن نتائجه : التفريق، والخبث، والهبوط، والظلمة، والنفس الإنسانية،

---

١) سورة الأنفال – الآية ٦٣ .

٢) سورة آل عمران – الآية ١٥٩ .

والهوى الإنساني ، قال تعالى ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

الله ﷻ خلق الإنسانية وجعلهم طبقات متفرقة .. الأطباء .. الفلاحين.. الخ واجتماع هذه الطبقات لا يمكن إلا بالروح الإنساني . فكل شيء له ما يربطه بالشيء الآخر فمثلاً : لو أردنا أن نجمع الورق إلى الورق نحتاج إلى الصمغ ، وإذا أردنا أن نجمع الخشب إلى الخشب نحتاج إلى المسامير ، وإذا أردنا أن نجمع الحديد مع الحديد نحتاج إلى الأكسجين، وإذا أردنا أن نجمع بين قلوب الناس فلابد من الروح الإنسانية التي جاء بها سيدنا محمد ﷺ .

قال تعالى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً ﴾ (٣).

---

١) سورة يوسف – الآية ٥٣ .
٢) سورة الجاثية – الآية ٢٣ .
٣) سورة آل عمران – الآية ١٠٣ .

الله ﷻ ركب الجسد الإنساني بأعضاء مختلفة في الوظيفة ، مختلفة فى المحل ، مختلفة في الصورة .. فمثلاً : العين ترى ، والأذن تسمع ولا ترى ، ولكل منهما صورة ، ولكل منهما محل مختلف ، ولكل منهما حجم مختلف ، ومع وجود الاختلاف في هذه الأشياء ، نجد أن هناك ترابط بين أعضاء الجسد الإنساني مادامت الروح في الجسد ، مثلاً : عندما تلدغ الحية رجل إنسان ، تجد اللسان يصيح ، واليد تمتد لتشعل الكهرباء ، واللسان يصيح ويحدث الدكتور ، والرجل تمشى للطبيب ، والدماغ يسخن ويتعب ، واليد تعطى المال للطبيب عن طيب خاطر وتتناول الدواء ، فالجسم كله تحرك ، فهذا التعاون بسبب الروح .

وعندما تكون الروح الإنسانية حسب منهج سيدنا محمد ﷺ تسود المحبة في المجتمع الإنساني ، فالأغنياء يشعرون بحاجة الفقراء ، والصغير يعرف حق الكبير .. وهكذا.

ويتم ذلك عندما تسود الروح الإيمانية وتكون القلوب متوجهة إلى الله تعالى فالكل يريد أن يعطى وينفق ، ويؤثر أخيه على نفسه ، فبهذه الروح المتعاونة يعم الوئام والوفاق في الأمة ، لأن القلب عندما يكون متوجه إلى الله يعرف الإنسان أنه عليه أن يأخذ من مال الله ويوزع على كل الخلائق ، فالمسلم ينفق على المساكين ويقول إنما أعطيكم .. ولا آخذ منكم .. بل لأسترجع من الله ﷻ .

وهذا يشيع عندما تكون الروح الإنسانية مطابقة لمنهج سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

تعال معي لننظر إلى مدينة الرسول ﷺ في عصر سيدنا محمد ﷺ كم كان فيها من تآلف القلوب ، كان تآلف نموذجي للعالم إلى يوم القيامة ، فلما كانت تأتى قوافل عثمان ﷺ وهى محملة بالطعام كان بلال يفرح بها أكثر من فرح عثمان بن عفان ﷺ ، ولما تكون المجاعة كان عثمان بن عفان ﷺ يحزن أكثر من حزن بلال ﷺ .

فعندما يكون القلب متوجهاً لغير الله تعالى فبطبيعة الحال يتحول مزاج الإنسان للسلب والنهب ويتحول المجتمع الإنساني إلى مجتمع متضارب لأن القلب أصبح شاكاً في الحياة بعد الموت وأن الله سيعطيه حقه في الآخرة .

والآن تجد الناس كثير وتحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى مع وجود البرامج.

والاجتماع الذي ظهر في عصر الرسول ﷺ كان اجتماع نموذجي للعالم إلى يوم القيامة وهذا الاجتماع الذي اجتمعناه، اجتماع نموذجي مصغر لهذا الاجتماع ، اجتمع الناس من جميع العالم وبينهم المحبة ، والألفة ، وذلك بسبب محبة الإسلام وروح الإسلام .. وروح الحياة الطيبة التي جاء بها سيدنا محمد ﷺ ولكننا نعزم أن نصحح رابطتنا مع الله

ونصحح رابطتنا ثانياً مع أمتنا ، ونخرج للأمة كي تكون متآلفة بين بعضها ومتحابة فيما بينها ومتراحمة فيما بينها ، وهذا قطرة من بحر سيدنا محمد ﷺ ، والعالم المشحون بالاضطرابات محتاج إلى هذا الجو الذى يسوده الأمن ويسوده الوئام .. ولكن كيف نتصل بالله ﷻ ؟

قال تعالى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا ﴾ (١) .

والاعتصام بحبل الله ﷻ يلزمه :

(١) تصحيح الإيمان واليقين: على خزائن الله ﷻ وقدرته وكبرياءه ، وعلى ما أعده الله ﷻ للمؤمنين في الجنة ، ونصحح العبادات .

(٢) تقوية الرابطة والاتصال مع المخلوق : وذلك بمكارم الأخلاق ، فإذا عاش الإنسان عيشة كريمة بالبذل والعطاء ونفع الناس من أجل الله فتتقارب القلوب بعضها ببعض .

يعرف الشيء بضده ، فإذا أردنا أن نفهم كيف ننشر التآلف نفهمه بأساليب وجود التفرقة بين القلوب فمثلاً: اجتمع خمسة أشخاص وكانوا أهل إيثار وإخلاص، وكان بينهم قطعة حلاوة قدرها كيلو جرام فأخذ أحدهم ووضع في فم كل واحد من الأربعة لقمة .. لقمة .. ثم أعاد هذا الفعل مرة ثانية ، فأكل كل من الأربعة لقمتين، فحمدوه ودخل في قلوبهم حبه، فأخذ كل منهم لقمة ووضعها في فمه، فأصبح الذي دخل في بطنه

---

١) سورة آل عمران – الآية ١٠٣ .

أربع لقمات، فهو آثرهم على نفسه وأطعمهم لقمتين وأخيراً دخل في بطنه أكثر مما دخل في بطونهم، فصاحب العطاء يبسط له في رزقه ويتحصل على المحبة من الآخرين . قال تعالى في الحديث القدسي: " أنفق يا ابن آدم ينفق عليك "(متفق عليه) [١] .

وعن أنس ﷺ قال رسول الله ﷺ " من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه " متفق عليه [٢] .

وبالعكس اجتمع الشح والبخل وبينهم كيلو حلاوة فكل واحد أراد أن يسبق الآخر فمنهم من أخذ ثلاث لقمات ومنهم من أخذ لقمتين، ومنهم من أخذ أربعة، وأخذ كلاً منهم يسب الآخر (وهذه هي أسباب التفرقة) .

فالإيثار: يسبب المحبة والوصل ، والشح والبخل يسبب : الفصل والتفرقة والعداوة والبغضاء .

فالله ﷻ اختار الطريقة الفطرية السهلة للجمع بين طبقات الأمة ، فأمر الأغنياء أن يذهبوا للفقراء إلى بيوتهم ، ورغب رسول الله ﷺ فذكر من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : " .. ورجل تصدق بصدقه فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه " .

وأمر الفقير ألا يطلب ، والفقير يقول : اذهب إلى غيرى فأنا أطلب

---

١) رياض الصالحين – باب الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير صـ ٢٥٢. .
٢) المرجع السابق – باب صلة الرحم صـ ١٧١.

من الله ﷻ ، ويقول الغنى لأخيه الفقير : أقبل منى ، فإنك بذلك تُحسن إلىَّ ، وتُطهر مالي وتحفظه ، وتحفظني من النار، قال تعالى﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١) .

الله جعل ما يحبه الأغنياء ديناً للفقراء، وما يحبه الفقراء ديناً للأغنياء ، فالإسلام لا ينفى ملكية الفرد للأشياء ولكن ملك مجازى ، والإنسان خليفة عليه قال تعالى ﴿ وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ (٢) ، وقال تعالى ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ (٣) وبهذه الطريقة الفقراء لا يتطلعون إلى مال الأغنياء ولا ينهبونه ولا يسرقونه ، بل يدعون للأغنياء أن يبارك الله لهم في أموالهم .

فالفقير محل الإنفاق .. والصدقة .. والزكاة .. فواجب احترامه.. كما أن المسجد واجب الاحترام .. لأنه محل أداء الصلاة .. فنجعل الفقراء تيجان فوق رؤوسنا لا نعال في أرجلنا .

وكذلك يعتنى الحكام بمصلحة المحكومين ، والمحكومين يدعون لهم ويؤثرونهم على أنفسهم ، ويصبح الأمن والاستقرار ، ويصبح تآلف بين

---

١) سورة التوبة – الآية ٣٤ .
٢) سورة النور – الآية ٣٣ .
٣) سورة الحديد – الآية ٧ .

الحكام والمحكومين .

فهذا هو المنهج الروحاني الرباني الذي وضعه الله ﷻ لسعادة البشرية كلها.

إخواني في الله: قد تحدثت كثيراً عن انتشار البركات من السماء والأرض والمحبة والوفاء بمثابة الثمرة ، والثمرة لابد لها من شجرة، والشجرة هي شجرة الإسلام، ولابد لها من أصل ثابت في الأرض وفروعها في السماء ولابد للأصل من أرض ينبت فيها، والأرض هي جهد الدعوة إلى الله ﷻ، فلا تهيأ الأرض إلا عندما يخرج الناس في مشارق الأرض ومغاربها يدعون إلى الله ﷻ ويحيون حياة الإسلام عملياً بأخلاقهم وصفاتهم ويقولوا للناس كونوا مثلنا، ولنا في تضحية رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فحزنه أسوة، وبكائه أسوة، وخوفه على الناس أسوة .. الخ .

فنحن ننتمى إلى سيدنا محمد ﷺ وفضلنا وشرفنا في هذا الانتماء . ماذا نقول لسيدنا محمد ﷺ عندما يقول ماذا فعلتم بديني ورسالتي ؟ تركتم الدعوة إلى الله ﷻ ؟ تركتم الجهد ؟ ماذا نقول لرسول الله ﷺ ... ؟ فلا بد أن نحاسب أنفسنا قبل أن نُحاسب فالله قادر على نشر الهداية بدون جهد أي فرد منا ولكن شكراً لله ﷻ أن استعملنا [١].

---

١) بيان بعد المغرب – يوم الأحد الموافق ١٩٨٨/١/١٧ – بمدينة دكا عاصمة بنجلاديش .

ارتباط الأحوال بالأعمال

قال تعالي : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١).

فالله ﷻ خلق الأرض ، والجبال ، والأشجار، والوحوش ، والجن ، وكل المخلوقات ، ولكن فضل عليها الإنسان.

والإنسان قيمته ليست بهذه الأشياء، ولكن قيمة هذه الأشياء بالإنسان.

وقيمة الإنسان بالجهد الذي يبذله لهذا الدين، لأن الله ﷻ بعث الأنبياء لتحقيق الإيمان في حياتنا.

فالله ﷻ يأتي بكل الأحوال مرض وفرح وحزن وسرور وقوة وضعف، ولكن لله ﷻ سنة في هذه الدنيا وله قدرة ومن سنته أنه جعل الدنيا دار الأسباب ، وتأتى فيها الأحوال ٠٠ والأحوال لها أسباب وهى الأعمال الصالحة والعكس.

فالله تعالى ربط الأحوال بالأعمال، لا بالأشياء، فصلاح الأحوال بصلاح الأعمال، وصلاح الأعمال بصلاح اليقين ٠٠ والأعمال هي كل ما يصدر عن الجوارح ٠٠ فإذا صلحت الأعمال فما يصدر عن الجوارح

---

١) سورة القصص _ الآية ٦٨.

يكون صالحا، فالأعمال الله تعالى ربطها باليقين في القلب، والأحوال الله ﷻ ربطها بالأعمال.

وبقدر ما يكون القلب متعلقا بالله تعالى، تكون الحياة على مرضاة الله تعالى، والعكس لو كانت الحياة على مقتضيات المادة والأشياء.

والله تعالى خلق في الإنسان الملائكية، وهى عبادة الله تعالى في الأرض، وخلق فيه الحيوانية وهى مقتضيات الحياة والتناسل والطعام وخلق فيه الاستعداد لخلافة الله تعالى في الأرض ، ولم يخلق ذلك لغير الإنسان، وكذلك الاستعداد لنيابة النبوة ، وهذه الأربعة لو أن الإنسان اعتدل فيها وما تعدى الحدود ولا قصر فإنه ينال الحياة السعيدة من الله تعالى ، ويكون له قيمة في هذه الدنيا والإنسان لو كبت شهواته وتقيد فيها بأوامر الله تعالى واهتم بما فرض عليه من العبادات تزداد فيه نسبة الملائكية وبقدر ازديادها يتدرج للاستعداد لخلافة الله تعالى والتخلق بما أراد الله ﷻ له أن يتخلق به فيستطيع أن يغفر ويرحم ويستر ويعفو ٠٠ وبهذا يتدرج لنيابة النبوة ويقدر على القيام بالدعوة إلى الله تعالى كما كان النبي ﷺ يدعو، بل وكما أمر الله تعالى تلك الأمة، فيترقى في هذه النسبة.

والله تعالى بعد أن ختم سلسلة النبوة ، اختار هذه الأمة لنيابة الرسول ﷺ ٠٠ ولو أن الإنسان بذل طاقته واعتدل في هذه الأمور الأربعة ،

فيصبح له عند الله تعالى درجات عليا، والعكس لو لم يبذل الإنسان بالاعتدال ، وضيع طاقته في غير ما يحب الله تعالى ، يضل وينزل لدرجة الحيوانية ، وهنا يكون سببا للفساد في الأرض ولا يظلم إلا نفسه ، فقد قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[١]. .

أما سير الإنسان على منهج الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ وهو الصراط المستقيم فيكون بالقصد والاعتدال في قضاء الحاجات البشرية وهناك سبل كثيرة ليست على مراد الله تعالى ولا هدى نبيه ﷺ ولكن الله تعالى اختار لنبيه ﷺ وأمته سبيلا فقال تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [٣] وهذا الصراط لا يكون إلا بمراعاة حياة النبي ﷺ ، والشيطان لعنه الله يقف أمام ذلك الصراط ، قال تعالي : ﴿ قَالَ فَبِمَا

---

١) سورة الروم _ الآية ٤١.
٢) سورة يوسف _ الآية ١٠٨
٣) سورة الأنعام _ الآية ١٥٣.

أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [١].. ولو سار الإنسان وراء الشيطان ، فإنه يسوقه حتى يهوي به إلى الهاوية.

نحن نخرج في سبيل الله تعالي مثلما ضحي النبي ﷺ وخرج ودعا الناس لله تعالي ، فنحن نحاول فقط التشبه بالنبي ﷺ وفي خروجنا هذا نخرج أنفسنا عن إتباع السبل ونعرف الطريق طريق النبي ﷺ .

ويجب من مواصلة الجهد حتى الموت فنصل إلي منزلة ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [٢] ، وقوله: ﴿ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [٣].

والله ﷻ بين لنا الحلال والحرام ، والدين سهل ويسير، والإنسان فيه يحتاج إلي التربية ، وذلك بالتدريب والتدرج.

والإنسان له في الدنيا حاجة، وله فيها شهوات، فلابد أن يدرب نفسه مرة بعد مرة، حتى يأخذ الحاجة بقدر الضرورة ، فلا تغلبه شهواته ، فتصبح الحياة بسيطة وسهلة ، فهذا أبو بكر رضي الله عنه يحضر للنبي الماء مخلوطا بالعسل، فهنا قال النبي ﷺ : " كان يكفي الماء ".

---

١) سورة الأعراف _ الآية ١٦.
٢) سورة الحجر _ الآية ٩٩.
٣) سورة البقرة _ الآية ١٣٢ .

مع أن هذا ليس حراما ولكن الحاجة بقدر الضرورة لأن الماء وحده يدفع العطش أما العسل فينفع كطعام.

الله تعالي فتح علي الصحابة في زمن عمر ﷺ ، لكن أمير المؤمنين عمر أوصاهم ألا يغيروا مستوي حياتهم في الطعام والشراب والمركب والمسكن ، حتى الذي يرسلهم خارج المدينة يهتم بهم ويسأل عن سيرتهم وأحوالهم ، ويتقصى في ذلك من الرعية ، بل ويحاسب عماله إذا ظهر فيهم اعوجاج ، بل لما أرسلهم قال: المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون.

ولكن لما جاء عثمان ﷺ وكثر من دخل في الاسلام ، تدرج بهم في مستوي حياتهم .

فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ما كانا يعاملان الناس علي قرابتهم ، بل أعطوهم المناسب لهم ، وبحسب السبق في الدين ، ومن له فيه جهد

فسيدنا أبو بكر قسم العطاء علي أساس حاجات الناس .

وسيدنا عمر قسم علي أساس السابقين الأولين فأعطي أسامة أكثر من ابنه عبد الله وقال: هذا حب رسول الله ﷺ أين منه ابني ؟ مع أن ابن عمر كان من العلماء ولكن الراتب لم يكن للعلم لأن الدنيا كلها لا

تساوي تفسير آية أو حديث بل الراتب لحبس الوقت وسد حاجاته وعند سيدنا عمر للسبق ، قال: لا يتساوى من قاتل مع النبي ﷺ مع من قاتله.

أما سيدنا عثمان ﷺ فقد عامل الناس علي أساس قرابتهم ، لأن لهم حقوقا عليه فقرب أقرباؤه وقال : إن لهم رحما لابد أن أرعاها ، فجعلهم عمالا له في الأمصار، واستعملهم في شئون المسلمين.

لكن ما الفرق بين الترتيبين ؟

ترتيب أبي بكر وعمر ، وترتيب سيدنا عثمان رضي الله عنهم؟

الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما سارا بالناس علي مزاج الشرع لقرب عهدهم بالنبوة.

وأما سيدنا عثمان ﷺ فقد سار بالناس علي حدود الشرع ، وذلك بسبب كثرة الداخلين من غير العرب في الإسلام.

لذلك فالمسلم لابد أن يعيش على حدود الشرع ، حتى يتوصل إلى مزاج الشرع ، لأن الإنسان لو زاد عن الحدود قد يخرج إلى الحرام فيخسر الدنيا والآخرة ولذلك قال ﷻ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ ﴾ (١).

---

١) سورة الحج – الآية ١١ .

فلو سار رجل على مزاج الشرع ، فأولاده يعيشون على حدود الشرع لو زادت معهم الدنيا ٠٠ أما لو سار رجل على حدود الشرع فيمكن لأولاده ، أن يتعدوا الحدود.

لذلك حدث مع الشيخ إنعام الحسن، أن رجلا تاجرا سمع الكلام عن حدود الشرع ومزاجه وهو رجل يحج ويصلي فجاء للشيخ ، وقال: أولادي لم يخرجوا عن الحد بعد موتي بل في حياتي !!.

فقال له الشيخ: ابعثهم يخرجوا أربعة أشهر أو شهرين أو شهرا فرفض ، حتى دخل عليه ابنه مرة في حالة سكر !.

فأصبح في الصباح ورتب ابنه ليخرج أربعة أشهر.

سليمان بن عبد الملك بن مروان لما حضرته الوفاة جمع العلماء وأخذ يستشيرهم في أمر الخلافة ، فقالوا له : لو أردت أن تلقي الله تعالى راضيا عنك ، فأوصي بعد موتك لرجل ذي دين ، ولا يهمنك الأخوة ، فهنا أوصي لعمر بن عبد العزيز رحمه الله ، فى وصية تقرأ بعد وفاته ، ولسليمان بن عبد الملك أخ اسمه هشام كان يتوقع أن يكون هو الخليفة ، ولكن بعد وفاته في المسجد فتحت الوصية، هشام يتوقع أن يكون هو الخليفة ، وعمر رحمه الله لا يتوقع هذا ولكن لما بايعوا للاسم قبل أن يقرؤوه بعدا لسماع بكى عمر بن عبد العزيز ووقع ما تحمله قدماه ، وحمل حتى أجلسوه وكان عند عمر بن عبد العزيز إماء وعبيد

أعتقهم وأدخل ماله في بيت المسلمين ثم قال لفاطمة بنت عبد الملك : لو شئت أن تلحقي بأهلك فاذهبي لأني قد لا أستطيع أن أقوم بحقوقك لعدم وجود مال عندي ! فأبت أن تفارقه ووافقت أن يدخل المال في خزانة المسلمين وعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ، كان يقوم بالليل يدعو ربه ليصلح الله حكام المسلمين ، وفى زمنه توقفت الجزية من كثرة الداخلين في الإسلام ، فخلت الخزينة في أول أمره ، فأشاروا عليه أن يضع شروطا للإسلام لأن أهل الكتاب كانوا يدخلون الإسلام ، فتسقط الجزية عنهم فقال لهم : والله لو لم يكن في الخزينة إلا درهم واحد ما فعلت شيئا ، فدماؤهم كدمائنا ، وأموالهم كأموالنا فكانت حياته بسيطة، وكذلك حياة أهله، وبقى على الخلافة سنتين وخمسة أشهر ، وكان يقيم في حمص بسوريا، ذات يوم جاءت عجوز تريد قصر الخلافة ، وكان أهل حمص في هناء ورخاء ، فقال لها الناس : الخليفة في هذا الكوخ فدخلت فوجدت امرأة تعمل في أمور البيت، فقالت لها: أريد زوجة أمير المؤمنين ! فقالت لها: أنا، فتحيرت المرأة، وأخذت تتكلم مع زوجة عمر (رحمه الله) وكان عمر يصلح سقف البيت، ومن لحظة وأخري ينظر إلى زوجته، فقالت المرأة : ذلك الأجير ليس رجل صالح لأنه ينظر إليك، فقالت: هو أمير المؤمنين! فازدادت حيرة ، وقالت: لما يعمل بيده مع أن الشعب فى راحة وهناء ؟ فقالت: لو لم يختر هذه الحياة، لم يكن

الشعب فى راحة وهناء ،والصحابة الإجلاء لما ذهبوا لإيران، وتغلبوا عليهم، فقالوا: كيف تغلبوا علينا: مع أنهم عرب فقراء ضعفاء! فقيل لهم : لا تنظروا إلى أجسامهم وملابسهم، بل لقوتهم الداخلية، فهم: فرسان بالنهار رهبان بالليل ، فهم خرجوا بقوة الإيمان والصفات الإيمانية ، ولم يتأثروا بما عندهم لعلمهم أنهم ابتعثوا نيابة عن النبي ﷺ ، ولكن غيرهم تأثروا بهم، وأعجبتهم حياتهم وبساطتهم ، وعمر بن عبد العزيز(رحمه الله) جمع قبل وفاته أولاده وبناته، وقال لهم: ما تركت لكم من المال شيئا مثل الملوك السابقين ، ولو أردت لفعلت ، وقد علمتكم الدين فقالوا: رضينا ! أما أقرباؤه، فقالوا: كيف تترك أولادك دون مال ؟ فقال لهم قولة عجيبة: ما ضيعت لهم حقا، وما أعطيتهم حقوق الآخرين ، ولقد أديت مالهم من حق علىَّ ، فإن يكونوا صالحين ، فالله يتولى الصالحين ، ولو كانوا على غير هذا فلا أبالى فى أى أودية الدنيا هلكوا !! وبعد وفاته قسموا الإرث وكان قليلا جدا ، وليس معنى هذا أن نترك أولادنا فقراء ، ولكن لابد من تركهم على صفات ويقين من أن الله تعالى لن يضيعهم ، لأنهم صالحون وكما قال تعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا﴾ (١).

١) سورة النساء – الآية ٩.

ولذلك يقول الشاعر لمن يرتب الدين على ترتيب الدنيا :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

وكم من أباء تركوا أولادهم على غير الدين ؟ فكانت الأموال سبب هلاكهم ، وتنازعهم ، وتقاتلوا عليها ، حتى ضيعتهم.

وتولي هشام بن عبد الملك ، بعد عمر بن عبد العزيز ، فلما رأى بيت المال لم يكن فيه شيء ظن أن عمر أخذه ، فسأل أخته ، فقالت : ما ترك شيئا ! فقال لها : وأين كان يبيت ؟ قالت : في تلك الغرفة ، فدخل ولم يجد إلا فراشا وإبريقا وحبلا معلقا وبعض الأشياء، سألها فقالت: كان يصلي لله تعالى وكان قليل النوم وفى النهار في أمور المسلمين ، وكان يخاف الله ! فبكوا جميعا وقالوا : ما عرفناه في حياته ، ففي حياته أقام العدل في الناس ، ورد أموال الهاشميين وأراضيهم ، وحل قضايا المسلمين .

وهشام بن عبد الملك تفكر في إقامة المسلمين على العدل والإنصاف ، فولى أولاد عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) فهم أجدر الناس بإقامة العدل والإنصاف ، فولاهم مناصب المسلمين ، وبعد سنوات كان أولاد عمر بن عبد العزيز ينفقون مع فقرهم ، وأولاد الملوك كانوا يتكففون الناس على أبواب المسجد الأموي بدمشق ،إذن التمتع بقليل الدنيا يورث الإنسان التمتع بكثير النعم في الآخرة ، والدين تضحيات

ومجاهدة ، ولكن بعد ذلك حياة طيبة ، قال تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُون ﴾ (١).

مثلا للمجاهدة :رجل خرج في سبيل الله من أصحاب المناصب ، وكان يقدم له الطعام ثلاثة أصناف وحلوى مثل ذلك ، وهو في الأصل يقدم له سبعة أنواع ومن الفاكهة ، ومن الحلوى الكثير، فهو هنا في مجاهدة ٠٠ أما الذي فى بيته يقدم له ثلاثة أنواع ، وهو يريد خمسة ، فهو في انحطاط ونزول ، وليس في تضحية وترق ، والله ﷻ في قرآنه الكريم ، يحذرنا أن نتعدى الحدود ، فيقول سبحانه :﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ ﴾ (٢) حتى يبقى على التقوى، ومزاج الشرع لا يأتي إلا بالتدريج ، يقول تعالى:﴿ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (٣). ووائل بن حجر رضي الله عنه كان من أبناء الملوك ، فأكرمه الرسول ﷺ وذكره بخير على

---

١) سورة النحل – الآية ٩٧ .
٢) سورة البقرة . الآية ٢٢٩ .
٣) سورة العنكبوت _ الآية ٦.

منبره ، وأمر معاوية ﷺ أن يكرمه فذهب به إلى بيته، لقولهﷺ : " أنزلوا الناس منازلهم " [١] .

---

١) في سنن أبي داود « كتاب الأدب « باب في تنزيل الناس منازلهم: عَنْ مَيْمُونِ بْنِ أَبِي شَبِيبٍ أَنَّ عَائِشَةَ مَرَّ بِهَا سَائِلٌ فَأَعْطَتْهُ كِسْرَةً وَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ وَهَيْئَةٌ فَأَقْعَدَتْهُ فَأَكَلَ فَقِيلَ لَهَا فِي ذَلِكَ فَقَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ قَالَ أَبُو دَاوُدَ وَحَدِيثُ يَحْيَى مُخْتَصَرٌ قَالَ أَبُو دَاوُدَ مَيْمُونٌ لَمْ يُدْرِكْ عَائِشَةَ .

قَالَ الْعَزِيزِيُّ : وَالْمُرَادُ بِالْحَدِيثِ الْحَضُّ عَلَى مُرَاعَاةِ مَقَادِيرِ النَّاسِ وَمَرَاتِبِهِمْ وَمَنَاصِبِهِمْ وَتَفْضِيلِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْمَجَالِسِ وَفِي الْقِيَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحُقُوقِ) . قَالَ أَبُو دَاوُدَ مَيْمُونٌ لَمْ يُدْرِكْ عَائِشَةَ .

قَالَ الْمُنْذِرِيُّ : وَقِيلَ لِأَبِي حَاتِمٍ الرَّازِيِّ مَيْمُونُ بْنُ أَبِي شُبَيْبٍ عَنْ عَائِشَةَ مُتَّصِلٌ قَالَ لَا . انْتَهَى كَلَامُ الْمُنْذِرِيِّ .

وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي مُقَدِّمَةِ شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي فَصْلِ التَّعْلِيقِ : وَأَمَّا قَوْلُ مُسْلِمٍ فِي خُطْبَةِ كِتَابِهِ وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – أَنَّهَا قَالَتْ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنْ نُنْزِلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ فَهَذَا بِالنَّظَرِ إِلَى أَنَّ لَفْظَهَ لَيْسَ جَازِمًا لَا يَقْتَضِي حُكْمَهُ بِصِحَّتِهِ وَبِالنَّظَرِ إِلَى أَنَّهُ احْتَجَّ بِهِ وَأَوْرَدَهُ إِيرَادَ الْأُصُولِ لَا إِيرَادَ الشَّوَاهِدِ يَقْتَضِي حُكْمَهُ بِصِحَّتِهِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ حَكَمَ الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ فِي كِتَابِهِ كِتَابِ مَعْرِفَةِ عُلُومِ الْحَدِيثِ بِصِحَّتِهِ وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي ص١٨٥ سُنَنِهِ بِإِسْنَادِهِ مُنْفَرِدًا بِهِ ، وَذُكِرَ أَنَّ الرَّاوِيَ لَهُ عَنْ عَائِشَةَ مَيْمُونُ بْنُ أَبِي شُبَيْبٍ وَلَمْ يُدْرِكْهَا.

قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ الصَّلَاحِ وَفِيمَا قَالَهُ أَبُو دَاوُدَ نَظَرٌ ، فَإِنَّهُ كُوفِيٌّ مُتَقَدِّمٌ قَدْ أَدْرَكَ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ ، وَمَاتَ الْمُغِيرَةُ قَبْلَ عَائِشَةَ ، وَعِنْدَ مُسْلِمٍ التَّعَاصُرُ مَعَ إِمْكَانِ التَّلَاقِي كَافٍ فِي ثُبُوتِ الْإِدْرَاكِ ، فَلَوْ وَرَدَ عَنْ مَيْمُونٍ أَنَّهُ قَالَ لَمْ أَلْقَ عَائِشَةَ اسْتَقَامَ لِأَبِي دَاوُدَ الْجَزْمُ بِعَدَمِ إِدْرَاكِهِ وَهَيْهَاتَ ذَلِكَ . انْتَهَى .

في أول أمر الدعوة إلى الله، لا نشق على الناس ، حتى لا يسأموا ويملوا ، لأن الناس ألفوا المعاصي ، فصعب عليهم أمر الدين، ولذلك أسلم نصراني في رمضان ، فقال له بعض الناس : عليك خمس صلوات ، وقيام ليل وتراويح ، وصيام رمضان ، وأذكار ، وقراءة قرآن ، فقال : إن كان هذا هو الإسلام ، فأنا لا أستطيع ، فارتد ، ولكن لو جاءوا معه بالتدريج ، لثبت بإذن الله ، وهذا الشخص كان فى سفر وله الخيار في الإفطار، بدل أن يضغطوا عليه.

كذلك رجل آخر مدمن خمر خرج مع الجماعة ، فقال: لا أستطيع ترك الخمر، فقالوا له : لا بأس فلما تأثر بأحوالهم ، بكي لله ودعاه أن يوفقه لترك الخمر، وبنفسه كسر الزجاجة ٠٠ فهذه حكمة بالتدريج حتى يفهم ، وقد أخبرنا الله تعالى بهذا في قرآنه، فقال ﷻ : ﴿ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُواْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[١] وبالأخص أن بلادنا بلاد العجم ، والفتن فيها كثيرة ، والناس عوام ولا يفهمون ، فلا بأس في مثل هذه الأمور ، وكذلك جماعة خرجوا ، وأخذوا

قَالَ النَّوَوِيُّ : وَحَدِيثُ عَائِشَةَ هَذَا قَدْ رَوَاهُ الْبَزَّارُ فِي مُسْنَدِهِ وَقَالَ هَذَا الْحَدِيثُ لَا يُعْلَمُ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ مَوْقُوفًا . انْتَهَى (عون المعبود).

١) سورة النساء _ الآية٩٤.

معهم رجلا رغبته زوجته في الخروج ، فخرج وزوجته تقية ورعة ، فلما جاء العيد أولاد الجيران في الشارع ، قالوا لهم : أبوكم غير موجود ، وليس هناك ملابس جديدة ، فشكوا ذلك لأمهم ، فأمهم رغبتهم في الجنة والنعيم المقيم ، وفيها لا يبلي الثياب ، ولا يفني الشباب ، فخرج الأطفال وذهبوا إلى الأطفال الآخرين ، وقالوا لهم : لنا الآخرة وفيها جنة لنا ، وذلك بسبب الخروج الذي خرجه أبونا ليأتي بالجنة ، فهنا الأطفال قالوا : لأمهاتهم الأخريات، أمي لماذا لا يذهب أبونا ويأتي بالجنة مثلما ذهب فلان وترك أولاده؟ ولما رجع آباؤهم ، النساء قلن للرجال الأولاد لم يفرحوا بالعيد وحكوا لهم الأمر، وقلن لماذا لا تخرجون في سبيل الله مثلما يفعل الجيران ؟ فذهب رجالهم لزيارة الرجال الذين عادوا من الخروج ، فسألوهم عن أحوالهم ، وبفضل الله تشكلوا معهم ، فهنا النساء اجتهدن ، وأخرجن الرجال.

ونفكر كيف نعصم أنفسنا من غضب الله ﷻ وسخطه ، ونخرج إلى مرضات الله ورضوانه ، فيثبتنا الله على الصراط المستقيم.

إذا قمنا على الجهد ، بإذن الله نجتهد حتى الموت ، نموت في هذا الجهد ، نكون مستعدين لكل الأعمال.. وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تصحيح المفاهيم

قال تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُون ﴾ (١) .

صلاح الإنسان في الدنيا والآخرة ، اجتماعياً ، انفرادياً ، مبنى على أن ينفق نفسه وماله لرضاء الله ﷻ ، أي يستعمل نفسه وماله حسب أوامر الله وطريق النبي ﷺ ، وبذلك تنزل الرحمة ، وترفع المشاكل ، ويرتاح في القبر وينام نومة العروس ، ويسهل عليه يوم القيامة ، ثم يدخل الجنة يتنعم إلى الأبد قال تعالى ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفّىً وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ (٢) .

قبل بعثة النبي ﷺ ظهر الفساد في البر والبحر ، فاجتهد النبي ﷺ وكون البيئة ، وبتلك البيئة قام الجهد ، وبالجهد ظهرت الحياة الطيبة ، وبهذه الحياة انتشر الصحابة في بلاد العالم ، فالذين كان عندهم فطرة

---

١) سورة النحل – الآية ٩٧ .

٢) سورة محمد – الآية ١٥ .

سليمة تأثروا ودخلوا في دين الله ﷻ .

فكان الترتيب بذل المال في طاعة الله ﷻ ، وبذل النفس في طاعة الله ﷻ .

ولكن الترتيب الذي نحن فيه الآن ، ليس صحيح ، نبذل النفس في تحصيل المال ، نصرف هذا المال في تحصيل شهواتنا ، كمثل الضفدع ، يعيش في البئر ، ويأكل في البئر ، ويموت فى البئر .

الله ﷻ أخبرنا عن حياة الرجال ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [١] فكانوا قسمين :

١) *المهاجرين :* الذين تركوا ديارهم لنصرة الدين قال تعالى ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [٢] .

٢) *الأنصار :* وهم الذين نصروا المهاجرين قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ آوَوْا

---

١) سورة التوبة – الآية ١٠٠ .

٢) سورة الحشر – الآية ٨ .

وَنَصَرُوا ﴾ [١] وقال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ ﴾ [٢] والذي يتبعهم الله يرضى عنه ... وهكذا إلى يوم القيامة .

فبذل النفس والمال يكون على أربع أشياء بالتوازن :

(١) *نسبة الحيوانية :* أي أن الإنسان فيه متطلبات الأكل والشرب والنكاح مثل الحيوان ، فأباح الله ﷻ لنا طلب هذه الأشياء في حدود ما أمرنا الله ﷻ به .

(٢) *نسبة الملائكية:* فالإنسان يخرج من صفة الحيوانية إلى صفة الملائكية بطاعة الله﴿ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [٣] .

(٣) *نسبة الخلافة :* وهي خلافة الله ﷻ في الأرض، قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرض خَلِيفَةً﴾ [٤] وهذه النسبة ما أعطيت للملائكة .. فيطعم الطعام لأنه خليفة الرزاق .. ويستر العباد لأنه خليفة الستار .. ويرحم العباد لأنه خليفة الرحمن الرحيم .. ويُكرم العباد لأنه خليفة الكريم .. ويعفو عن العباد لأنه

---

١) سورة الأنفال – الآية ٧٢ .
٢) سورة الحشر – الآية ٩ .
٣) سورة التحريم – الآية ٦ .
٤) سورة البقرة – الآية ٣٠ .

خليفة العفو .. ويغفر للعباد لأنه خليفة الغفور .. وإذا وجد الناس يعصون الله ﷻ فيغضب ويجتهد لإزالة البيئة الفاسدة لأنه خليفة الجبار[١].

وكل هذه الصفات يقوم بها بدون عوض من المخلوق ، ويقوم بها لله ﷻ.

أبو طلحة ﷺ يكرم ضيف رسول الله ﷺ ويؤثره بالطعام على نفسه وزوجه وأولاده ، فالله ﷻ أحب هذا الفعل وأنزل القرآن ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٢] .

وهذه العلاقة تزداد بعد الأعمال ، ورضاء الله بقدر الأعمال ، والارتقاء في الأعمال بسبب الأعمال ، لأن الماء إن كان في الكأس فهو ماء ، وإن كان في البحر أو الخزان فهو ماء ، ولكن يختلف المقدار والنوع ، فكذلك رضاء الله ﷻ درجات ، وغضبه درجات ، وكلما زاد غضبه زادت عقوبته ، وكلما زاد رضاه زادت الدرجات فى الجنة .

والله ﷻ بين لنا الوعد على الأعمال الصالحة ، وبين لنا الوعيد على الأعمال غير الصالحة ، الله ﷻ ما جعل الجزاء فى الدنيا مثل

---

١) انظر كتابنا كلمات مضيئة في الدعوة إلى الله ﷻ – باب مقصد الأمة – صـ ١٧٧.
٢) سورة الحشر – الآية ٩ .

الآخرة مثلاً : رجل قتل نفساً أو اثنين أو ثلاثة ولو قتل مائة نفس فيقتل مرة واحدة ، ولكن فى الآخرة الأمر يختلف قال تعالى ﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأرض فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ (١) ، أبو طلحة ﷺ أطعم رجلاً واحداً ، الله ﷻ أنزل القرآن في صفته فكيف بالذي يخرج في سبيل الله ﷻ وكان سبباً لنجاة الناس من النار ، ودخولهم الجنة ، كم يتحصل عند الله ﷻ .

(٤) *نسبة نيابة عن سيدنا* محمد ﷺ *:* نحن ننفق أموالنا وأنفسنا فى جهد الرسول ﷺ قال تعالى ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أمة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٢)

والنيابة تشمل أمرين :

- *الأمر الأول :* نيابة عن الأنبياء السابقين عليهم السلام فى بلدته مثل سيدنا موسى عليه السلام فى مصر .. ﴿ وَإِلى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً ﴾ (٣) .. ﴿ وَإِلى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً ﴾ (٤) . ﴿ وَإِلى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً﴾ (٥)

---

١) سورة المائدة – الآية ٣٢ .
٢) سورة آل عمران – الآية ١١٠ .
٣) سورة الأعراف – الآية ٨٥ .
٤) سورة الأعراف – من الآية ٦٥ .
٥) سورة الأعراف – من الآية ٧٣ .

- *الأمر الثاني :* نيابة عن النبي ﷺ : ودائرة جهده العالم كله إلى يوم القيامة ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ (١) فنجتهد في جهد الرسول ﷺ ، ونقضى حوائجنا حسب أمر الله على طريق النبي ﷺ .

اليوم الذى يصلى يقول أنا عندي الدين .. والذي يتبرع يقول أنا عندي الدين .. وصاحب اللحية يقول أنا عندي الدين .. ولكن الدين الكامل فيه القوة ، وعليه تنزل نصرة الله ﷻ .

السيارة تسمى سيارة عندما يكتمل فيها جميع الأجزاء ... وكل المواعيد فى القرآن الكريم على الإيمان الكامل .. وبقدر الصفات التي تأتى فينا تنزل نصرة الله ﷻ لم يقل (إن الله مع المصلين) وقال﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢)،﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(٣) لماذا ؟ !

لأن الصلاة على نوعين :

١) صلاة يرضى بها الله عن العبد ويعطيه الفلاح ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (٤) .

---

١) سورة الأعراف – الآية ١٥٨ .
٢) سورة الأنفال – الآية ١٩ .
٣) سورة الأنفال – الآية١٩ .
٤) سورة المؤمنون – الآيتان ١ ، ٢ .

٢) صلاة تكون سبباً لهلاك الإنسان ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ ﴾ [١] وهى صلاة الرياء .

والصدقة على نوعين :

(١) صدقة : مقبولة .

(٢) صدقة : غير مقبولة ، مصحوبة بالمنَّ والأذى ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [٢] .

والصوم على نوعين :

(١) صيام يوصل إلى تقوى الله ﷻ ، قال تعالي﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [٣] .

(٢) صيام لا يوصل إلى شئ : عن أبي هريرة رضي الله عنه وَعَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " : " كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الظَّمَأُ ، وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ "

---

١) سورة الماعون – الآيات ٤ : ٦ .

٢) سورة البقرة – الآية ٢٦٤ .

٣) سورة البقرة – الآية ١٨٣ .

.رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ وَذَكَرَ حَدِيثَ لَقِيطِ بْنِ صَبْرَةَ فِي بَابِ سُنَنِ الْوُضُوءِ[١]

وقيام الليل على نوعين :

(١) قيام يوصل إلى رضاء الله ﷻ : قال تعالى ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلا

---

١) كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ ") أَيْ : حَاصِلٌ أَوْ حَظٌّ " مِنْ صِيَامِهِ " أَيْ : مِنْ أَجْلِهِ " إِلَّا الظَّمَأُ " بِالرَّفْعِ أَيِ : الْعَطَشُ وَنَحْوُهُ مِنَ الْجُوعِ ، وَاخْتَارَ الظَّمَأَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّ مَشَقَّتَهُ أَعْظَمُ " وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ " أَيْ : فِي اللَّيْلِ " لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ " أَيْ : أَثَرٌ " إِلَّا السَّهَرُ " أَيْ : وَنَحْوُهُ مِنْ تَعَبِ الرِّجْلِ وَصَفَارِ الْوَجْهِ وَضَعْفِ الْبَدَنِ ، قَالَ الطِّيبِيُّ : فَإِنَّ الصَّائِمَ إِذَا لَمْ يَكُنْ مُحْتَسِبًا أَوْ لَمْ يَكُنْ مُجْتَنِبًا عَنِ الْفَوَاحِشِ مِنَ الزُّورِ وَالْبُهْتَانِ وَالْغِيبَةِ وَنَحْوِهَا مِنَ الْمَنَاهِي فَلَا حَاصِلَ لَهُ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ ، وَإِنْ سَقَطَ الْقَضَاءُ ، وَكَذَلِكَ الصَّلَاةُ فِي الدَّارِ الْمَغْصُوبَةِ وَأَدَاؤُهَا بِغَيْرِ جَمَاعَةٍ بِلَا عُذْرٍ فَإِنَّهَا تُسْقِطُ الْقَضَاءَ وَلَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا الثَّوَابُ اهـ . قَالَ ابْنُ الْمَلَكِ : وَكَذَا جَمِيعُ الْعِبَادَاتِ إِذْ لَمْ تَكُنْ خَالِصَةً اهـ . كَالْحَجِّ وَالزَّكَاةِ فَإِنَّهُ لَا يَحْصُلُ لَهُ بِهِمَا إِلَّا خَسَارَةُ الْمَالِ ، وَتَعَبُ الْبَدَنِ فِي الْمَالِ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ أُرِيدَ بِهِ الْمُبَالَغَةُ وَأَنَّ النَّفْيَ مَحْمُولٌ عَلَى نَفْيِ الْكَمَالِ ، أَوِ الْمُرَادُ بِهِ الْمَرَائِي فَإِنَّهُ لَيْسَ لَهُ ثَوَابٌ أَصْلًا (رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ (قَالَ مِيرَكُ : وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ ، وَلَفْظُهُ " رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ " وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَابْنُ خُزَيْمَةَ فِي صَحِيحِهِ ، وَالْحَاكِمُ ، وَقَالَ : صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ ، وَلَفْظُهُ: رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنَ الصِّيَامِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ) وَذُكِرَ) بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ (حَدِيثُ لَقِيطِ بْنِ صَبْرَةَ (بِفَتْحِ الصَّادِ وَكَسْرِ الْمُوَحَّدَةِ ، قَالَ الطِّيبِيُّ : هُوَ أَبُو رَزِينٍ لَقِيطُ بْنُ عَامِرٍ صَبْرَةُ صَحَابِيٌّ مَشْهُورٌ ، وَتَوَهَّمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُمَا شَخْصَانِ (فِي بَابِ سُنَنِ الْوُضُوءِ) وَالْحَدِيثُ قَوْلُهُ بَالَغَ فِي الِاسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ صَائِمًا ، ذَكَرَهُ الطِّيبِيُّ ، وَهُوَ اعْتِرَاضٌ مِنْ صَاحِبِ الْمِشْكَاةِ عَلَى صَاحِبِ الْمَصَابِيحِ وَهُوَ فِي مَحَلِّهِ كَمَا لَا يَخْفَى ؛ لِأَنَّ إِيرَادَ الْحَدِيثِ فِي الْبَابِ الْمَوْضُوعِ لِلْحُكْمِ السَّابِقِ مِنْهُ أَوْلَى (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح).

تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١).

(٢) قيام لا يوصل إلى شئ: " وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَر " (٢).

والحج على نوعين :

(١) حج مبرور يقربه إلى الله ﷻ .

(٢) حج فيه الرفث والفسوق والرياء أى مردود عليه .

والقتل فى سبيل الله على نوعين :

(١) شهيد يغفر له من أول قطرة تقطر من دمه ويدخل الفردوس الأعلى.

(٢) شهيد تسعر به نار جهنم.

فالشهيد هو الذي يضحى بالنفس ، والسخي هو الذي يضحى بالمال ، والقارئ العالم هو الذي يعلم العلم وهذه الأعمال إذا كانت لغير الله ﷻ فهى تدخل صاحبها نار جهنم كما في الحديث " أول من تسعر بهم النار ثلاثة ... الخ " .

وهذه الأعمال إذا كانت فيها صفات الإيمان (إخلاص .. تقوى .. إحسان) فبها يتحصل الإنسان على معية الله ﷻ .. فنجتهد لهذه الصفات حتى يكون الله ﷻ معنا .

---

١) سورة السجدة – الآيتان ١٦ ، ١٧ .

٢) وقد مر ذكره .

الإيمان الذى أمرنا الله ﷻ أن نتعلمه قبل كل شيء .. قبل التجارة .. الزراعة .. الزواج .. لأنه لو ضعف لا يدل على العمل .. وإذا جاءت قوة الإيمان نزلت نصرة الله ﷻ .

بنوا إسرائيل قالوا لسيدنا موسى عليه السلام ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ (١) ولكن لما جعلوا بيوتهم قبلة وأقاموا الصلاة فقوى الإيمان فنزلت عليهم نصرة الله ﷻ .

جاء البلاء على بني إسرائيل قبل بعثة سيدنا موسى عليه السلام وبعد بعثته ، ولكن لا يخفى علينا أن ابتلاء المؤمن لرفع الدرجات ، كما قال فى بدر ﴿ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ (٢) وكما قال عن سيدنا أيوب عليه السلام ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٣) وكذلك في المؤمنين ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٤) ، ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (٥)

---

١) سورة الأعراف – الآية ١٢٩ .
٢) سورة آل عمران – الآية ١٥٢ .
٣) سورة ص – الآية ٤٤ .
٤) سورة المائدة – الآية ٤٨ .
٥) سورة البقرة – الآية ١٥٥ .

والفاسق يأتيه البلاء للعذاب .. فابتلاء الصحابة أظهر الدين ، وابتلاءنا سبب ارتداد المسلمين ، ونحن فى المشقة ولكنهم تحملوا المشقة فى سبيل الدعوة .. يُضربون .. يُهانون ، قال تعالى مخبراً عن حال الكفار معهم﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ (١) .

لذلك يقين الصحابة يزداد يوماً بعد يوم على الله ﷻ الذي فلق الحب والنوى ، الذى أحيى لعيسى الموتى ، وفلق البحر لموسى .. أخذوا يضربونهم ، ويقولون لهم : أين إلهكم ؟ أين بطشه ؟ أين عذابه ؟

وهم يصبرون ، والقرآن ينزل يواسيهم ، ويصبرهم ، ويرغبهم في الآخرة ويبين لهم أن هذا سينقطع ، ويقولون لهم : إن ديننا حق ، ونصرتنا حق ، وسوف يأتى بطش الله يوماً ما ، فإن الله معنا ، ولا يرتد أحداً منهم ، وكلما ضربوا ازدادوا إيماناً ويقيناً ، والله يقول لهم ﴿ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ ﴾ (٢) وكلما كفوا أيديهم يزداد إيمانهم .. يزدادون يوماً بعد يوم حباً لله ﷻ .

في غزوة بدر : الله ﷻ يعلم الأمة كيف تكون نصرة الله مع الأنبياء – عليهم السلام – يختارون الأسباب الظاهرية حسب استطاعتهم ، فلما تنزل عليهم نصرة الله ﷻ فالأسباب التي عندهم تكفى ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ

---

١) سورة ص – الآية ٥ .

٢) سورة النساء – الآية ٧٧ .

رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [١] فلما رمى بأمر الله ﷻ ، فالله نشرها في أعين الكفار ، وقال أنا رميت .. أنت فقط السبب الظاهري .

البلايا التي تصيب الأمة اليوم بسبب معاصيها ، ذهبت الجماعة إلى قرية فوجدوا الشباب يبولون فى المسجد قالوا لهم هذا بيت الله تبولون فيه ؟! قالوا : نعم ، بيت الله نبول فيه ، إذا كان موجود لماذا لم ينصرنا ؟ فالبلد الفلاني أخذ منا كذا .

من أسباب رفع النصرة (المعاصي) :

فمعاصينا رفعت عنا نصرة الله ﷻ ، وجاءت بالارتداد فالآن أصبحت المشقة مكتوبة ومقدرة ، فنحن نغير الطريق ونتحمل هذه المشقة .. وتكفى صلاة ركعتين لتنزل نصرة الله ﷻ وقد سخر للصحابة البحار.. الرياح .. الأمطار.. الحيوانات.

نساء النصارى كانوا يخوفون أولادهم ، يقولون : جاء خالد بن الوليد ، جاء عمر ، كان لهم وزن .

نرجع إلى بداية الكلام .. قبل التجارة العلم .. وقبل العلم الإيمان قالت بنو إسرائيل ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأرض فَيَنْظُرَ

---

١) سورة الأنفال – الآية ١٧ .

كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [١] الله ﷻ يفهمنا أنه ليس بمجرد وجود النبي تأتى نصرة الله ﷻ ، فلابد من مرحلة حصول الصفات الصبر .. الاستعانة بالله .. إقامة الصلاة .. التوكل على الله .. ثم تأتى نصرة الله ﷻ وقال سيدنا موسى ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ * فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [٢] فعليه توكلوا : فيه الحصر ، أي لا تتوكلوا إلا على الله ﷻ ، بنو إسرائيل قالوا : توكلنا على الله ، ولكن فقط على اللسان ، فإن دخل القلب كان حقيقة الإيمان ، وإن كان على اللسان كان مجرد كلمة .

التاجر يشتغل في تجارته .. إن كان متيقناً ينظر فى تجارته الحلال والحرام ، فيجتنب الحرام وإن كان فقيراً ، وإذا دُعىَ للخروج فى سبيل الله ﷻ فهو يخرج .. فهذه علامة الإيمان .

وإن دعي للخروج وقال الأحوال غير صالحة ، وعندما تصلح الأحوال أخرج .. فهذا دليل على فساد اليقين وضعف الإيمان .

لما أراد الصحابة أن يصلحوا بساتينهم ومزارعهم فالله ﷻ قال لهم ﴿

---

١) سورة الأعراف – الآية ١٢٩ .

٢) سورة يونس – الآيات ٨٤ :٨٦ .

وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إلى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [١] قال أبو أيوب فكانت التهلكة .. الإقامة فى الأهل والمال .

الأوامر رفعت ومحيت من الإنسانية وطريق النبى ﷺ محيى من الإنسانية وهو مشغول بزراعته ، لا يجوز له أن يبقى فى بيته ، لو نزل العذاب فصلاته لا ترد عنه ، ولا عن غيره ، فنقوم بالدعوة إلى الله ﷻ حتى تصلح الإنسانية كلها .. هذا الجهد يحتاج إلى طائفة من المؤمنين يضحوا بشهواتهم وأنفسهم ويصبروا حتى يستجلبوا نصرة الله ﷻ وتنزل الهداية من السماء .

لما توفى رسول الله ﷺ .. وارتد العرب .. وتجهز الروم لغزو الصحابة رضى الله عنهم أجمعين .. فأبو بكر نظر للأمر (أنفذوا بعث أسامة) وما نظر إلى الحال .. وأخرج جيش أسامة وقال " أينقص الدين وأنا حي " . فالمؤمن ينظر إلى الأوامر ولا ينظر إلى الأحوال .

سيدنا موسى عليه السلام لما أرسل إلى فرعون خاف ﴿ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون * وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً

---

١) سورة البقرة – سورة ١٩٥ .

يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ [١] ولكن معية الله ﷻ مع الأنبياء وأتباع الأنبياء الذين يقومون بالدعوة إلى الله . قال تعالى ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآياتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ [٢] لما جاء السحرة ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى * قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أنت الأَعْلَى ﴾ [٣] الإنسان بطبعه يتأثر ولكن لا يعمل بما تأثر به ، فالصحابة رضى الله عنهم أجمعين ما كان التأثير يجبرهم على المعصية ، ولكننا تأثرنا حتى عصينا الله ﷻ ورسولهﷺ ، الصحابة ابتلوا بالجوع والمحنة والمصائب فصبروا .. فنزلت عليهم نصرة الله ﷻ ، قال رسول الله ﷺ " إنكم في زمان من ترك منكم ما أُمر به هلك ، ثم يأتي زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا ". رواه أبو داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة [٤].

الله ﷻ لا يُرى ، ولكن بتكرار الدعوة ، واتباع كلام الله يرسخ اليقين في القلب .

سيدنا موسى عليه السلام أمرهم بالتوكل وأن يجعلوا بيوتهم قبلة ويقيموا

---

١) سورة القصص – الآيتان ٣٣ ، ٣٤ .
٢) سورة القصص – الآية ٣٥ .
٣) سورة طه – الآيتان ٦٧ ، ٦٨ .
٤) مشكاة المصابيح – باب الاعتصام بالكتاب والسنة ٦٣/١

الصلاة ﴿ وَأَوْحَيْنَا إلى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) ومعناه الاستعانة على ما هم فيه من الضر والشدة والضيق بكثرة الصلاة كما قال الله ﷻ ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ ﴾ (٢) وكان النبي ﷺ : إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة .

ولما تيقن سيدنا موسى عليه السلام بعدم إيمان فرعون دعا عليه ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (٣) فأمرهم الله ﷻ بالاستقامة وعدم إتباع سبيل الذين لا يعملون ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤) ، فالخطاب خاص فى صورة النبي ﷺ ولكنه عام لأمته كما في قوله تعالى ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُك﴾ (٥) وهو خطاب للنبي ﷺ ولكن موجه لجميع الإنسانية .

لما يدخل الإيمان فى القلب فيأتي الامتحان ، وللامتحان طريقان ،

---

١) سورة يونس – الآية ٨٧ .
٢) سورة البقرة – الآية ٤٥ .
٣) سورة يونس – الآية ٨٨ .
٤) سورة يونس – الآية ٨٩ .
٥) سورة الزمر – الآية ٦٥ .

الله يأمر أحياناً بتضحية المنافع وقبول المضار ، كما فعل مع سيدنا موسى عليه السلام ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ [١] فلما عدد منافع العصا الله عز وجل قال له ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ [٢] فلما أصبحت حية أمر بأخذها وهى ضارة (امتحان) ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى ﴾ [٣] .

وكذلك نحن نضحى بأموالنا لله ، نكلف نفوسنا الجهد بأمر الله ، فيأتي في القلب قوة الإيمان ، كما ألقى سيدنا موسى عليه السلام نفعاً وأخذ ضراً ، فكذلك المسلم يلقى نافعاً ، ويأخذ ضاراً ، وبذلك يكون صادقاً فى قوله " آمنا " .

بكلمة الإيمان " لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله ﷺ " فقط لا تنزل معية الله سبحانه وتعالى ، لو قال فقط بلسانه قنبلة لا يقتل ذبابة ، ولو قال مفتاح لا يستطيع أن يفتح قفل مغلق ، ولو قال بلسانه : جاموسة هو لا يستطيع أن يأتي باللبن ، ففي الدنيا اللفظ والصورة لا ينفع ، ولكن حقيقة الشئ تنفع ، ولكن لو قال : لفظ الدين هو ينفع ، مثل رجل قرأ القرآن ،

---

١) سورة طه – الآيتان ١٧ ، ١٨ .
٢) سورة طه – الآيتان ١٩ ، ٢٠ .
٣) سورة طه – الآية ٢١ .

وقال : ﴿ ألم ﴾ يتحصل على ثلاثون حسنة ، ولا تقوم الساعة ورجل على الأرض يقول : الله .. الله ، بهذا اللفظ لا تزول الأرض ، ولا تزول الجبال ولا تزول السماء ، ولكن موعود الإيمان فى الدنيا مربوط بحقيقة الإيمان ليس بكلام الإيمان ، قلنا : آمنا بألسنتنا ، آمنا يا الله ، والله بين من الصادق في هذا القول ، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (١) .

فنتحمل المشقة ، وإنفاق المال ، لإحياء الدين ، فنتحصل علي :﴿ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ .

فظل بنو إسرائيل في التربية لفترة أربعين عاماً ، ثم جاء الأمر لسيدنا موسى عليه السلام ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴾ (٢) فخرجوا من مصر البحر أمامهم ، وفرعون من ورائهم ، فجاء الامتحان .. بنو إسرائيل تعلموا الإيمان في بيئتهم ولكن الإنسان ضعيف لما ينظر إلى المشاهدة يتأثر ، فإذا تأثر وعمل بما تأثر ترفع عنه نصرة الله ﷻ قال تعالى ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾

---

١) سورة الحجرات – الآية ١٥ .

٢) سورة الدخان – الآية ٢٣ .

[١] البحر أمامهم وفرعون وجنوده وراءهم .. فسيدنا موسى عليه السلام توجه إلى الله عز وجل ووجههم إلى الله سبحانه وتعالى وقال كلمة ردع ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [٢] فنزع من قلوبهم التأثر بفرعون وجنوده ، وجاء الأمر من الله ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ [٣] ثم جاء الأمر من الله عز وجل لسيدنا موسى عليه السلام ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴾ [٤] فقوة إيمان سيدنا موسى عليه السلام وقومه الله جعلها سبب لتدمير قوة فرعون وجنوده ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ [٥] .

الناس اليوم يقتل بعضهم بعضاً ، ويقولون خذوا ما في أيدي الناس ، عن طريق القتل .. السرقة .. الغش .. الخداع .. الكل يقول خذوا .. والكل يقول أنا مظلوم فإنا آخذ من يد هؤلاء .. وما أخذوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " صل من قطعك ، واعط من حرمك ، واعف عمن ظلمك " (رواه البزار والطبراني والحاكم والإمام أحمد عن عقبة بن عامر) .

---

١) سورة الشعراء – الآية ٦١ .
٢) سورة الشعراء – الآية ٦٢ .
٣) سورة الشعراء – الآية ٦٣ .
٤) سورة الدخان – الآية ٢٤ .
٥) سورة الذريات – الآية ٤٠ .

ومن أسباب رفع النصرة أيضاً :

ترك أمر النبي ﷺ كما في غزوة أحد .. الإعجاب بالنفس والتأثر بالأسباب كما في غزوة حنين ، قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأرض بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾ (١).

لابد أن نفهم ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) ونصرة الله مربوطة بالتوكل واليقين كما بينَّا .

الترتيب الموجود الآن في حياتنا ليس صحيح . إذا قدمنا التجارة .. الزواج .. الأولاد .. يكون الإسراف وينفق في حفلة واحدة كثير من المال .

رجل يقول : أنا مشغول بالتجارة ، ويقول : الله أمرنا بالعمل .. نقول له : هذا جزء من الدين .

متى يكون الدين كامل ؟

عندما يكون على أمر الله ﷻ حسب طريقة النبي ﷺ .

---

١) سورة التوبة – الآية ٢٥ .

٢) سورة آل عمران – الآية ١٦٠ .

رجل عنده دراجة يبيعها، فهل يربح فيها مثل السيارة ، ورجل يبيع ويشترى حلال .. فله الأجر، ولكن لا يستطيع أن يأخذ أجر الدين الكامل.

لابد من التقديم والتأخير .. إذا جاء وقت الصلاة ، يترك العمل ويصلى ، فالعبادات قبل التجارة ، وقبل الأهل .. ومع العبادات يُميز بين الحلال والحرام .. وقبل التجارة والأهل لابد من الإيمان ، بل قوة الإيمان ، فبدون قوة الإيمان لا يستطيع أن يطبق ما علمه .

الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، قالوا : تعلمنا الإيمان ، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً .

ولذلك الله ﷻ يخاطب المسلمين ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (١) فبدون الإيمان ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً ﴾ (٢) .

إذا قدم الإنسان حاجات الدنيا ، يكون الإسراف.. وإذا أخرها يكون الاعتدال.. إذا تزوج على سنة الرسول ﷺ فتكون البساطة ، وينفق المال الباقي على اليتامى ، يقتصد في بيته وينفق على الآخرين.. بقدر الحاجة يبنى المسكن ، ويؤسس البيت، حسب الضرورة ، والمال الباقي

---

١) سورة البقرة – الآية ١٠٤ .

٢) سورة الفرقان – الآية ٢٣ .

يبنى البيوت للفقراء والمساكين، والفقراء والمساكين يدعون له، والله يجعل له القبول، ويصير محبوباً عند الله وعند الناس فيتحقق الموعود على الآية ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾ (١) .

وإن قدم أمر الدنيا فهو يبنى مثل فرعون، ويقول ﴿ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (٢) .

الآن المشاكل والمصائب .. لأننا ابتعدنا عن طريق النبي ﷺ .. عندنا الحرص والتكبر ، فالفقير حريص ، والغنى يتكبر ، فالفقير بسبب الطمع ، يحقد على الغنى ، ويتفكر كيف يأخذ منه بالسلب والنهب .. فإذا قامت حياة الإيثار فتأتى المحبة .

الناس اليوم يتمسكون فقط بأجزاء الدين .

إذا قامت الأمة بالجهد المقامي، والجهد الخارجي ، يحيى الدين فى العالم ، وتخرج الأمة في سبيل الله على أي حال لإيجاد ترتيب ﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً ﴾ (٣) ولإقامة الترتيب ﴿ فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ ﴾ (٤) وبهذا الترتيب يأتي الدين الكامل في جميع شعب الحياة ،

---

١) سورة مريم – الآية ٩٦ .
٢) سورة القصص – الآية ٧٩ .
٣) سورة التوبة – الآية ٤١ .
٤) سورة التوبة – الآية ١٢٢ .

فتستفيد الأمة من الدين ، ولكن لو عمل ببعضه وترك بعضه لا يستفاد منه .

مثل : السيارة لابد لها من عدة أشياء :

- أولا : الأجزاء .
- ثانيا *:* الترتيب الصحيح للأجزاء .
- ثالثا *:* قوتها الداخلية .

فإذا كانت أجزاء السيارة صحيحة وليست مرتبة فهي لا تمشى ، وإذا كانت الأجزاء غير صحيحة ، والترتيب صحيح فهى لا تمشى ، كذلك لو أن أعمال الدين والعبادات صحيحة ، وليست على منهج صحيح ، فهي لا تقبل ، الناس يقولون : كسب المعاش حلال ، ويقرئون الآية ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [1] ثم يقدمونه على أعمال الدين من صلاة وصوم .. الخ فتري الرجل ينشغل بأولاده ويترك الجهد ، وذلك بسبب عدم معرفة التقديم والتأخير .. *وأضرب لكم الأمثلة لأوضح لكم هذا الأمر :*

المثال الأول: رجل يصلى في الصحراء، قريب من البئر، ورجل أعمى سوف يسقط في البئر، فأيهما مقدم وأيهما مؤخر، إذا استمر الرجل في صلاته، فالأعمى سيسقط في البئر ، ويكون المصلى آثماً، فالترتيب

---

١) سورة البقرة – الآية ٢٣٣ .

الصحيح هو أن يترك الصلاة ، ثم يأخذ بيد الرجل ويبعده عن البئر ثم يرجع إلى صلاته .. للأسف هذا الترتيب مفهوم ولكن كثير من الناس يسقطون في النار وما فهمنا أن الترتيب الصحيح أن نترك الأشغال ، ونتحرك في سبيل الله للدعوة إلى الله ثم نرجع للأعمال وهكذا.

المثال الثاني: رجل اجتمع عنده ثلاثة أمور، في وقت واحد، الضيوف فى بيته يريد أن يطعمهم، وكذلك الأولاد يبكون من الجوع ، ورجل واقف بالباب يريد أن يقتله بالمسدس، فلو قال إطعام الضيوف من الدين، وإطعام الأولاد من الدين ، فلو فعل ذلك فالرجل يقتله ، فلا يفعل الشيئان الآخران فالترتيب أولاً : يمسك بيد الرجل ، ويأخذ منه المسدس ، فيحفظ نفسه ، وبعد ذلك يستطيع أن يطعم الطعام للضيوف ، ويطعم كذلك الأولاد .. فنتجنب خسران الدنيا وخسران الآخرة ، فلو اجتمع الخسران ، فيخسر الدنيا ، ولا يخسر الآخرة أفضل .

المثال الثالث :

لو جاءت حية ، ودبور ليلدغوه ، فبلدغة الحية يتألم ، وبلدغة الدبور يتألم ، ولكن بلدغة الحية يموت ، وبلدغة الدبور يتألم لوقت قليل ، ثم يزول الألم ، يتحمل أذى الدبور ، ويقتل الحية ، وكذلك الإنسان يتحمل تعب الدنيا ولا يخسر الآخرة .

فنحن نجتهد ولا نقول : كيف تأتينا نصرة الله ﷻ والنبي ﷺ غير

موجود ؟ ، فالله وعدنا بالنصر إلى يوم القيامة ، قال تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (١) ، فى عهد عمر ما كان رسول الله ﷺ موجود ولكن جهده كان موجود فنزلت عليهم نصرة الله ، فسعد بن أبى وقاص عبر دجلة مشياً على الماء ومعه ٣٦ ألف.

فالصحابة نزلت عليهم نصرة الله ، وكذلك التابعين ، لما قاموا بالجهد ، وتشبهوا بالصحابة نزلت عليهم نصرة الله ﷻ ، وكذلك إلى يوم القيامة .

وعلينا أن نعلم أن جميع قوى الباطل ضعيفة ، مثل بيت العنكبوت ، فالعنكبوت كل يوم يأكل البعوض والذباب ويفرح ، ويقول : بيتى متين جداً ، ولكن لو حرك صاحب البيت عصاه ، تهدم بيت العنكبوت ، قال تعالي ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

لما قام سيدنا موسى عليه السلام وقومه بالجهد وأقاموا الصلاة وتيقنوا على الله .. فالله أخذ الأعداء سوط عذاب ، قال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي

---

١) سورة غافر – الآية ٥١ .

٢) سورة العنكبوت – الآية ٤١ .

أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [١] هذا وعد الله ﷻ إتمام دين الله وإظهاره .. ولكن متى يأتي الموعود ؟ ، يأتي الموعود عندما نوفى بالشروط ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٢] الله ﷻ قال تجارة لماذا ؟ لأن التاجر يجعل التجارة مقصد حياته طول الحياة .

في زمن الرسول ﷺ الغنى والفقير يجتهد بماله ونفسه ولكن فى زماننا الأغنياء يريدون أن ينفقوا الأموال فقط ، والفقراء يقولون نحن نعطى أنفسنا فقط ، ويريدون أن ينتشر الدين !

عثمان بن عفإن ﷺ جهز ثلث جيش العسرة وخرج بنفسه فى سبيل الله ﷻ .. عبد الرحمن بن عوف ﷺ أعطى المال الكثير وخرج بنفسه فى تبوك .. ومنهم من عمل بالليل بالأجرة حتى الصباح ، وأنفق صاع لأهله ، وأتى بصاع للنبى ﷺ ، فالمنافقون استهزءوا به ، فالرسول ﷺ أكرمه ، وقال للخازن : أنثر هذا التمر على الكوم الكبير ، الكل ينفق

---

١) سورة الصف – الآية ٩ .

٢) سورة الصف – الآيتان ١٠ ، ١١ .

حسب استطاعته .

وبهذا الترتيب ينتشر الدين ، ولما ينتشر الدين ، لا يأتى فى أنفسنا أن الدين انتشر بجهدنا ، بل بإذن الله ﷻ ، فلو جاء العجب ترفع النصرة ، ففى حنين مع أن قوة خاتم النبوة موجود ، وقوة الصديق موجود ، وقوة الفاروق موجود ، وقوة ذو النورين موجود ، ولكن بالعجب تتوقف نصرة الله ﷻ قال تعالى ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ (١) .

وفى بدر دخل الرعب في قلوب الكفار ، لما كان المسلمون يتضرعون إلى الله ، لأن نصرة الله تأتى بالصفات التي كانت في أهل بدر ، قال تعالى ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ (٢) وقال تعالى ﴿ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةُ مُسَوِّمِينَ﴾ (٣) بهذه الصفات (التقوى ، الصبر ، الاستعانة) الله ﷻ

---

١) سورة التوبة – الآية ٢٥ .

٢) سورة الأنفال – الآية ٩ .

٣) سورة آل عمران – الآية ١٢٥ .

ينصرنا ولو كنا قليل .

مع أن النبي ﷺ كان في قلبه اليقين على وعد الله ﷻ ، فلماذا استغاث بربه طول الليل ؟ لأن الله ﷻ وعدنا والوعد مربوط بشروط فإن لم نوفى الشروط ترفع النصرة ، دعا ربه حتى سقط الرداء من على عاتقه الشريف ﷺ ويقول " اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد اليوم " .

الذى يريد أن يترقى لابد أن ينظر في صفات عباد الرحمن، هل جاءت فيه أم لا ؟ قال تعالى ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً ﴾ (١) .

لو نظرنا إلى عيوب الآخرين تأتى الفرقة والاختلاف .. فالله ﷻ يعلمنا ثلاثة أصول هي ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ

١) سورة الفرقان – الآية ٦٣ .

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١) .

أصحاب الصفة ما كانوا يجدون الفرصة للمشاغل الكسبية ، ليس بعدم استعدادهم ، إنما بسبب انشغالهم بجهد الدين .

والذين عندهم مشاغل كسبية فيهم صفات :

١) ينظرون للحلال والحرام في مشاغلهم ، ولا ينظرون إلى قلة الأموال وكثرتها ، والبركة تنزل فى أموالهم بسبب امتثالهم لأمر الله ﷻ .

٢) ما كانت المشاغل الكسبية ، تصدهم عن الخروج في سبيل الله ﷻ ، بل يخرجون ويتركونها .

٣) لو جاء مقتضيات الدين، فيتركوا المشاغل الكسبية، مثل: تبوك، ويتحملوا الفاقة ، وليس هذا بسبب تكاسلهم ، بل كانوا ناشطين في الزراعة والتجارة ، ولما جاء مقتضيات الدين ، تركوا المشاغل .

والذين ما عندهم مشاغل كسبية بسبب كثرة مقتضيات الدين ، فكانت لهم صفات :

(١) لا يسألون الناس.

---

١) سورة الحجرات – الآيات ١١ : ١٣ .

(٢) يجتنبون الإشراف .

(٣) ما يخبرون عن فاقتهم وحاجتهم .

فالصحابة رضي الله عنهم أجمعين غلقوا باب الكسب وباب الهداية ، فالله ﷻ فتح لهم الباب الغيبي من النصرة والمدد ، كما فتحه للأنبياء ، فلو سددنا كما سددوا ما صار لنا صبراً عن الدين . وكتاب حياة الصحابة ممتلئ بقصص الصحابة في النصرة والتأييد الغيبي ، وأصحاب الصفات رضي الله عنهم أجمعين ما جعلوا هذا الدين لجلب الأموال ولتكميل الأغراض الدنيوية ، بل كانوا متوجهين إلى الله ﷻ .

لما رفع الله ﷻ سيدنا عيسى عليه السلام إلى السماء ، فما بقى إلا الحواريين وكانوا متدينين بسبب صحبة سيدنا عيسى عليه السلام ، فأصبح حفاظة الدين أمر صعب جداً فلحفاظة دينهم استأذنوا من الملك أن يذهبوا إلى الصحارى فأذن لهم وكانوا يعبدون الله ﷻ ، ويحفظون دين الله ﷻ ، ويأكلون أوراق الشجر ويشربون من النهر وينامون على الحجر ، فالناس كانوا يذهبون إليهم أن يدعوا لهم والله كان يتقبل دعاءهم بسبب تعلقهم بالله ﷻ ، والله ﷻ ألقى محبة الحواريين في قلوب الناس فأتوا بالهدايا والطعام للحواريين فأكلوا على قدر الحاجة ووزعوا الباقي على الفقراء ، فلما جاءت الدنيا تحت أقدامهم ، جاءت عظمة الله ﷻ كذلك في قلوبهم ، وكثير من الناس رأوا أن هذا الشيء سبباً لجلب الدنيا ،

فقالوا : لو نكون مثلهم فالناس يعطونا الهدايا ونعيش عيشة الرفاهية ، فأخذوا لباس الحواريين والإنجيل وذهبوا إلى الصوامع فى الجبال ، والناس كما كانوا يذهبون للأصليين ذهبوا للنقليين قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [١] وكثير من الناس اليوم يجعلون الدين للدنيا والرفاهية ، وأولئك لا يشمون رائحة الجنة ، قال رسول الله ﷺ " من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه ، إلا ليصيب عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة " (يعنى ريحها) رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه [٢].

كما أرسل الرسول ﷺ إلى هرقل الروم رسالة يدعوه فيها إلى الله ﷻ ، وكان هرقل عالماً بالإنجيل ، وسأل أبو سفيان عن أحوال الرسول ﷺ فلما أخبره ، فهم أن هذا نبي آخر الزمان وجمع الرهبان والقسيسين ، وقرأ عليهم رسالة الرسول ﷺ ورغبهم في الإسلام ولكن كانوا من أصحاب الأغراض الدنيوية فغضبوا ، ففهم أنهم لا يقبلون ويذهب منه

---

١) سورة التوبة – الآية ٣٤ .

٢) واسناده صحيح ، وصححه الحاكم والذهبي (مشكاة المصابيح – كتاب العلم – ١/٧٧) ،

الملك ، ومنعه غرض الملك في الدخول في الإسلام ، وبعث إلى أسقف النصارى (أي صاحب أمرهم) فقال له الأسقف: هذا نبي آخر الزمان الذي كنا ننتظره ، وبشرنا به عيسى عليه السلام وأنا مصدقه ومتبعه ، ولمدة ثلاثة أسابيع لم يخرج عليهم يوم الأحد ، فطلبوه فخرج عليهم ، ونطق شهادة .. أن لا إله إلا الله محمد رسول الله .. لأنه لم يكن من أصحاب الأغراض والهوى ، ولكن أصحاب الأغراض والهوى قتلوه [١] [٢] .

* * * * * *

١) انظر حياة الصحابة – ١ / ١٠٤ .

٢) بيان للشيخ / محمد عمر البالمبوري – ألقاها في اجتماع رايوند – بباكستان – بعد صلاة المغرب – يوم السبت الموافق ١٩٨٧/١١/٧ .

المعاشرات الإسلامية

قال تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبّونَ اللّهَ فَاتّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رّحِيمٌ﴾ (١) .

وقال تعالي ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبّ إِلَيْكُمْ مّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبّصُواْ حَتّىَ يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢).

إخواني في الله : نشكر الله ﷻ أن جعلنا مسلمين ومن أمة محمد ﷺ ، ولا يكون المسلم حقيقيا إلا إذا جاءت فيه حقيقة الدين .

كيف نتحصل علي حقيقة الدين ؟

الدين الإسلامي مثاله ، مثل الشجرة ، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السماء تُؤْتِيَ أُكُلَهَا كُلّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأمْثَالَ لِلنّاسِ

---

١) سورة آل عمران – الآية ٣١ .

٢) سورة التوبة – الآية ٢٤ .

لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [١] .

شجرة الدين :

فأرض شجرة الإسلام : الدعوة إلي الله ﷻ .

وجذر شجرة الإسلام : الإيمانيات .

وفروع شجرة الإسلام : أركان الإسلام .

وأغصان شجرة الإسلام : المعاملات الإسلامية .

وأوراق شجرة الإسلام: المعاشرات الإسلامية .

وثمار شجرة الإسلام: الأخلاق الحسنة .

وعصير شجرة الإسلام: الإخلاص لرب البرية .

وسماد شجرة الإسلام: التضحية بالنفس والمال .

وماء شجرة الإسلام : حلقات التعليم .

وبيئة شجرة الإسلام : ذكر الله ﷻ وتلاوة القرآن .

وحائط شجرة الإسلام : التجنب علي النفسانية والشهوانية لحفاظة شجرة الإسلام.

---

١) سورة إبراهيم – الآية ٢٥ .

فلما قام النبي ﷺ بالدعوة إلي الله ﷻ، فغير المسلمين دخلوا في الإسلام ، وكان المسلمون يلتزمون بالدين ١٠٠% .. والذين كانوا يلتزمون بالدين كان عندهم حقيقة الدين، لا صورة الدين .

ولما بعضهم ترك الدعوة إلي الله ﷻ ، حدث النقص.. الذين كانوا لا يدخلون في الدين لا يدخلون.

المسلمون الذين كانوا يلتزمون بالدين ، أصبحوا لا يلتزمون بالدين ، وأصبح أكثرهم ليس عنده حقيقة الدين .

أعداؤنا لا يخافون من صلاتنا ، ولا من حجنا ، ولا من تلاوتنا للقران ،... الخ بل يخافون من التزامنا بمعاشرة الرسول ﷺ لأن معاشرة الرسول ﷺ فيها بساطة وعندما كثرت الأموال في زمن عمر بن الخطاب ﷺ فبكي ، بعض الناس يظنون البساطة .. قلة المال .. ولكن لما جاءت الأموال في زمن عمر بن الخطاب ، فظلت حياتهم كما هي ، بسيطة في المطعم والملبس والمسكن .

عندما تكون حياة الإنسان بسيطة ، يكون عنده وقت ومال فيصرف وقته وماله للدعوة إلي الله ﷻ وبالدعوة تنتشر هذه الحياة في العالم .. وكل العالم يتوجه إلي ديننا ، فكانت الوفود تأتي إلي الصحابة في المدينة وكانوا يتعاشرون بمعاشرتهم ويتأثرون بحياتهم ... في بلاد فارس أرسلوا الجواسيس لينظروا حياة المسلمين وكيف أن العالم يخاف منهم ... فوجدوا فرق كبير

بين معاشرة الرسول ﷺ ومعاشرة كسري ... فكسري كان يأخذ من الناس الأموال ويجعل حياته رفاهية (تاج من ذهب .. سرير من ذهب) ولا يجلس معه إلا الأغنياء ،.. فيخربون حياة الناس ، فيصبح الناس فقراء ، ووجدوا المسلمون يتعاشرون بالمعاشرة الإسلامية ، أي يضحون بأموالهم ويجعلون حياة الناس طيبه فدخلوا في الإسلام ، وأرسل ملكهم رسالة إلي ملك الصين يستنجد به ، وقد ذكر ابن جرير الطبري في تاريخه أن يزدجرد.. كتب إلي ملك الصين يستمده فقال الرسول : قد عرفنا حقا أن على الملوك إنجاد الملوك علي من غلبهم ، فصف لي صفة هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم ، فإني أراك تذكر قلة منهم وكثرة منكم ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل الذين تصف منهم فيما أسمع من كثرتكم إلا الخير عندهم وشر فيكم ، فقلت : سلني عما أحببت ؟ فقال : أيوفون بالعهد ؟ قلت : نعم ، قال : ما يقولون لكم قبل أن يقاتلوكم ؟ ، قلت : يدعوننا إلي واحدة من ثلاث : إما دينهم فإن ، أجبناهم ، أجرونا مجراهم ، أو الجزية والمنعة ، أو المنابذة ، قال : فكيف طاعتهم أمراءهم ؟ قلت : أطوع قوم لمرشدهم ، قال : فما يحلون وما يحرمون ؟ فأخبرته ، فقال : أيحرمون ما حلل لهم ، أو يحللون ما حرم عليهم ؟ قلت : لا . قال : فإن هؤلاء القوم لا يهلكون حتى يحلوا حرامهم ، ويحرمون حلالهم ، ثم قال : أخبرني عن لباسهم ، فأخبرته ، وعن مطاياهم ، فقلت : الخيل العراب ووصفتها ، فقال

: نعمت الحصون هذه ، ووصفت له الإبل وبروكها وابتعاثها بحملها ، فقال : هذه صفة دواب طوال الأعناق ، وكتب له إلي يزد جرد ... إنه لم يمنعني أن أبعث إليك بجيش أوله بمرو وأخره بالصين ، الجهالة بما يحق عليَّ ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك صفتهم لا يحاولون [١] الجبال لهدوها [٢] ولو خلي لهم سربهم [٣] أزالوني ما داموا علي ما وصف ، فسالمهم [٤] وارض منهم بالمساكنة ، ولا تهجهم ما لم يهجوك[٥].

فالصحابة رضي الله عنهم لم خرجوا بحياة الدين (إيمانيات .. عبادات .. معاملات .. معاشرات .. أخلاق) فكان الناس يتأثرون بهم .

الجهاد ما كان معناه القتال ، بل كان في البداية دعوة إلي الله ﷻ .. فكان الصحابة رضي الله عنهم الذين تربوا في مسجد الرسول ﷺ ويتعاشرون معاشرة طيبة .. ويتحركون بها والرسول ﷺ عندما كان يرسل أصحابه يوصيهم بثلاث ، وكذلك كان أبو بكر يوصي ، وكذلك عمر ﷺ .

الدعوة : ثلاث أيام لهذه المعاشرة الطيبة : كما نحن نُرسل

---

١) يريدون .
٢) هدموها .
٣) جماعتهم .
٤) صالحهم .
٥) حياة الصحابة – باب أسباب النصرة الغيبية – ماذا قالت الأعداء في غلبة الصحابة عليهم ٣/٧٠٥ .

الجماعات ، ونقول لهم: عاشروا معاشره الرسول ﷺ ، وتخلقوا بأخلاق الرسول ﷺ ، فكثير من الناس يدخلون الإسلام .. وقد رأينا ذلك في زامبيا – وخرجوا في سبيل الله وأولادهم من حفاظ القران .. وأحبابنا عندما ينتشرون في العالم ، لا يتكلمون كلاماً سياسياً ، ولا خلافيا ، بل المعاشرة الطيبة .. وكما أن إيماننا ضعيف ، فكذلك كفر الكفار ضعيف ... وكما أن إيمان الصحابة الكرام كان قوياً ، فكفر الكفار في زمانهم كان قويا ... فمثلا في بلاد الهندوكيون، يرون المسلمون بسبب جهلهم يعبدون قبور الصالحين ، ونحن نأخذهم باللين إلي البيئة الطيبة ، وبعد ذلك نفهمهم أن النذر والعبادة لا يحل إلا لله ﷻ ... فيفهمون .. فكانت الدعوة لثلاث أيام ... وان لم يقبلوا تكون المصالحة بالجزية ، حتى يصبروا تحت ذمتنا ، لأن مع المسلم كلمة عليا ، ومع الكفار كلمة سفلي ، قال تعالى﴿ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مّؤْمِنِينَ﴾ [١] وقال تعالى ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الّذِينَ كَفَرُواْ السّفْلَىَ وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [٢] وعندما يتصالحون بالجزية ، فالمسلمون يعيشون في بلادهم ، فكانت الدعوة العملية ينظرون إلي معاشرة المسلمون الطيبة ، وأخلاقهم فيدخلون

١) سورة آل عمران – الآية ١٣٩.
٢) التوبة – الآية ٤٠

في الدين فالجزية دعوة عمليه تفصيلية .. فإن لم يقبلوا هاتان المرحلتان تكون المرحلة الأخيرة وهي القتال .

فالرسول ﷺ أعطانا الدواء الداخلي الدعوة والدواء الخارجي الأخلاق .. فلو لم يدخلوا في الإسلام، وكأن الدمامل فيها ألم لا يشفى بالدواء الداخلي ولا الخارجي فلابد من العملية الجراحية (القتال) ... وذلك فقط عند اليأس من العقاقير مثل البستاني يقوم بتسليت بعض النباتات لأنه يعلم أنها ضعيفة ومريضة ، وتُسبب قلة المحصول ، مثل الذين يصدون عن سبيل الله .

فخروج الصحابة رضي الله عنهم كان كالمطافئ لإخراج الناس من النار إلي الجنة .

والسيارة الإطفائية عندما تخرج فجميع السيارات والمشاة يفسحون لها الطريق ، فلو اعترض أمام السيارة ستة أشخاص وآلاف في الحريق فعلي السائق أن يمر عليهم لينقذ الآلاف.

والصحابة رضي الله عنهم ثلاث عشره سنه في مكة ، الله ﷻ ما أمرهم بالقتال ليتحصلوا أولا علي :

قال تعالى: ﴿ كُفّوَاْ أَيْدِيَكُمْ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ وَأَنّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

---

١) سورة النساء – الآية ٧٧ .

وقال تعالى : ﴿وَاعْلَمُواْ أَنّ اللّهَ مَعَ الْمُتّقِينَ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ وَإِنّ اللّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿إِنّ اللّهَ مَعَ الصّابِرِينَ﴾ (٤) .

في الأول قيل لهم : " كُفّوَاْ أَيْدِيَكُمْ " .. وفي الأخير قيل لهم : ﴿ يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُواْ جَمِيعاً ﴾ (٥).

وقال لهم : ﴿ أُذِنَ لِلّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنّ اللّهَ عَلَىَ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٦).

أحد العرب قال : هذه الآية تنطبق علينا، فنحن أخرجنا من ديارنا ، وهذا الذي في الآية موجود ، ولماذا لا تأتي النصرة لنا ؟ فقلت : بقي شيء واحد قال تعالى: ﴿الّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقّ إِلاّ أَن يَقُولُواْ رَبّنَا اللّهُ ﴾ (٧) يعني الدعوة .. يقولون جهارا ربنا الله . فالجهاد

---

١) سورة الأنفال – الآية: ١٩.
٢) سورة البقرة – الآية: ١٩٤.
٣) سورة العنكبوت – الآية: ٦٩.
٤) سورة البقرة – الآية: ١٥٣.
٥) سورة النساء الآية ٧١ .
٦) سورة الحج _ الآية ٣٩ .
٧) سورة الحج _ الآية ٤٠ .

بدون الدعوة مثل الصلاة بدون الوضوء .. فالصحابة رضي الله عنهم كانوا يجتهدون لإدخال الناس في الجنة ... ولماذا الجدل الآن ؟.

لأن الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن .. فالمؤمن يقاتل الكافر ليأخذ جنته فيصير غاصب فلا يستحق لنصرة الله ﷻ .. ولكن الصحابة رضي الله عنهم ما كانوا يريدون جنة الكافر ، بل ليدخلوه الجنة ، فاستحقوا لنصرة الله ﷻ .

في الأردن بعض الشباب ، غضبوا علي رجال الدعوة .. فقالوا : أولا نقاتل جماعة التبليغ ثم اليهود ... لأنكم تجعلون في الناس صفة الجبن .

فقال أمير الجماعة : اسمعوا مني خمس دقائق : الجهاد بدون الدعوة مثل الصلاة بدون الوضوء ، ولذلك لا تنصروا ففهم الشبان .. وقالوا: هيا بنا لندعو اليهود ثم بعد ذلك نقاتلهم .

فقال الأمير: اسمعوا كلام أخر، أنتم تقولون لليهود ادخلوا في الإسلام فيقولون لكم أرونا الإسلام في أي بلد ؟ وأنتم في أي مكان تورهم الإسلام ؟ ففهموا أن يذهبوا للمسلمين ويجعلوا فيهم معاشرة إسلامية .

ثم قال لهم الأمير : أنتم تذهبون للمسلمين بدون التمرين لا تصلحوا .. فبعض الناس ذهبوا يتجولون بعد الفجر ، يوقظون الناس للصلاة .. فما استجاب الناس لهم .. وفي اليوم الثالث : قام الناس وضربوهم

بالعصا .. وذهبوا إلي المحكمة وفي المحكمة تابوا من الدعوة إلي الله .. لماذا ؟ لأنهم لم يختاروا الوقت المناسب ، ولا الكلام المناسب .. فأتت عليهم المشاكل وكانت النتيجة ترك الدعوة إلي الله . فلابد من التمرين .. قالوا : وأين نتمرن ؟ فشكلهم إلي الهند والباكستان وبنجلاديش ففهموا الدعوة .

انظروا للصحابة رضي الله عنهم ، غيروا معاشرتهم بصحبة الرسول ﷺ فلما ذهبوا إلي مصر والسودان وليبيا والعراق ، وكانوا كلهم عجم ، فأهل هذه البلاد أحبوهم لمعاشرتهم الطيبة ، ومن شدة حبهم لهم أحبوا لغتهم وتعلموها ، حتى أصبحوا لا يتكلمون إلا اللغة العربية بمخالطة الصحابة رضي الله عنهم والتابعين.

عندما تتجولون في العالم فاتركوا معاشرة الآباء وخذوا معاشرة النبي ﷺ ، والصحابة الكرام ، فأنتم تجلبون الناس للدين .

لا نقول ركوب السيارة حرام ، البرقية حرام ، ركوب القطار حرام ، فنكون مذنبين لما نحرم ما أحله الله ﷻ لنا .. فنمشي إلي البدو ونتحمل المشقة ، ونصير مجاهدين ، فالعالم كله يحب العرب كما كان في الزمن الأول .. ففي الزمن الأول كانوا يحبون العرب من أجل معاشرتهم الطيبة ، واليوم يحبون العرب من أجل بترولهم وعملتهم الغالية ، فاغتنموا هذه المحبوبية واجعلوها سبباً لجلب محبة الله ومحبة رسوله ﷺ .

فأعداء الله ﷻ أبعدوا المسلمين عن الدين (بالحركة .. والحضارة .. والثقافة) وأبعدوا المسلمين عن القرآن باسم القرآن .

الناس ما فهموا مقصد الجهاد أنه الدعوة ، فنحن نجتهد في المسلمين حتى نجعل معاشرتهم معاشرة إسلامية ، فلما ينظر الكفار إلي المعاشرة الإسلامية فيدخلون في الإسلام.

لابد من منهج النبوة في الدعوة إلي الله ﷻ ، فلا ننجح إلا بطريق الأنبياء عليهم السلام ، كان عندهم الشفقة والرحمة علي الناس ، وما كانوا يغضبون علي الكفار ، وكانوا يرحمون عليهم ليدخلوهم في الإسلام حتى ينالوا رضا الله والجنة .. وكانت شدتهم كالعملية الجراحية.

سيدنا موسي عليه السلام كان في مزاجه شدة ، ولكن الله ﷻ قال له : ﴿ فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لّيّناً لّعَلّهُ يَتَذَكّرُ أَوْ يَخْشَىَ﴾ [١] فلهذا السبب نمشي علي منهج النبوة ، ولنا في سيرة الرسول ﷺ والصحابة أسوة

الصبر والتقوى :

قال تعالى: ﴿بَلَىَ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتّقُواْ وَيَأْتُوكُمْ مّن فَوْرِهِمْ هَـَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبّكُمْ بِخَمْسَةِ آلاف مّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوّمِينَ﴾ [٢] .

الاستغاثة :

---

١) سورة طه _ الآية ٤٤.

٢) سورة آل عمران _ الآية ١٢٥

قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (١) .

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٢).

الصفات التي كانت في غزوة أحد .. لو جاءت في دعوتنا فترفع عنا نصره الله ﷻ ..قال تعالى ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتّىَ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأمْرِ وَعَصَيْتُمْ مّن بَعْدِ مَآ أَرَاكُمْ مّا تُحِبّونَ مِنكُم مّن يُرِيدُ الدّنْيَا وَمِنكُم مّن يُرِيدُ الاَخِرَةَ ثُمّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣).

فشلتم : في الرأي

وتنازعتم : بعضهم قال لا ننزل لأن الرسول ﷺ قال لا تنزلوا .

وعصيتم : تركتم أمر الرسول ﷺ ونزلتم .

منكم من يريد الدنيا: عندما يأتي عند الدعاة حب الدنيا يتنازعوا ويفشلوا ، وترفع عنهم نصرة الله ﷻ .

---

١) سورة الأنفال الآية ٩

٢) سورة آل عمران _الآية ١٢٣ .

٣) سورة آل عمران الآية ١٥٢

وهذه الأشياء الله ﷻ أظهرها ، لنا ليعلم الأمة الأصول ، فبدون أن يحدث ذلك فيهم ما كنا نتعلم ، فكثير من الناس يطعن في الصحابة ، والله ﷻ طهرهم ونظفهم ، قال تعالي :﴿ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ﴾ أي غفر لكم ذلك الصنيع .

ومن الصفات التي تُرفع بها نصرة الله ﷻ " العجب " كما حدث في غزوة حنين ، فقد أخرج البيهقي أن رجلا قال يوم حنين : لن نغلب من قله ؟ [١]وكانوا اثني عشر ألف . فشق ذلك علي رسول الله ﷺ ، فأنزل الله ﷻ ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمّ وَلّيْتُم مّدْبِرِينَ﴾ [٢] فلما التفتت أنظارهم من الله إلي العدة والعدد ، فانهزم المسلمون وولوا مدبرين ، وثبت رسول الله ﷺ وهو راكب يومئذ بغلته الشهباء

---

١) يقول ابن القيم رحمه الله : يبين سبحانه لمن قال " لن نغلب اليوم من قله " إنما النصر من عنده ، وأنه من ينصره فلا غالب له ، ومن يخذله فلا ناصر له غيره ، وإنما سبحانه وتعالي هو الذي تولي نصر رسوله ودينه ، لاكثرتكم التي أعجبتكم ، فإنها لم تغن عنكم شيئا ، فوليتم مدبرين ، فلما انكسرت قلوبهم ، أرسلت إليهم خلع الجبر مع بريد النصر ، فانزل الله سكينته عليه ورسوله وعلي المؤمنين ، وأنزل جنوداً لم تروها ، وقد اقتضت حكمة الله تعالي أن خلع النصر وجوائزه أنما تفيض علي أهل الانكسار ﴿ وَنُرِيدُ أَن نّمُنّ عَلَى الّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مّا كَانُواْ يَحْذَرونَ ﴾ – سورة القصص – الآيات ٥ ، ٦ (زاد المعاد – ٣٠٤/٢) .

٢) سورة التوبة الآية ٢٥ .

، يسوقها نحو العدو ، والعباس عمه أخذ بركابها الأيمن ، ويقول في تلك الحال :" أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب " وثبت معه من أصحابه قريب من مائة ، ثم أمر عمه العباس وكان جهير الصوت أن ينادي بأعلى صوته ، يا أصحاب الشجرة ، يعني شجرة الرضوان .. يا أصحاب السمرة ... وتارة يقول : يا أصحاب سورة البقرة ، فجعلوا يقولون . لبيك لبيك ، وانعطف الناس ... حتى تم النصر للمسلمين [١].

وفي غزوة بدر غضب الله علي المشركين بثلاث قبائح قال تعالى : ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَراً ورئاء النّاسِ وَيَصُدّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [٢].

بطراً : أي دفعا للحق .. فأحيانا نجد في الشورى يعطي الرأي ويصمم عي رأيه ، ويقول : أنا زعيم القوم ، أنا رأيي صحيح ولا ينظر لمصلحة الدين .. ويفاخر برأيه ويتكبر كما قال أبو جهل : لا والله ، لا نرجع حتى نرد ماء بدر وننحر الجزر ، ونشرب الخمر وتعزف علينا القيان فانعكس ذلك عليه أجمع .. نسأل الله ﷻ أن يوفقنا لجهد حبيبه علي منهاج حبيبه [٣] .

---

١) انظر مختصر تفسيرا ين كثير ١٣٢/٢

٢) سورة الأنفال الآية ٤٧

٣) محاضرة القها الشيخ محمد عمر البالمبوري – في اجتماع بنجلاديش بعد المغرب – يوم ١٩٨٨/١/١٨ .

التوحـــيد

(لا إله إلا الله)

الدنيا دار الأسباب .. والله هو مسبب الأسباب ، ويُري في هذه الدنيا الشيء من الشيء ، مثل الولد من الأب .. ونري أن الحب من الثمر .. والحقيقة أن الله فالق الحب والنوى .. فالله هو المؤثر في الأشياء ، وهو مسبب الأسباب .. ونحن لا نري قدرته .. والله ليس بحاجة إلي أي سبب ، ولما أراد الله أن يُعمر حياة يوسف عمرها في السجن .. ولما أراد أن يٌدمر حياة فرعون ، وقارون ، وهامان ، دمر حياتهم في العزة (الملك والمال) .

الله ﷻ أكرمنا بهذه الدعوة لندعو إلي الله ﷻ وإلي رسوله ﷺ .. لتوحيد الإلوهية والربوبية وأسماء الله وصفاته .. الله ﷻ علم نبيه أن يركز علي الإيمان والنبي ﷺ علم الصحابة رضي الله عنهم الإيمان واليقين الصحيح وبه يتميز التوحيد عن الشرك .. الأشياء عن الأعمال .. فنتوجه إلي الله ﷻ .. لا نتوجه إلي غير الله ﷻ سواء أكان هذا صنما يعبد أو قبراً يزار .. بل كل هذا شرك .. ولكن شرك دون شرك .. وكفر دون كفر .

الله ﷻ أراد ربط الإنسان بالتوحيد عن طريق الصلاة ، فعند الدخول في الصلاة التكبير ... وهكذا عند الركوع .. وذلك لتوحيد الألوهية، وإذا أتي توحيد الألوهية يأتي توحيد الربوبية .

ولذا ندعو إلي الله وحده لا شريك له .. وأن نعبد الله وحده .

نوعان من الشرك :

١- **الشرك الحقيقي:** هو عبادة الأصنام .

٢- **الشرك المجازي:** هو الاعتماد علي غير الله .. وهذا الشرك لا يُخرج عن كلية الإيمان ، ولكن يعذب صاحبه بقدر ما أشرك مع الله .

وإذا تقابل أهل الشرك الحقيقي ، مع أهل الشرك المجازي ؛ فيغلب أهل الشرك الحقيقي .

حقيقة الإيمان :

أن نتيقن علي الله ﷻ ولا نعتمد إلا عليه .. ولا نثق إلا فيه .. ولا نرجو غيره .. ولا نخاف إلا منه .. ولا نحب سواه .. ولا نستعين بغيره .. ولا نسجد إلا له .. ولا نعبد غيره .. ولا ننذر ولا نعتصم إلا به . . ولا نكبر غيره ، والله ﷻ أمر نبيه ﷺ قال تعالى ﴿ يَأَيّهَا الْمُدّثّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبّكَ فَكَبّرْ ﴾ [1] فقدم لفظ ربك عل التكبير، وهذا يُفيد الحصر .. أي لا تكبر غير ربك .

---

١) سورة المدثر : الآيات ١ ، ٢ ، ٣ .

فمعية الله بالصفات الإيمانية : (الصبر .. والتقوى.. و الإحسان) وهذا هو زبدة الإيمان .

وأنا أقول أن الإيمان بذات الله : أن لا نعتمد على غير الله ، ولا رجاء بغير الله ولا استعانة بغير الله ، ولا نسجد إلا لله ، ولا نقوم لغير الله فإذا أخرجنا من قلوبنا الخوف من غير الله والرجاء من غير الله بعد ذلك تأتينا نصرة الله .

و نعلم أن سيدنا محمد ﷺ وجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ركزوا جهدهم على تعليم الأمة الإيمان وأخذوا أضعاف وقت تعليمهم الأعمال.

فما هو الإيمان ؟ هو لا إله إلا الله و هذا نفي و إثبات فالإنسان إذا كان قلبه متعلق بالأسباب والقوة ، سواء السلاح، أو الأشياء، وقوة المادة وقوة الملك والمال، ويجد قلبه متأثر بالأحجار سواء أحجار الجاهلية أو الأحجار الإلكترونية.

إذا عليه أن يجتهد حتى يخرج من قلبه هذه الشركيات ويصفي قلبه ولا يتعلق ولا يتأثر ولا يطلب إلا من الله الواحد الأحد الفرد الصمد.

قوم ثمود كانوا أساتذة في البناء، والله أخرج لهم ناقة من الجبل ، ويروى أنها كانت حامل ووضعت حملها .

كل ذلك ليعلم الله خلقه بأني أنا الخالق .. أخلق الولد بدون الأب .. والناقة من الجبل . . وعيسى من غير أب .. وآدم من غير أب ولا أم .. كل ذلك لبيان قدرة الله ، لأن الإنسان إما يربط نفسه بالأسباب ويعتقد أن فيها النفع والضر، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ:" يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ " رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

الأمة بحاكمهم ومحكوميهم بأسبابهم وأسباب من يعاونهم، لا تأثير لهم في شيء .

لأن كل ذلك مخلوق ليس إله، والمخلوق عاجز على نفع نفسه أو دفع الضرر عن نفسه فكيف يكون له نفع و ضرر لغيره.

ولذا قيل أن الإيمان عظيم جدا جدا وغالي جدا فكما جاء في الحديث إن ذرة واحدة من الإيمان تجعل صاحبها لا يخلد في النار.

ولهذا إذا كان قوي فيجعل الإنسان يستطيع القيام بالعبادات وإذا زاد عن ذلك يستطيع أن يصلح معاملاته وإذا زاد أكثر استطاع الإنسان أن يصلح معاشراته وأخلاقه.

أما الإمارة والفتوى فتحتاج إيمان مثل الجبال ومثال سيدنا عمر عندما جاء ضيوف من خارج المدينة فوزعهم على أهل المدينة ولكن واحد منهم أراد أن يكون عند أمير المؤمنين لعله يجد الطعام والشراب الطيب .

ولكن عندما جلس ليأكل معه وجد خبز ناشف لم يستطع الرجل أن يأكله وعندما طلب من أمير المؤمنين أن يصلح طعامه فكان رد عمر وهل كل الأمة أصلحت طعامها حتى يصلحه أمير المؤمنين .

وأيضا قصته عندما لبس قميص أطيب من الذي كان عليه ومرقع أثناء فتح بيت المقدس، فعندما لبسه (عندما أشار عليه أحد الصحابة) خلعه وقال لقد تغير قلبي وقال قولته المشهورة : فعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ : خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى الشَّامِ وَمَعَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فَأَتَوْا عَلَى مَخَاضَةٍ وَعُمَرُ عَلَى نَاقَةٍ لَه ، فَنَزَلَ عَنْهَا وَخَلَعَ خُفَّيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَلَى عَاتِقِهِ ، وَأَخَذَ بِزِمَامِ نَاقَتِهِ فَخَاضَ بِهَا الْمَخَاضَةَ ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَأَنْتَ تَفْعَلُ هَذَا ، تَخْلَعُ خُفَّيْكَ وَتَضَعُهُمَا عَلَى عَاتِقِكَ ، وَتَأْخُذُ بِزِمَامِ نَاقَتِكَ ، وَتَخُوضُ بِهَا الْمَخَاضَةَ ؟ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ أَهْلَ الْبَلَدِ

اسْتَشْرَفُوكَ، فَقَالَ عُمَرُ: أَوَّهْ لَوْ يَقُولُ ذَا غَيْرُكَ أَبَا عُبَيْدَةَ جَعَلْتُهُ نَكَالًا لَأُمَّةِ مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللَّهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ [١]. (فكيف كان يراقب قلبه؟) طبعا قوة الإيمان التي كانت عندهم.

* * * * * *

١) المستدرك على الصحيحين» كتاب الإيمان» قصة خروج عمر إلى الشام وقوله إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلن نبتغي العزة بغيره_ رقم الحديث (٢١٤).

الأسباب للاختبار والامتحان

نشتغل في الأسباب الظاهرية ، ولكن لا نتكل عليها ونتوكل على الله تعالى.

الاشتغال في الأسباب الظاهرية ليس ممنوع ، ولكن الاتكال على الأسباب الظاهرية ممنوع ، فنتجرد عن الأسباب والوسائل بحسب الاتكال ، لا بحسب الاشتغال ، نشتغل في مشاغلنا الكسبية والبيتية ، ونشتغل في الأسباب الظاهرية، فالله عز وجل ما منعنا أن نشتغل في الأسباب الظاهرية .

قال الله ﷻ لنوح عليه السلام : ﴿ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ (١) .

وقال لداود عليه السلام : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُون ﴾ (٢) .

وقال تعالى:﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ (١) .

وقال تعالى:﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ (٣).

---

١) سورة المؤمنون – من الآية ٢٧ .
٢) سورة الانبياء – الآية ٨٠ .
١) سورة لأنفال – من الآية ٦٠.
٣) سورة البقرة – من الآية ٢٩ .

والرسول ﷺ في غزوة أحد لبس درعين من حديد .

عُلِمَ من ذلك أن الله سبحانه وتعالى لم يمنعنا من الاشتغال بالسبب الظاهري فلو جاء علينا الجوع فعلينا أن نأكل ، قال تعالى: ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ ﴾(١)

ونحتاج إلى الزوجة فنتزوج فالله ﷻ يقول لنا﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ (٢) .

وإذا رزقنا بالمولود فالله يقول:﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (٣) وقال تعالى ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ ﴾ (٤) .

من جميع الآيات السابقة عُلِمَ أن الله تعالى ما منعنا من الاشتغال، بالأسباب الظاهرية ولكن الله تعالى منعنا من الاتكال على الأسباب الظاهرية.

وكيف يُعْلَم ذلك ..؟ بالامتحان .

---

١) سورة البقرة _ الآية ٦٠ .

٣) سورة النساء – من الآية ٣ .

٤) سورة البقرة – من الآية ٢٣٣ .

٤٥) سورة الطلاق – من الآية ٦ .

قال تعالى ﴿ الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾ (١) .

كيف الله ﷻ يمتحن عبده ؟

الله ﷻ يأتى بأوامره ، فالأوامر تصير بمقابلة الأسباب الظاهرية ، فإذا امتثل الإنسان أوامر الله ﷻ وترك السبب الظاهري ، فهذا الإنسان قوى الإيمان ، وإذا ترك أمر الله ﷻ بسبب الاشتغال بالأسباب الظاهرية فهذا الإنسان ضعيف الإيمان .

والإنسان مكلف أن يتحصل سبب ظاهري الذي فيه منافع وأن يتجنب الأسباب الظاهرية التي فيها مشقة، علي سبيل المثال:

١) يتجنب الجوع ويأكل الطعام .

٢) يتجنب البرد ويلبس الثياب ليتحصل على الدفء.

٣) يتجنب الظلمة ويضيء المصباح ليتحصل على النور .

سيدنا موسى عليه السلام كان عنده سبب ظاهري " العصا " ، الله تعالى قال له: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴾ (٢) ، فأجاب موسى عليه السلام ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ

---

١) سورة العنكبوت – الآية ٢ .

٢) سورة طه – الآية ١٧ .

أُخْرَى ﴾ [١](١).

فالعصا سبب ظاهري لتربية الغنم وصاحب الغنم ، فجاءت المقابلة ، أمر الله أمام سبب ظاهري . قال ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ﴾ [٢](٢) .

لو يمتثل أمر الله ﷻ يترك سبب نافع ، ولو يشتغل في السبب النافع يترك أمر الله ﷻ .

الآن صار مقابلة أمر الله ﷻ وبين سبب ظاهري الذي فيه منافع ، فسيدنا موسى عليه السلام كان في قلبه أن النافع والضار هو الله ﷻ ، والمعز والمذل هو الله ﷻ ، وأن النجاح والخسارة من الله ﷻ ، وأن هذه الأشياء المادية لا تنفعنا ولا تضرنا إلا بمشيئة الله تعالى .

فجميع الأشياء المادية مثالها مثال (العصا) فالعصا لا تنفع ولا تضر إلا بمشيئة صاحب العصا ، فعندما تكون العصا على الأرض لا تنفع ولا تضر، ولكن صاحب العصا أخذ العصا وضرب الشجر وأخذ الثمر وأعطانا الثمر فنحن نشكر صاحب العصا ولا نشكر العصا .

ولو أن صاحب العصا غضب علينا، فأخذ العصا ثم ضربنا فنحن لا نعتب على العصا ونقول لماذا تضربيني يا عصا بل نعتب على صاحب العصا .

---

١) سورة طه – الآية ١٨ .

٢) سورة طه – الآية ١٩ .

فالملك والمال والتجارة والدكاكين والمزارع والبساتين .. الخ فكل هذا مثل العصا ، والله ﷻ هو الذي يستعمل العصا .

فبعوضة واحدة عرجاء تكفى لإهلاك النمرود .. وذلك بعد إرادة الله تعالى . سيدنا موسى عليه السلام ما خاف عندما ترك العصا ، ولكن الامتحان الصعب عندما ألقاها تحولت حية ، فهرب موسى عليه السلام : ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ (٢) .

فجاء الأمر من الله:﴿ قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى ﴾(٣) .

فلما جاء أمر الله مقابلة ترك سبب نافع ، فترك السبب النافع وامتثل أمر الله .

ولما جاء أمر الله مقابلة أخذ سبب ضار فتحمل المشقة وأخذ السبب الضار .

---

١) سورة طه – الآية ٢٠ .
٢) سورة القصص – من الآية ٣١ .
٣) سورة طه – الآية ٢١ .

فكذلك الله ﷻ يعطينا الأمر : ﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُون﴾١(٤) .

أنتم أنفقوا أموالكم مثل ترك العصا ، ثم تحملوا مشقة أنفسكم مثل أخذ الحية ، فإذا فعلتم ذلك فالله ﷻ يفعل معكم مثل ما فعل مع موسى عليه السلام ، فموسى عليه السلام لما كان يلقى عصاه بإرادته فما كانت قوة العصا إلا لتربية الغنم وصاحب الغنم ، ولما ألقاها بأمر الله ﷻ صارت هذه العصا سبباً لتربية الغنم وصاحب الغنم وتربية اثنا عشر أسباطاً ، قال تعالى ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾(٢).

ولما أتبعه فرعون بجنوده ، قال تعالى ﴿ فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ (٣).

---

١) سورة التوبة – الآية ٤١.
٢) سورة البقرة – من الآية ٦٠ .
٣) سورة الشعراء– الآيتان ٦٠، ٦١ .

ماذا كان رد موسى عليه السلام ..؟ ﴿ قَالَ كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (١)

ماذا كانت النتيجة ؟

﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴾(٢).

فأصبحت العصا سبباً لحفاظة موسى عليه السلام وقومه، وصارت هذه العصا سبباً لإحياء الدين .

قال تعالى ﴿ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ (٣) قيل كانوا حوالى ستون ألفاً وآمنت زوجة فرعون .

فعندما نترك أموالنا النافعة مثل ترك العصا بسبب أمر الله عز وجل ونتحمل مشقة أنفسنا مثل أخذ العصا ، فكما وعد الله عز وجل موسى ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى ﴾ (١).

---

١) سورة الشعراء – الآية ٦٢

٢) سورة الشعراء – الآيات ٦٣ : ٦٥

٣) سورة الشعراء – الآيات ٤٥ : ٤٨ .

فالله ﷻ يوعدنا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢).

* * * * * * *

١) سورة طه – الآية ٢١ .
٢) سورة الصف – الآيات ١٠ : ١٣.

مزاج الشرع

للإنسان في الدنيا ، ضرورة وحاجة ، وله فيها شهوات .. فلابد أن يُدرب نفسه علي أن يأخذ الحاجة بقدر الضرورة ، حتى تُصبح حياته بسيطة ، فلا تغلبه شهواته .. فعن عائشة رضي الله عنها قالت : " أوتي رسول الله ﷺ بقدح فيه لبن وعسل ، فقال: شربتين في شربة وإدامين في قدح ؟ !! لا حاجة لي به ، أما إني لا أزعم أنه حرام ، ولكن أكره أن يسألني ربي ﷻ عن فضول الدنيا يوم القيامة ، أتواضع لله ، فمن تواضع لله رفعه الله ، ومن تكبر وضعه الله ، ومن اقتصد أغناه الله ، ومن أكثر ذكر الموت أحبه الله " أخرجه الطبراني والبهيقي . (كذا في الترغيب)

وعن زيد بن أرقم ﷺ قال : كنا مع أبي بكر الصديق ﷺ ، فدعا بشراب ، فأتي بماء وعسل ، فلما أدناه من فيه ، بكي ، وبكي حتى أبكي أصحابه ، فسكتوا وما سكت ، ثم عاد فبكي ، حتى ظنوا أنهم لن يقدروا علي مسألته ، ثم مسح عينيه ، فقالوا : يا خليفة رسول الله ! ما أبكاك ؟ قال : كنت مع رسول الله ﷺ ، فرأيته يدفع عن نفسه شيئاً ، ولم أر معه أحداً ، فقلت : يا رسول الله ! ما الذي تدفع عن نفسك ؟ قال : " هذه

الدنيا ، مثلت لي ، فقلت لها : إليك عني ، ثم رجعت فقالت : إنك إن أفلت مني ، فلن يفلت مني من بعدك " [١].

الله جل جلاله فتح علي الصحابة رضي الله عنهم في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ، ولما جاء المال أمامه في مسجد الرسول ﷺ فبكي ويروي لنا ذلك المسور بن مخرمه ﷺ قال : " أُتي عمر بن الخطاب ﷺ بغنائم من غنائم القادسية ، فجعل يتصفحها وينظر إليها وهو يبكي ، ومعه عبد الرحمن بن عوف ﷺ فقال له عبد الرحمن : يا أمير المؤمنين ! هذا يوم فرح ، وهذا يوم سرور ، قال : فقال : أجل ، ولكن لم يؤت هذا قوم قط إلا أورثهم العداوة والبغضاء " أخرجه البهيقي كذا في الكنز [٢] .

وقسم عمر المال وأعط كل واحد عطاء وكان يعطي الناس علي سابقتهم في الإسلام وعلي قرابتهم من رسول الله ﷺ [٣].

وكان عمر يوصهم ألا يغيروا مستوي حياتهم في (الطعام . والشراب . والملبس . والمسكن . والمركب) .

---

١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا ص ١٦ – ورواه الحاكم في المستدرك ٠٣٠٩/٤

٢) حياة الصحابة – باب الخوف علي بسط الدنيا ٢٤٤/٢ .

٣) انظر كتاب حياة الصحابة رضي الله عنهم – باب الإنفاق – تدوين عمر ﷺ الديوان للعطايا ٢٠٣/٢ .

وكان عمر يهتم بسيرة عماله خارج المدينة .. ويسأل عن أحوالهم .. ويُحاسبهم ويُقوم اعوجاجهم .. فعندما أمر سعد بن أبي وقاص ، علي حرب العراق ، أوصاه ، فقال : يا سعد بن وهيب ، لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله ﷺ ، وصاحب رسول الله ﷺ ، فإن الله ﷻ لا يمحو السيئ بالسيئ ، ولكنه يمحو السيئ بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شر يفهم ووضيعهم في ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عبادة ، يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة .. فانظر الأمر الذي رأيت النبي ﷺ عليه منذ بعث إلي أن فارقنا ، فالزمه فإنه الأمر .. وهذه عظتي إياك إن تركتها ورغبت عنها ، حبط عملك وكنت من الخاسرين ... الخ " أخرجه بن جرير [١] .

فسيدنا أبو بكر ﷺ : قسم العطاء علي أساس حاجات الناس .

وعمر ﷺ : قسم علي أساس السبق في الإسلام ، وعلي قرابتهم من رسول الله ﷺ .

فقال عمر ﷺ : أكتبوا الناس علي منازلهم : فكتبوا من أول بني هاشم ، ثم اتبعوهم أبا بكر وقومه ، ثم عمر وقومه علي الخلافة ، فلما

---

١) حياة الصحابة – باب وصايا الخلفاء ٢/١١٠ .

نظر فيه عمر قال : وددت والله هكذا ، ولكن ابدءوا بقرابة النبي ﷺ الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله [١] .

وأعطي أسامة بن زيد رضي الله عنهما أكثر من ابنه عبد الله وقال : هذا حب رسول الله .

أما سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه : قسم المال علي أساس قرابتهم منه ، واستعملهم في شئون المسلمين .

فالشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما – صار بالناس علي مزاج الشرع ، (التضحية) لقرب عهدهم بالنبوة .

وأما عثمان بن عفان سار بالناس علي حدود الشرع ، وذلك بسبب كثرة الداخلين من العرب في الإسلام .

فيجب علي المسلم أن يعيش علي حدود الشرع ، حتى يتوصل إلي مزاج الشر ، فالفتوى حدود الشرع ، والتقوى مزاج الشرع ، لأن الإنسان لو زاد عن الحدود قد يخرج إلي الحرام ، فيخسر الدنيا والآخرة .

فالرجل الذي يمشي علي مزاج الشرع .. فأولاده يعيشون علي حدود الشرع لو زادت معهم الدنيا .. أما لو سار علي حدود الشرع فيمكن لأولاده أن يتعدوا حدود الشرع .. والله ﷻ في قرآنه يحذرنا أن نتعدى الحدود ، فيقول سبحانه وتعالي : قال تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ

---

١) المرجع السابق .

تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ ﴾ [١].

أما مزاج الشرع فيأتي بالتدرج (مع المجاهدة) : قال تعالى: ﴿ وَمَن جَاهَدَ فَإِنّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنّ اللّهَ لَغَنِيّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢].

* * * * * *

١) سورة البقرة . الآية ٢٢٩ .
٢) سورة العنكبوت . الآية ٦ .

قوة الإيمان بالله ﷻ

كيف نتحصل علي قوة الإيمان ؟

ج : اليقين علي الله ﷻ ، ووعده ، ووعيده ، لا يدخل القلب إلا بعمل الدعوة إلي الله تعالى (بالمذاكرة الدائمة في صفات الله وقدرته .. فيتكون الجو الإيماني الذي به يدخل الإيمان واليقين في القلب علي الله تعالي).

كيف يخرج اليقين الفاسد من القلب علي الأسباب والمسببات ؟

ج : كما قلنا بالدعوة وكذلك التضحية .

كيف نضحي ؟

ج : عندما نقوم بهذا العمل ونجعله مقصد حياتنا، ونُعطيه الأوقات، فيأتي في الدنيا نقص الأموال ، والأنفس والثمرات .. وعلي هذا النقص يكون الصبر .. وبهذه التضحية يخرج اليقين الفاسد من القلب .. وبالمذاكرة والدعوة ، يدخل اليقين الصادق في القلب .

الصحابة رضى الله عنهم ، لما جعلوا هذا الجهد مقصد حياتهم ، وكانوا يستأذنون منه بعض الوقت لدنياهم ، فالله بارك لهم في أعمالهم وأرزاقهم وأوقاتهم .. أحيانا الإنسان يأتيه مانع ذهني " يخشى أن يُبتلي بالنقص ، وكيف تُقضي حوائجه .. وهذا مبني علي عدم فهم قدرة الله وعظمته .

فالله ﷻ أهلك النمرود ببعوض أعرج ، وكأن الله يستهزئ بقدرة النمرود ، ويُظهر قوته وقدرته .. واختار لحفظ الرسول ﷺ في الغار ، العنكبوت الضعيف .

فالله ﷻ الذي اختار هذه الأسباب البسيطة .. أليس قادر أن يبارك في جهد الداعي القليل ، والرزق القليل، والوقت القليل .

فعلينا أن نُحسن الظن بالله ﷻ .. فالذي يظن أن لن ينصره الله وأن الله لا يقضي حوائجه .. فهذا سيء الظن بربه الكريم .

عندما تأتي قوة الإيمان في القلب ، يَصْلُحَ يقين الإنسان بالله ﷻ .. وتَصْلُحَ عبادته .. ومعاملاته .. ومعاشراته .. وأخلاقه .

وبقوة الإيمان ، تتحصل الأمة علي معية الله ﷻ ، فتكون محفوظة من كيد الأعداء .. ومن شر حسد كل حاسد .. لأن الله أقوى من كل قوى ، وأقدر من كل قادر .. وكل قوي العالم لا تساوي قدر العنكبوت .. وكل الأشياء لا تساوي جناح البعوضة .. وكل القوى في العالم ، إنما هي بيت العنكبوت قال تعالي : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُون ﴾ (١).

---

١) سورة العنكبوت – الآية ٤١ .

فالعنكبوت إذا سقط علي قشر البيض الرقيق فلا ينكسر .. وإذا تأتي الحشرات الصغيرة فيصطادها العنكبوت فيفرح بذلك .. ولكن عندما يأتي صاحب البيت ليسكن فيه ، فيمسك بمكنسة يهوي بها فيُطهر ما في البيت من عناكب .

فرعون عليه اللعنة بني في مصر .. بيت العنكبوت (بيت الملك) .

وهامان عليه اللعنة بني في مصر .. بيت العنكبوت (بيت الوزارة) .

وقارون عليه اللعنة بني في مصر .. بيت العنكبوت (بيت المال) .

ولما قام موسي بالدعوة .. وأراد الله أن يُطهر مصر من بيت العنكبوت ، ضربهم الله بمكنسة واحدة .

فندعو لكل الناس لا للعنكبوت الأصفر ، ولا الأحمر ، ولا الشرقي ، ولا الغربي .. بل ننظر إليهم بعين الشفقة والرحمة .. ونتحرك عليهم .، ونقول لهم : يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا .. وإذا عرفتم قدرة الله فأسلموا .. وإن لم تعرفوا قدرة الله فستهلكون ، ولا ينجيكم من عذاب الله شيء ، إذا آتاكم .

وندعو لهم بالهداية ، ونقول لهم نريد لكم الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة .. نريد لكم الفلاح في القبر والحشر .. وعند ذلك يزول الباطل

ويظهر الحق ، قال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللّهُ مُتِمّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (١).

التضحية سبباً لإزالة الفتن والمحن :

الأمة في هذا الوقت في فتن ومحن ، ولنا في أبي بكر الأسوة الحسنة .. فعندما توفي الرسول ﷺ أصيبت الأمة بالفتن والمحن ، وكان الناس رجالا ونساءً في حزنٍ شديد ، وفي ذلك تقول فاطمة (رضي الله عنها) :

لقد صبت علينا مصائب لو صبت علي الأيام صرن لياليا

ماذا علي من شم تربة أحمد ألا يشم مدي الزمان غواليا

وعن أم سلمه (رضي الله عنها) ، قالت : بينما نحن مجتمعون نبكي لم تم ورسول الله ﷺ في بيوتنا ونحن نتسلى برؤيته علي السرير، إذ سمعنا صوت الكرازين (٢) في السحر ، قالت أم سلمة : فصحنا وصاح أهل المسجد فارتجت المدينة صيحةً واحدةً ، وأذن بلال الفجر ، فلما ذكر النبي ﷺ بكي وانتحب ، فزادنا حُزنا وعالج الناس الدخول إلي قبره

---

١) سورة الصف – الآية ٨ .

٢) جمع كرزن وهي الفأس الكبيرة.

فغلق دونه ، فيا لها من مصيبةٍ ، ما أصبنا بعد مصيبة إلا هانت ، إذ ذكرنا مصيبتنا به ﷺ [١].

وعن أنس ﷺ قال : لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة ، أضاء منها كل شيء ، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء ، وما نفضنا أيدينا عن التراب وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا " رواه الترمذي[٢].

وفي هذه الأجواء المملوءة بالحزن أمتحن الإسلام .. أشرأب النفاق بالمدينة ، وارتد العرب قاطبة ، وارتدت العجم وأبرقت وتواعدوا نهاوند [٣] وقالوا : قد مات هذا الرجل الذي كانت العرب تُنْصر به .

وأصبح المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية ، لفقد نبيهم ﷺ وقلتهم وكثرة عدوهم .. تقول عائشة رضي الله عنها : والله ! لقد نزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها وصار أصحاب محمد ﷺ كأنهم معزي مطيرة في حش في ليلة مطيرة بأرض مسبعه فو الله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بخلطها وعنانها وفصلها .

---

١) مختصر السيرة النبوية لأبن كثير ٤٣١/٤

٢) مشكاة المصابيح – كتاب الفضائل والشمائل – باب وفاة النبي ﷺ ١٦٨١/٣

٣) أي تواعدوا للتجمع بنهاوند لغزو المسلمين : لأنهم ظنوا أن النصرة قد ارتفعت عن المسلمين بموت نبيهم ﷺ ولم يعلموا أن النصرة في إتباع النبي ﷺ ولو كان شخصه غائبا

وشاور أبو بكر الصديق الصحابة رضي الله عنهم .. فقالوا ومنهم عمر : يا خليفة رسول الله ﷺ ! اترك الناس يصلون ولا يؤدون الزكاة ، فإنهم لو قد دخل الإيمان في قلوبهم لأقروا بها ، فقال أبو بكر ﷺ : والذي نفسي بيده ! لأن أقع من السماء أحب إلي من أن أترك شيئا قائل عليه رسول الله ﷺ إلا أقاتل عليه .

وفي رواية ، قال عمر: يا خليفة رسول الله ! تألف الناس ، وأرفق بهم ، فإنهم بمنزلة الوحش، فقال: أخرت نصرتك وجئتني بخذلانك، جباراً في الجاهلية ، خواراً في الإسلام ، والله ! لأجاهدنهم ما استمسك السيف في يدي وإن منعوني عقالا .

وفي رواية : أجبار في الجاهلية وخوار في الإسلام ، إنه قد انقطع الوحي وتم الدين ، أينقص الدين وأن حي .

وفي رواية فقالوا: يا أبا بكر : توجه هؤلاء إلي الروم ، وقد ارتدت العرب حول المدينة ، فقال : والذي لا إله غيره ! لو جرت الكلاب بأرجل أزواج النبي ﷺ ما رددت جيشا وجه رسول الله ﷺ ، ولا حللت لواء عقده رسول الله ﷺ .

وفي رواية قال: أنا أحبس جيشا بعثه رسول الله ﷺ ! لقد اجترأت علي أمر عظيم ! والذي نفسي بيده ! لأن تميل علي العرب أحب إلي

من أن أحبس جيشا بعثة رسول الله ﷺ ، امض يا أسامة ! في جيشك للوجه الذي أمرت به .

وفي رواية قال : والذي نفسي أبي بكر بيده ! لو ظننت أن السباع تخطفني ، لأنفذت بعث أسامة ، كما أمر به رسول الله ﷺ ، ولو لم يبق في القرى غير لأنفذته .

كان الصديق صاحب عاطفة صحيحة صادقة ، لأنه تربي علي يد النبي ﷺ ، وشرب من معينة .. فوجه أسامة رضي الله عنه إلي الروم كما أمر النبي ﷺ ، مع مخالفة كل الأحوال الظاهرية من أجل طاعة رسول الله ﷺ في بعثة جيش أسامة ، فجعل جيش أسامة لا يمر بقبيل يريدون الارتداد قالوا : لو أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم ، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم ، فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين فثبتوا علي الإسلام .

وهم في طريقهم إلي الروم كانت الأرض تطوى لهم حتى ظن الروم أنه ليس بجيش واحد .. فقذف الله الرعب في قلب قيصر وأصحابه ، ورجعت القبائل التي ارتدت إلي الإسلام وتابوا .. وذلك عندما كانت التضحية لحفظ الدين مع إتباع النبي ﷺ .. وقدمت مصلحة الدين والدعوة ، علي نساء النبي ﷺ ، فالله ﷻ حفظ نساء النبي ﷺ ونصر أحبابه وأوليائه .

وفي هذا درس كبير للأمة إلي قيام الساعة ، وهو أن النصر في إتباع أمر الله مع سنة نبيه ﷺ وأن الهزيمة والخيبة في مخالفتها [١] .

* * * * * *

١) من بيان الشيخ محمد عمر البالبوري بعد المغري في إجتماع بنجلاديش ١٩٨٨/١/١٥ .

إقبال القلب علي الله تعالي

كيف يكون القلب مقبلاً علي الله تعالي ؟

ج : الآن العالم كله يشتكي معيشة ضنكا ، ويتطلع إلي الأمن والسلام ، ولكن يمر بأحوال مضطربة جداً لا أمن ولا سلام ، والأعراض منتهكة .. وكذلك الأموال والنفوس ، ولماذا ذلك مع وجود الرغبة لتحقيق الأمن في العالم .. كل الحكام يريدون أن لا يشوش المحكومين الأمن في العالم ، وكذلك المحكومين يحبون الراحة .. ومع هذه الرغبة الشديدة نجد العالم شرقاً وغرباً يتطلع للأمن ولم يتحقق ذلك لأن الله تعالي قال : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوَاْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأمْنُ وَهُمْ مّهْتَدُونَ ﴾ [1] والظلم هو الشرك .

والأمن لا يتحقق في البيت، وخارج البيت ، في الفرد والمجتمع .. إلا بالإيمان .

والآن نري العالم كل يوم ، يمر بالمصائب .. والحوادث .. والإضرابات .. والنكبات .. والزلازل والفيضانات.. وهذه كلها مصائب دنيوية، والتي تُصيب الإنسان بعد الموت أشد منها .. فإذا مات الإنسان

---

١) سورة الأنعام – الآية ٨٢ .

وقلبه ليس مقبلاً علي الله تعالي ، تلدغه الحيات والعقارب ، ويتحول قبره نار إلي يوم القيامة .. ويوم القيامة في ميدان الحشر تقترب الشمس من الرؤوس ويلجمه العرق إلجاما، ويأخذ كتابه بشماله ، ويخف ميزانه ، ويطرد من علي حوض النبي ﷺ ، وعندما يمر علي الصراط تخطفه الكلاليب فيقع في نار جهنم .. وفي جهنم ظلمات بعضها فوق بعض .. وينادي ولا أحد يجيبه .. وكل هذا لأن قلبه غير مُقْبِلَ علي الله تعالي .. ففسدت أعماله وبفساد الأعمال فسدت الأحوال ... ولهذا .. كان النبي ﷺ دائم الفكرة ، متواصل الأحزان ، ليس له راحة .

المنهج الذي به تكون قلوبنا متوجهة إلي الله تعالي يقوم علي أمرين:

١) أن تكون البيئة إيمانية : فيسهل علي القلوب أن تتوجه إلي الله تعالي.

٢) الطلب الصادق : فبغير الطلب لم ينل أبو جهل الهداية .

* * * * * *

قبول الأعمال بالصفات

يجب أن تكون هذه الصفات في كل عمل:

١) **اليقين الصحيح:** اليقين علي وعد الله ووعيده . وكذلك إخراج يقين المخلوقات من القلب ثم إدخال يقين الخالق في القلب .

كيف ندخل اليقين في القلب ؟

ج : الله لا يري، ولا نشاهده لأنه غيب، والمغيبات تركز في القلب بالمذاكرة في صفاته وقدرته، وكيف بطشه وعذابه للأمم السابقة، وكيف نصرته للأنبياء وأتباعهم ، وكيف خلق الله ﷻ الملائكة .. وكيف قدرتهم وقوتهم .. وكيفية أشكالهم ؟

وبهذه المذاكرة تتكون بيئة الدعوة .. وببيئة الدعوة ، يقوي الإيمان في القلب ، ويدخل اليقين علي الله في القلب .

وكيف نخرج يقين المخلوق من القلب ؟

ج : فكل هذه الأشياء والأسباب نشاهدها .. فإخراجها بالتضحية بها ، لتكوين بيئة الدعوة في العالم .. وبقدر ترك هذه الأشياء يخرج من القلب اليقين عليها .

٢) **العاطفة الصحية:** وهي لحصول الأجر من الله ﷻ ، وأن الله يكافئني عليه ، وتسمي الاحتساب ففي الحديث: " من صام رمضان إيمانا واحتسابا ، غفر له ما تقدم من ذنبه ".. وبهذه الصفة الإنسانية

يعمل العمل بالشوق والرغبة .. وهذه العاطفة تنشأ بمذاكرة الفضائل في حلقة التعليم في المسجد، وحلقة التعليم في البيت.

٣) **الطريق الصحيح** *:* أي عمل نعمل، نعمله بطريقة الرسول ﷺ .

معناه : أن نتعلم علم المسائل.. علم الحلال والحرام .

لكن في زمن الخروج لا نتدخل في المسائل الفقهية ، وليس معي ذلك أننا لا نتعلم المسائل الفقهية.. ولكن لا نتكلم في الخلافات الفقهية حتى لا تختلف القلوب.. وعلم المسائل نأخذه من العلماء .. كلما يحدث لنا أمر نراجع العلماء .

٤) **التوجه الصحيح** *:* وهي صفة الإحسان ، ففي الحديث : " أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ".

وكيف نتحصل عليها ؟

ج : ١- أول شيء ننشئها في الصلاة .

٢- المداومة علي الأذكار المسنونة والأدعية المأثورة .

* وهناك شيئان :

١) قراءة الأدعية. ٢) دعاء الأدعية .

وقراءة الأدعية تكون علي صيغة الدعاء فنتحصل بها علي صفة الإحسان ، والذكر له صور مختلفة.

فمثلاً : فالإنسان عندما يري زوجته وهي تحلب الجاموس فيوجها إلي الله فيقول : ما شاء الله ، الجاموس تأكل الحشيش الأخضر ، ومنه الروث والدم ، ومن بينهما لبنا خالصا من صنعة الله ﷻ .

وعندما يري الأولاد ، يقول : سبحان الله هذا شكله كذا وهذا شكله كذا ، لكل واحد صورة مختلفة .. من الذي فعل ذلك ؟ إنه الله (ﷻ) ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم ﴾ [١].

وعندما يري الفاكهة ، يقول : ما شاء الله ، طعمه مختلف ، ولونه مختلف ، ويُسقي بماءٍ واحد ، لأن الذي صنعه إله واحد الله(ﷻ).

فإذا كانت فيه هذه الصفة فيري الأشياء ويذكر الله ﷻ ، وإن لم تكن هذه الصفة فهو يدخل في الصلاة ويذكر الأشياء .

٥) الإخلاص (النية الصحيحة) :

نعمل العمل ابتغاء مرضاه الله ﷻ ... فإن العمل مهما كان عظيما ولكن خاليا من الإخلاص ، فإنه يرد علي صاحبه ، ويقذف به في نار جهنم مثل (العالم . الجواد المنفق . الشجاع) .

---

١) سورة آل عمران – الآية ٦ .

كيف نتحصل الإخلاص ؟

ج: بتضحية الأموال ، والعواطف النفسانية ، والشهوانية .

أي عمل يكون متصف بهذه الصفات الخمس يكون له تأثير وقبول .. فإذا اتصفنا بها في الصلاة .. فالصلاة تكون فيها الروح .. وإذا اتصفنا بها في الزواج .. يكون الغني .

* * * * * *

عقبات الداعي

قال تعالى:﴿ وَمَآ أَصَابَكُمْ مّن مّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ (١).

خلق الله ﷻ هذا الإنسان، وحمله علي عاتقه أمانة الدين .. ومقابل ذلك سخر له جميع الكائنات الظاهرية والغيبية .

فإذا لم يطبق الأوامر تأتي عليه المشاق والمتاعب والمصائب.

فكل إنسان يقول أنا مؤمن ، أنا أجتهد للدين ، فالله ﷻ ينزل عليه الأحوال من السماء التي فيها المشاق والمصائب .

فالمتدين الصادق له المشقات والمصائب ثم الراحة ، علي عكس غير المتدين يون في الراحة ثم تأتي عليه المشقات ، مثل فرعون : ﴿وَنَادَىَ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَـَذِهِ الأنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِيَ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ (٢) في البداية كان في الراحة ، ولكن في النهاية جاءت عليه المشقات والمصائب .

الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم جاءت عليهم الأحوال والمشقات والمصائب والابتلاءات في الدنيا، أوذوا بالضرب والجوع والقتل والخوف

---

١) سورة الشورى – الآية.

٢) سورة الزخرف – الآية ٥١.

والفقر وترك الديار والأهل فصبروا وتحملوا واستمروا في دعوتهم رغم الأحوال فجاءت نصرة الله ﷻ لهم، كما قال تعالى: ﴿ إِنّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ (١)

فأجري الله ﷻ عليهم الأحوال الطيبة بداية من الدنيا ليروا ثمار جهدهم، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنّهُ حَيَاةً طَيّبَةً وَلَنَجْزِيَنّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (٢)، وكذلك الحياة الطيبة في البرزخ والآخرة.

النصرة بعد البلاء:

قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ النّاسُ أَن يُتْرَكُوَاْ أَن يَقُولُوَاْ آمَنّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ﴾ (٣).

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنّا الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنّ اللّهُ الّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنّ الْكَاذِبِينَ﴾ (٤).

---

١) سورة الشرح – الآية ٦.
٢) سورة النحل – الآية ٩٧.
٣) سورة العنكبوت – الآية ٢ .
٤) سورة العنكبوت – الآية ٣.

الذي يقول أنا متدين، فمباشرة يأتيه الابتلاء:

قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنّكُمْ بِشَيْءٍ مّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مّنَ الأمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثّمَرَاتِ وَبَشّرِ الصّابِرِينَ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ الّذِينَ إِذَآ أَصَابَتْهُم مّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنّا للّهِ وَإِنّآ إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾ (٢) .

إذا صبر المؤمن وثبت:

قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مّن رّبّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (٣) .

فالداعي لابد له من الابتلاء وبدون الأحوال والابتلاء لا يترقى .

الداعي يعتريه أربع عقبات :

١- عقبة الاستدبار(نقص الدنيا):

الداعي عندما يجتهد ويضحي من أجل الدعوة ، فيأتيه الاستدبار أي نقص الدنيا في الزراعة ،في التجارة ، يموت له أحد أقاربه (ولد ..

---

١) سورة البقرة – الآية ١٥٥.

٢) سورة: البقرة – الآية: ١٥٦ .

٣) سورة البقرة – الآية: ١٥٧.

زوجة .. والد .. والدة) ، يجد كل الناس معا إخوانه ، أعمامه ، أخواله ، أحبابه ، يُظهرون له الكره، وينفرون عنه.

أو يرجع من الخروج فيجد نفسه قد طرد من العمل أو يقل راتبه، أي كل الأحوال مخالفة له.

فماذا يفعل الداعي؟

قال تعالى: ﴿ يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُوَاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لّعَلّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾ [١] فاثبتوا :أي يثبت الإنسان علي الأعمال الصالحة.

لذلك لابد من الصبر أمام هذه الأحوال فلا يترك الداعي الدعوة وعليه اللجوء إلى الله ويتضرع إليه بالصلاة ويدعوه بالثبات والعزيمة والمغفرة " اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار ". وعلى الداعي أيضا أن يلازم أهل الدعوة ، ولا يفعل شيء إلا بالشورى ، ويبعد عن أهل الدنيا ويشكر الله ﷻعلى كل حال ، ويتيقن على أنه ما قدره الله ﷻ له سيكون ، وأن وراء الابتلاء الترقية والرحمة ورفع الدرجات وتكفير الذنوب .

---

١) سورة الأنفال – الآية ٤٥ .

وعلى الداعي أيضا أن يعرض حاله على أهل الدعوة ويسلم نفسه للمشورة ويكثر من الدعاء والبكاء أمام الله سبحانه وتعالى .

فالثبات علي الدعاء والتضرع والذكر والصلاة والجولة والزيارات هو سُلم الترقية ، مثل إبراهيم عليه السلام حينما ثبت وصبر علي الابتلاء (بالإلقاء في النار .. وترك زوجته وابنه في وادٍ غير ذي ذرع ..وذبح ابنه) فبفضل هذا الصبر منَّ الله علي البشرية ببعثة الرسول ﷺ وأمته، وفرض الحج، جزاءً لصبر إبراهيم وهاجر عليهما السلام .

فتكون النتيجة والثمرة: ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مّن رّبّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (١)

٢ – عقبة الاستقبال :

أي أن الدنيا تفتح على الداعي ، بالمال ، بالمنصب ، فعندما يرجع الداعي من الخروج، يجد الإكرام والحفاوة حوله ، يجد العلاوات والترقيات في العمل ، يجد العزة في البيت وخارج البيت، يجد كل الأحوال مناسبة .. وهذا ابتلاء من الله سبحانه وتعالى هل يثبت الداعي أم يترك الدعوة وينشغل بالدنيا والاستقبال أصعب من الاستدبار، لأن حالة الاستدبار واضحة علي عكس حالة الاستقبال غير واضحة ، فيها الاستدراج ، فأحيانا الداعي عندما يجد حالة الاستقبال يفرح وينسي أنه

---

١) سورة البقرة – الآية ١٥٧.

ابـتلاء مـن الله ﷻ .. فـإذا جـاء فـي قلبـه ذلـك الشـيء، كحـب الجـاه والمنصب فيحرم من العمل ، فالاستقبال أشدُ بـلاءً من حالة الاستدبار ، فننظـر فـي حـال الاسـتقبال إلـي نبـي الله سـليمان عليه السلام ، حينمـا أتـاه الله عرش بلقيس قال: ﴿ هَـذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيَ أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (١).

فالإعجاب بالشيء خطر عظيم علي الداعي ، يجعله يفرح بما حوله من العزة والجاه ، فيحجب مثل الصوفي فيه الإعجاب بالباطن وينظر إلـي كل من حولـه علـي أنـه غافل ، والعـالم يعجب بعلمـه فيكون مثل الطـاووس فـي كثـرة إعجابـه بنفسـه، أي أن هنـاك كبـر خـارجي وكبـر داخلي(في الباطن) .

فعلـى الـداعي أن يراقب نفسـه وأن يـرتبط بأهل الـدعوة وأن يحـرص علـى تقديم الأعمـال الصـالحة وأن يقدم أمر الدعوة علـى الدنيا وأن يبذل ماله في سبيل الله وإكرام أهل الجهد وأن يجلس مع البسطاء من النـاس، ويخدم الجماعة حتى يخرج منه الغرور، وأن يكثر من الجلوس في الخلوة بالمسجد ويتضرع إلي الله ﷻ ويمشي حسب الشورى ، ويطلب التثبيت من الله ﷻ.

٣ _ عقبة المناصب :

---

١) سورة النمل – الآية: ٥١.

عندما يخرج الإنسان في سبيل الله ﷻ تتحسن أخلاقه ، فيقبل عليه الناس ويعرضون عليه المناصب .

والمناصب على نوعين :

أ- مناصب ظلمانية :

وهى مناصب الدنيا مثل مدير شركة أو مصنع .. أو تعرض عليه الوظائف العالية .. أو رئيس جمعية وغيرها ، وعلى الداعي عندئذ ألا يقبل المنصب دون المشورة لأن بعض الناس بسبب المنصب بالتدريج تتبدل حياتهم بالغفلة وحب الدنيا والشهرة ، ويتأثر بالصور والأشكال والمشاهدات وهو عندئذ لم يترقى بمنصبه ولكنه نزل بسبب ترك الدعوة لأن الدين أعلى وأغلى من الدنيا .

ب- مناصب نورانية:

مثل إدارة مسجد .. إدارة مدرسة إسلامية.. لجنة زكاة وتبرعات .. نقابات.. أو إمام مسجد أو مؤذن ، حتى المناصب في الدعوة أن يكون أميرا وغيرها، وهذه المناصب وإن كانت في ظاهرها تدل على الخير إلا أنها في الحقيقة حجب عن الحق الذي هو عمل الدعوة ولآن الإنسان بهذه المناصب لا يجد عنده الوقت للدعوة والخروج فيترك الشئ الغالي ويتمسك بالشئ الداني، فنقوم من الليل وندعو الله ﷻ أن يثبتنا علي العمل، ونتعوذ بالله ﷻ من السلب بعد العطاء .

٤ _ عقبة الإكرام والهداية:

عندما يرجع الداعي يكرمه الناس بشتى أنواع الإكرام ويقدمون له الهدايا ، فلا نقبل شيئا من الهدايا ، إلا بالشورى ، وأحيانا يعرضون عليه أموال زكاتهم لينفقها في سبيل الله ﷻ أو يعطيها للفقراء والمساكين، فلو قبلها لسقط من نظرهم ولم يكن لدعوته أي أثر ويكون محل للشبهة.

وأخيرا: في حالة المناصب النورانية والظلمانية ، فعلينا بالجماعة والشورى، ولا نقبل أي منصب كان، ولكن أصحاب المناصب يدخلوا في الدعوة هذا طيب .. الدعوة لا تمشي بالدنيا ، ولكن الدنيا تمشي بالدعوة.. لهذا نراقب أنفسنا هل نحن في حالة من الحالات الأربع ، فنتوب إلي الله ﷻ ، ونستغفره ، حيي يرفع عنا غضب الله ﷻ .

في الدنيا صورة الراحة ، وصورة المشقة ، ولكن في الآخرة حقيقة الراحة ، وحقيقة المشقة.

وفي الدنيا صورة النقم ، وفي الآخرة حقيقة النقم .

وفي الدنيا صورة النعم ، وفي الآخرة حقيقة النعم .

* * * * *

بيان قـوة اللـه وقدرته

القوة على نوعين :

- قوة مخلوقة، وقوة الخالق من صفات الله تعالى .
- القوة المخلوقة قليلة وأما قوة الله فهي من صفاته فليس لها حد ولا نهاية .
- القوة المخلوقة تزيد وتنقص مثلا قوة السيف أقوى من قوة العصا .
- قوة الرشاش أقوى من قوة السيف وقوة الهيدروجينية أقوى .
- هكذا هذه القوات تسمى قوات مخلوقة، والتي اخترعها الإنسان .
- وهناك قوات مخلوقة لم يخترعها الإنسان مثل السماء والأرض.
- والشمس والريح هذه القوات المخلوقة التي خلقها الله أقوى من القوات التي أخترعها الإنسان .
- فإذا اجتمعت الصواريخ والقنابل وهكذا لا تستطيع كسر السماء .
- وإذا كان موجود سيل لا يستطيع الإنسان بقواته المخترعة الدفاع عن نفسه.
- اليوم مع تطور الإنسان عاجز عن الدفاع عن نفسه .
- هناك قوة ثالثة قوة الملائكة ، الله جعل قوة الملائكة أقوى من السماء والأرض، إسرافيل إذا نفخ في الصور تتكسر السماء والأرض .

- سيدنا جبريل رئيس الملائكة طوله ما بين السموات السبع والأرض، سيدنا رسول الله ﷺ رءاه في هذه الصورة مرتين .
- ورآه الصحابة في صورة رجل غريب لا يرى عليه أثر السفر .
- وفي بدر الصحابة رأوا الملائكة فقوة الملائكة أقوى من قوة الأرض والسماء والهواء، ومع هذا كل هذه القوات مخلوقة لا تضر ولا تنفع .
- وهذه القوات المخلوقة لا تساوي شيء أمام قوة الله .
- المال والنعم التي أظهرها الله في الدنيا وهناك خزائن عند الله..هذه تكون قطرة بجانب خزائن الله .
- خزائن المال والمادة تختلف فيما بينها تزيد وتنقص في أيدي الناس .
- بعض الناس يأكلون أكثر وبعضهم يأكل ويعمل وهكذا .
- ولكن كلها هذه خزائن مخلوقة .
- في الدنيا قدر معلوم من الخزائن والآخرة خزائنها أوسع سواء خزائن النعم أو النقم .
- كل شيء من خزائن الله .. الحبة الواحدة بطيخة واحدة والبطيخة بها الكثير من اللب ولو كل لبة ممكن أن تنبت .
- وأما لو أنزل الله نوع واحد من النعم إلى مرة واحدة إلى الأرض لملأت الأرض هذه النعمة ولكن تنزل بقدر معلوم . .النعم والنقم بقدر معلوم.

- العقارب والحيات وغيرها بقدر معلوم .. في الآخرة العقرب مثل البغلة، وكذلك اللذة والحلاوة والحسن والقبح .
- الحلاوة أقسام: العنب والموز وغيرها حلو ولكن الحلاوة تختلف كذلك النور الشمس والقمر الشمعة والسراج . . أكبر ضوء، ضوء الشمس ولكن هذا كله شيء قليل من خزائن الله .
- الحسن الجمال في الحور العين .
- صاحب الجنة يكون له ٧٢ من الحور العين . . فكيف يكون حسنه وجماله ؟.
- كيف يكون نور الأنبياء في الجنة ؟
- وكيف يكون نور النبي محمد؟.
- الحور العين إذا تفلت في البحر المالح أحلته .
- الحلاوة في تفلها فكيف الحلاوة في أنهار الجنة ، وفي اللبن وفي العسل . . هكذا كل النعم الإنسان لا يستطيع أن يحيطها
- مقصد الكلام أن الله عنده خزائن القوة والمال .
- كل القوى في الدنيا لا تساوي بيت العنكبوت .
- كل المال في الدنيا لا يساوي جناح البعوضه.
- كل جهد الإنسان على تحصيل القوة والمال حياته كلها بين ذلك وذلك.

- فمن أجل القوة يبذل المال ومن أجل المال يبذل القوة .. الأجير يبذل القوة للحصول على المال .
- وصاحب المصنع يدفع المال للحصول على قوة الأجير.
- وهناك نظامين : نظام القوة ونظام المال .
- كل الدول الآن على هذا الأساس .
- الدول التي عندها زيادة في المال تتفكر في زيادة القوة والدول التي عندها القوة تتفكر في زيادة المال .
- الدجال أكبر صاحب مال أكبر من قارون و أكبر من كسرى .
- الدجال عنده أموال طائلة ، وهو لا يحتاج لأحد لحفر الأرض .. ولكن يقول للأرض أخرجي كنوزك فتخرج ، ويقول للسماء أمطري فتمطر، ويقول للميت قم . .. الفاعل الحقيقي هو الله ، والله يعطيه القوة . . كل ما نراه في الكون مظاهر لصفات وأسماء الله سبحانه وتعالى.
- عباد الأصنام يعتقدون أن رزقهم من الأصنام .
- كذلك اليوم الناس يعتقدون أن رزقهم في تجارتهم ومصانعهم .
- كذلك الدجال كل ما يظهر على يديه هو من الله أصلا وليس من عنده .
- ولكن هذا استدراك للناس وبلاء للناس .
- الذين يقينهم فاسد على الأشياء عندما يرون هذا هم يؤمنوا بالدجال .

- والمؤمنون هم يقولون لا إله إلا الله ، ويكفرون بالدجال .
- الذي يؤمن بالأصنام الله يرزقه ، ولكن ليس في نصيبه إلا هذا المقدار القليل في الدنيا ليس له في الآخرة من نصيب .
- والذي يؤمن أن رزقه في تجارته وصناعته وزراعته فالله يرزقه ، ولكن ليس له في الآخرة من نصيب .
- كذلك الذي يؤمن بالدجال هو يظن أنه في الراحة .
- أكبر فتنة هي فتنة الدجال .
- والصناعة والتجارة والزراعة فتنة أيضا .
- الذي يفتن بهذه الفتن الصغيرة فكيف يصمد أمام فتنة الدجال .
- والذين آمنوا بالدجال فيكون لهم متاع الدنيا ٤٠ يوم فقط .
- انظروا إلى قيصر وكسرى كل قواتهم في مدتهم .
- كذلك الدجال كل قوته وفتنته في ٤٠ يوم .
- الله سبحانه وتعالى يبتلي الناس المؤمن وغير المؤمن .
- الله دائما يبتلي المؤمن ويكون الابتلاء أولا وأغلب الأحيان بالتكليف
- والكافر بكثرة المال والقوى .
- بني إسرائيل لما آمنوا بموسى عليه السلام ابتلوا بالمصائب والشدائد .
- والله أعطى قارون خزائن المال وقال إنما أوتيته على علم عندي .
- سيدنا سليمان أعطاه الله الملك والمال .

- الله يبتلي المؤمنين بالتكليف والمصائب ، ويبتلي الكفار بالمال والنعم.
- تغيرت حكومة كسرى ١٤ مرة . كسرى مزق رسالة النبي ولكن قيصر ظل مدة طويلة لأنه احترم الرسالة .
- كما أن فرعون لقب لملوك مصر، وكسرى لقب لملوك إيران .
- كل ما تجد في هذه الدنيا من خزائن المال والقوة هي من عند الله . الإنسان يتأثر بما يرى بعينه من القوة و المال على الأرض، ولا يتأثر بما عند الله من خزائن القوة والمال، قال تعالي ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (١).
- القوات النووية والهيدروجينية لا تساوي عند الله إلا مثل بيت العنكبوت.
- سعادة الإنسان وفلاحه لا تكون بتحصيل المال والقوة المخلوقة ولكن سعادته وفلاحه تكون بارتباطه بخزائن الله الغيبية .
- وهذا لا يكون إلا بالأعمال التي أعطاها لنا الله عن طريق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

---

١) سورة العنكبوت – الآية ٤١ .

- إذا ارتبط العبد بخزائن الله الغيبية حتى لو كان فقيرا في الدنيا فهو يكون في الفلاح والنجاح ، وهذا بالأعمال الصالحة .
- فسعادة الإنسان في طمأنينة القلب وليست سعادته في كثرة المال أو شقاوته في قلتها .
- فالمؤمن يكون في حياته الدين، سواء عنده مال كثير أو قليل، فهو في الفلاح والنجاح .
- وإن لم تكن في حياته الدنيا فإنه يرتبط بخزائن النعم وخزائن العذاب .
- طريق الهداية للذين يسلكون طريق الأنبياء والصالحين علاقتهم مرتبطة بخزائن النعم.
- كل ما نرى أمامنا فهذا معلوم ، أما ما عند الله في الغيب فهذا لا نعرفه إلا عن طريق الأنبياء والمرسلين بطريق الخبر .
- فالإنسان بين النظر والخبر هو مبتلى .
- الشجرة مستورة في النواة ولكن لا تظهر إلا بعد إلقائها في الأرض ، وكذلك خزائن الغيب لا تتكشف إلا بعد الموت .
- بعض الأحيان الله يكشفه في الدنيا .
- فرعون كان يتكلم بما عنده من المال والقوى . وكلام سيدنا موسى كان عن الغيب ، وانكشف لفرعون عند غرقه ولذلك قال آمنت .
- نصرة الله الغيبية كان يخبر بها سيدنا موسى ، وكشفها الله في الدنيا .

- كذلك مع الصحابة في بدر الأحزاب الرسول ﷺ كان يخبرهم عن نصرة الله الغيبية .
- وكذلك كان العذاب الذي كان يخبر به الأنبياء والمرسلين.
- النور الذي خلقه الله في الدنيا قليل وزائل وفي الآخرة الخزائن .
- الشمس والقمر والكهرباء والسراج ، بهذا النور الإنسان لا يستطيع أن يرى إلا المخلوقات .
- في هذا النور الإنسان ينكشف له ما يضره و ما ينفعه من الأشياء .
- وبدون هذا النور الإنسان لا يستطيع أن يميز بين الضرر والنفع وفي الظلام يمسك الحية يظن أنها حبل .
- وهناك نور في الآخرة عند الله و من صفات الله . وهذا النور في الدنيا لا يتسعه إلا قلب المؤمن . الدنيا لا تسعه . . وهذا النور عندما يدخل في قلب المؤمن ينكشف للمؤمن ما عند الله من خزائن النعم والنقم .. وهذا النور هو الإيمان والهداية .
- وبه يميز ما ينفعه من الأعمال وما يضره ، وتنكشف له الطمأنينة في ذكر الله .
- وأن الهلاك في الغفلة ، وينكشف له في الزكاة يربو المال وفي الربا ينقص .

- عندما تحقق الإيمان في قلب صهيب رضي الله عنه ، جاء النور في قلبه ترك كل أمواله .
- الأنصار بهذا النور آخي رسول الله بينهم وبين المهاجرين .
- المهاجرين بهذا الإيمان تركوا أموالهم وأوطانهم .
- عبد الله بن حذافة السهمي عرض عليه الملك المشاركة في ملكه ولكن بالنور لم يبالي بهذا . . هذا لا يمكن إلا بعد أن يرسخ الإيمان في القلب فيري أن كل الدنيا بسيطة وقليلة.
- سيدنا سليمان بهذا النور كان يرى أن في كلمة سبحان الله خير من ملك آل سليمان .
- عندما يتحقق نور الهداية والإيمان تتكشف المنفعة والمضرة الحقيقية للإنسان .
- نور الهداية يتحقق بجهد الهداية .. وهذا النور في الدنيا وفي القبر وفي الحشر .
- بنور الهداية الإنسان يرى أن يبذل النفس والنفيس في سبيل الله لنشر الدين.
- الأعمال لا بد أن يكون فيها الإخلاص. . وبغير الإخلاص تكون الأعمال فيها ظلمة وتكون حاجز .

- فالذي في قلبه نور الإيمان والهداية لا يقوم بالأعمال من أجل الدنيا لأنه يرى النعيم المقيم في الآخرة .
- من كان في قلبه نور الهداية يظهر على وجهه وفي حركاته وفي سكناته .
- علامة المؤمن إذا رأيناه ذكرنا الله .
- من تحقق في قلبه نور الهداية هو لا يتأثر بأحوال الدنيا ولا يتزعزع .
- الهداية على قدر التضحية بالمال النفس: ﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُون ﴾ (١).
- المنافقون يشتغلون في الأعمال ولكن من أجل الدنيا { يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ * فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ

---

١) سورة التوبة – الآية ٤١ .

مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } [١] الذي يجتهد في الأعمال من أجل المال فإذا تحصل فضعف العمل و إذا لم يتحصل هو يمل .

المعاصي مثل جراثيم النفاق، ما هو العلاج لخروج النفاق من القلب هو بذل المال والنفس في سبيل الله، ولا نيأس من روح الله فالإنسان يكون بين الخوف والرجاء.

* * * * * *

١) سورة الحديد – الآيات من ١٢ : ١٥ .

التضحية وترك الشهوات

- بتضحيات أهل بيت إبراهيم عليه السلام جاءت نصرة الله تعالى .
- الله ذكر في مواضيع كثيرة من القرءان، أن المدد والنصرة مع الأنبياء ولم يقتصر هذا المدد على الأنبياء فقط، بل كل من تشبه بهم وبأعمالهم.
- نصرة الله أحيانا تأتي موافقة للظاهر وخلاف الظاهر، فالله تعالى نصر الأنبياء بخلاف الظاهر .
- التضحية التي تكون بخلاف الشهوات هي التضحية على طريق الأنبياء.
- الصلاة بغير التضحية لا يمكن أن نصليها لأن فيها تفريغ الوقت وترك الأشغال، أما التضحية التي تكون على شهوات الإنسان فهي نفسانية ، والتضحية على مخالفة الشهوات وامتثال أمر الله تسمى روحانية .
- أكبر تضحية هي إنفاق المال والنفس في سبيل الله، وعلى طريق النبي ﷺ ، وهذا هو الجهاد الذي ذكر في القرءان، قال تعالى : ﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُون ﴾ (١) وهذه التضحية هي الأساس لإحياء أوامر الله تعالى.

- وبهذه الطريقة الله نشر دينه في أنحاء العالم وصارت معمورة بالأعمال.
- نبينا ﷺ خطط لأمته منهاج الحياة ، كي تقتدي به في كل الحياة .
- هكذا بين ﷺ لنا منهاج حياة الدين ، وحفظ الدين فينا إلى يوم القيامة.
- كيف كان ندعو طبقات الأمة عامتهم وخاصتهم وملوكهم.
- آيات القرءان ٦٦٦٦ آية ٥٠٠ آية للأحكام أما باقي الآيات كلها لتصحيح اليقين على الله وعلى طريق الحياة الصحيح.
- إذا رأينا الفاسق ينغمس في فسقه فلا نتأثر من فسقه ، ونتركه على حاله .. بل نرغبه في الدين وبعد ذلك نبين له عظمة الله .
- نجتهد أولا على تكوين الذهن والمزاج، ثم بعد ذلك ندعوه إلى الأعمال.
- الأنبياء عليهم السلام ضحوا في سبيل الله متيقنين على ما عند الله ، وما عند الله غيب.
- الذي يخرج في سبيل الله وهو قانع ليس فيه الطلب لا يفتح عليه، فنحن نجتهد على الناس حتى يأتي فيهم الطلب .

---

١) سورة التوبة – الآية ٤١ .

- لأن الناس ليس فيهم الطلب .. إنه من تقرب إلى الله شبرا ، الله تعالى يتقرب إليه ذراعا.. أبو طالب أكثر من ٤٠ سنة كان في نصرة النبي ولم يكن فيه الطلب فالله تعالى ما أعطاه الهداية ولكن عمر رضي الله عنه كان في ذهنه أن يقتل النبي ولكن رغم ذلك كان فيه الطلب فالله تعالى جعله الخليفة الثاني لرسول الله على أمته .
- فأولا : علينا أن نجتهد على تكوين أذهان الناس حتى يفهموا أن الفوز والفلاح بيد الله تعالى ليس بالأشياء الفانية بعد ذلك كل شيء يكون سهلا .
- الله تعالى أهلك فرعون وقارون والنمرود في أشياءهم بعد أن صاروا يرون أن الفلاح والفوز في أشياءهم، وخدعوا واطمأنوا على أشياءهم وأسبابهم كما قال فرعون : ﴿وَنَادَىَ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِيَ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ (١).
- وأعطى الله تعالى الفوز لسليمان وداود في هذه الأشياء . . وخلاصة القول: أن الفوز والخسارة بيد الله تعالى .
- المسلمون اليوم يقولون نحن نشتغل في الأسباب متوكلين على الله، وهذا غير صحيح بل يقيننا كله على الأشياء، وإخراج هذا اليقين ليس سهل يحتاج إلى تضحية كبيرة .

---

١) سورة الزخرف – الآية ٥١.

- الذي يريد إن يمشي على شهواته فلا بد له من إن يكسر أمر الله ولكن هذا يسبب الخسارة في النهاية.
- النمرود مشى على شهواته، وكسر أمر الله تعالى، فالله أهلكه بأضعف المخلوقات بعوضة عرجاء، حتى صار يطلب من الناس أن يضربوا رأسه بالنعال، وكيف كان تدبيره لقتل إبراهيم عليه السلام والحرص على عدم ولادة إبراهيم عليه السلام ولكنه ما نجح في تدبيره ، لكن إبراهيم عليه السلام مشى على أمر الله بكسر شهواته، فالله تعالى نصره وحفظه وسط النار وهي من أشد مخلوقات الله، ونصره الله على النمرود حين قال له أنا أحي وأميت ، والتدبير الذي دبر إبراهيم بأمر الله تعالى ، نجح فيه ، ونتائج تدبيره ماشية إلى يوم القيامة.
- القرآن كله يدور على شيء واحد وهو أن هذه الظواهر كلها ليس فيها نفع ولا ضر إلا بإذن الله تعالى.
- وحصول اليقين على هذا لا يأتي إلا بالمجاهدة.
- سيدنا إبراهيم ضحى بعائلة واحدة وبنى بيتا واحدا وهو بيت الله الحرام فالله تعالى جعله خليلا .
- ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كم ضحى من عائلته وعائلات أصحابه وكم بنى من بيوت الله تعالى فالله تعالى جعله حبيبا وخليلا .

- نصرة الله تعالى الخاصة دائما مع التضحية الخاصة، كما أخرج الماء لأصحاب النبي بتضحياته الخاصة .
- وهي لكل من ضحى تضحية خاصة إلى يوم القيامة وأصل التضحية هو إنفاق المال والنفس في سبيل الله.
- وهذا العمل ليس مرتبط بالمساجد فقط . . بل بغير المساجد نقوم بهذا العمل لأن الأرض كلها مساجد، إذا حيل بيننا وبين المساجد نعمل هذا العمل في الشارع في البيوت.. سيدنا موسى لما منع من المسجد الله تعالى أمره أن يجعلوا بيوتهم قبلة أي مساجد ويقيموا فيها الأعمال حتى يأتي نصر الله ويبشرهم بالنصر مع شدة الأحوال .
- الطريق الصحيح الذي نمشي به في الأسباب الظاهرية ونكون في رضاء الله له شرطان:

الشرط الأول: نشتغل فيها بغير اعتماد عليها وهذا يكون سببا في توقف نصرة الله كما وقع في حنين ١٢٠٠٠ مع الاعتماد على الأسباب انهزموا لكن ١٠٠ مع الاعتماد على الله انتصروا على ٤٠٠٠ وقصة حنين مر ذكرها.

الشرط الثاني نشتغل فيها بحيث لا نترك أمر الله كما وقع في أحد .

- بعد انهزام الكفار وفرارهم تركوا أموالهم، والرماة الذين تركهم النبي ﷺ ، أخطأوا في فهم أمر الرسول، فكان ذالك سببا في ذهاب نصرة الله.

الله تعالى أمر سيدنا موسى أمرين في قصة العصا الأمر الأول القها يا موسى وهذا أمر سهل طبيعي ليس فيه صعوبة والأمر الثاني خذها ولا تخف أمر ووعد أمر خلاف الطبع ووعد بخلاف الطبع لكن الأمر الأول ما وعد الله موسى عليه بشيء.

- لا رهبانية في الإسلام ولا نفسانية، كذلك الرهبانية هي ترك الأسباب كسب وشؤون البيت مع إن الله ما أمر بذلك.
- والنفسانية هي الاشتغال بالأسباب بترك أمر الله ومقتضيات الدين.
- فالمجاهدة هي أن نجعل أمر الله ومقتضيات الدين في الدرجة الأولى .
- والأشغال كلها والكسب وشؤون البيت في الدرجة الثانية.
- كل الوقائع التي وقعت للصحابة من جنايات التي أوجبت عليهم إقامة الحدود كانت مقدرة عليهم من الله تعالى ليبين لهذه الأمة شرائع الدين كيف تقام الحدود اختارهم الله لذلك.
- وكيف قال النبي ﷺ لخالد رضي الله عنه لما طار عليه دم المرأة الزانية وقال خالد أخزاك الله فالنبيﷺ قال لا تقل ذلك أنها تابت توبة لو قسمت على سبعين بيت لوسعتهم.
- أعداء الإسلام يبينون هذه الأحداث ليبينوا للمسلمين إنكم لا تحتاجون إلى الصحابة في فهم القرءان وبهذا وقع الفساد في المسلمين .

- حتى إن بعضهم أكل الخنزير بحجة إن طعام أهل الكتاب حل لكم ولما قيل له آية التحريم قال الخنزير الذي لا يأكل النجاسة والخنزير الذي لا يأكل النجاسة فهو حلال وهذا سببه هو الاستغناء عن الصحابة في فهم القرآن.
- ترك الأسباب من أجل مقتضيات الدين يجوز بثلاثة شروط.

أولا: لا يسأل أحد.

ثانيا : لا يأتي فيه إشراف على ما في أيدي الناس.

ثالثا : لا يشكوا حاله أحدا من الخلق.

وبعد الشروط لا نسأله من أين يأتيه الرزق فهذا على الله.

* * * * * *

من صفات الداعي إلى الله

الدين أغلي شيء عند الله ﷻ ، والأشياء كلها لا تساوي عند الله جناح بعوضة ، وجميع القوي عند الله ﷻ ، أوهن من بيت العنكبوت .

عطاء الله ﷻ للعبد يكون حسب شأنه تعالي، والدين هو أعظم عطاء والدين هو طريق الحياة التي يصلح بها الإنسان في الدنيا والآخرة .

وبالدين تكون نصرة الله ﷻ مع عباده ، وإذا أتت النصرة تكون خلاف الظاهر ، مثل النار صارت علي إبراهيم ﷺ بردا وسلاما .. وعندما جاءت النصرة لموسي عليه السلام لم تكن له وحده ، بل له ولأتباعه .. أي ليست النصرة لموسي عليه السلام لم تكن له وحده ، بل له ولأتباعه .. أي ليست النصرة للمرسلين فقط بل لهم ولأتباعهم ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأشْهَاد ﴾ [1] أما إذا كانت قدرة الله خلاف العبد فمهما كانت عنده من أسباب النجاة والعزة .. يكون في الهلاك والدمار .

المال والمادة مثل الجسم وقدره الله فيها مثل الروح ، والمال والمادة بدون الروح لا ينفع ، وبقدر الإيمان وقوته تكون أعمال العبد فيها الروح

---

(١) سورة غافر – الآية ٥١ .

والقوة وتصعد إلي السماء ومن السماء تنزل البركات والنصرة حسب الأعمال الصاعدة إلي السماء .

وإذا كانت الأعمال ضعيفة فإنها لا تصعد إلي السماء ، وضعفها بسبب فساد اليقين .

المنكر لا يزول بالمنكر ، بل يزداد .. الآن لا نستطيع أن نفعل مثل عمر ضرب عامل البحرين أمام الناس .

الأنبياء مع علو مرتبتهم عند الله ﷻ ، ورغم ذلك رعوا الغنم .. لماذا ؟ .. ليكتسبوا الصفات (التواضع – الصبر – الحلم) .. فعلي الداعي أن يكون مع الناس كما يكون أصغر واحد في البيت مع من حوله من أخوة ، وأقارب .. حتى يستطيع أن يساير الناس ، ويصل إلي قلوبهم . موسي عليه السلام ، كان قوي البنيان .. وكان معه نصرة الله ﷻ في العصا (ضرب بها البحر .. وضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) .

وكان قويا فضرب ملك الموت ففقأ عينه ، ووكز الرجل الفرعوني فقتله ، ورفع الحجر الثقيل وسقي لابنتي شعيب عليه السلام ، ورغم ذلك الله ﷻ أمره بالقول اللين لفرعون .

ميزة عمل الدعوة والتبليغ :

بعض الناس يجتهد في مجال الدين ، ولكن لا يجتهد لإقامة الناس علي الدين ، فإذا مات هذا الداعي ، تموت الدعوة لأنه أقام الناس علي الدين فقط .. أما جهد الدعوة لإقامة الناس علي الدين وعلي جهد الدين " قال تعالى ﴿ يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ كُونُوَاْ أَنصَارَ اللّهِ﴾ [1] الفرس المتمرن تكفيه الإشارة .. هكذا المؤمن يكفيه الإشارة كي يقوم علي هذا الجهد .

يجب علي الداعي ألا ينظر إلي النتائج :

عند جهد الدعوة البعض يؤمن والبعض لا يؤمن ، مثلما حدث في بني إسرائيل ..وبعض الأحباب إذا أبطأ الناس في الاستجابة ، ييأس ويترك الدعوة ، وهذا ليس صحيح .. الذي في قلبه أن الفاعل هو الله ﷻ ، لا ييأس للنتائج ، لأن عليه الجهد فقط ، ويستمر في الجهد محتسبا .. ويكون عنده إنكار الذات .. الرسول ﷺ دخل مكة عند الفتح ليلا وهو مطأطئ رأسه حياء من الله .. أما الذي ينظر إلي نفسه فهو مثل فرعون قال " أنا ربكم الأعلى " فجعله الله ﷻ نكال الآخرة والأولي .

* * * * * *

---

١) سورة الصف – الآية – ١٤ .

قوة الأشياء

وتأثيرها من الله ﷻ

الله ﷻ خلق هذا الكون ، وأعطى للمخلوقات ؛ القوة والتأثير ، وهذا التأثير ليس من ذاتها بل من أمر الله ﷻ فيها .. فالقنبلة الذرية مخلوقة ، والعصا مخلوقة ، وهناك فرق في تأثيرهما.

وحتى نرى قدرة الله ﷻ في الأشياء لابد من الإيمان ، فالكهرباء موجودة في الأسلاك ، ولكن لا ترى فكذلك قدرة الله ﷻ .

فالأرض تنبت الزرع .. والنار تحرق .. والجاموس تأكل الحشيش وتخرج الحليب .. والطعام يشبع .. والماء يروى .. الخ وهذه قدرة الله ﷻ العامة في الأسباب الظاهرية يراها المؤمن والكافر ، والله قادر ألا يظهر هذه التأثيرات في هذه الأشياء ، ولكن هذه سنة الله ﷻ العامة وهى إظهار قدرته في الأسباب المادية .

والقدرة الخاصة يستخدمها الله ﷻ لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام وهى المعجزات للأنبياء ، والنصرات مع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، والكرامات مع الأولياء مثل: عدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه السلام .. وعدم إحراق النار لأبى مسلم الخولاني .. وشق البحر لسيدنا موسى عليه السلام وقومه .. وكما مشى صحابة النبي ﷺ على الماء .. وكما أنبت شجرة من يقطين على سيدنا يونس عليه السلام .. وكما نصر القلة القليلة

على الكثرة القوية في بدر .. وهذه القدرة الخاصة الله ﷻ يستخدمها في الأحوال الخاصة وفى أوقات معينة .

* * * * * *

القرآن منهج الحياة

لو نظرنا وأمعنا النظر ، لوجدنا الذي يصنع أى ماكينة ، نجده يبين طريقة استعمالها فمثلاً : الذي يشترى سيارة ، هو يستعملها كما يبين صاحبها فيضع الزيت في مكان الزيت، والبنزين في مكان البنزين ، وإذا بين له صانعها أن يمشى على الجانب اليمين .. يتبع كل التعليمات ، ولكن إذا قال : هذه سيارتي وأنا اشتريتها بنقودي وأنا حر استخدمها كيفما أشاء ، فلو توجه بها جهة الشمال بدل اليمين فقد تأتى سيارة في الاتجاه المعاكس له فتصدمه فتكون المصيبة ، فإما ينتقل إلى المستشفى وإما إلى القبر .

فجميع الناس متفقون على أن الماكينة تستخدم كما يبين صانعها.. ولله المثل الأعلى دون تشبيه وتمثيل ، خلق الإنسان وصوره في بطن أمه والله سبحانه وتعالى يعلم ما يصلحه وما يفسده .. فإذا الإنسان يستخدم نفسه حسب أوامر الله ﷻ وطريقة النبي ﷺ يسعد في الدنيا والآخرة .

والجميع يعرف أنه إذا كانت الماكينة غالية فالصانع يرسل معها الكتالوج ، وإن كانت أغلى فالصانع يرسل معها المهندس ليبين لهم طريقة الاستعمال ، فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وجعله أغلى الأشياء وأحسنها فقال تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

[١] وإذا انصلح حال هذا الإنسان .. انصلح العالم كله وإذا فسد .. فسد نظام العالم كله قال تعالى ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [٢].

فمن رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده أنزل القرآن، وجعله منهج الحياة، وأرسل الرسول ليوضح لنا المنهج ، فإذا نمشى على المنهج حسب طريقة الرسول ﷺ نسعد في الدنيا والآخرة ، وإذا نمشى حسب هوانا تأتى المشاكل في الدنيا وفى القبر وفى الحشر، وفى الميزان .. الخ.

* * * * * *

١) سورة التين – الآية ٤

٢) سورة الروم – الآية ٤١ .

وختاما

نحمد الله ﷻ علي توفيقه أن منَّ علينا وأخرجنا هذا الكتاب الطيب الممتع في مادته ، الممتع في بيانه ، القوي في برهانه .

وأسأله سبحانه وتعالي أن يوفقنا لحمل الأمانة، وتبليغ الرسالة، وأن يجعلنا أهلا لما أهلنا الله ﷻ له ، ولما وصفنا به فقال عنا: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لّهُمْ مّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[1] .

وأسأله سبحانه وتعالي أن يُحركنا في العالم لنشر دينه ، كما حرك أصحاب نبيه ﷺ وأن يجعل الدعوة إلي الله أحب إلينا من أنفسنا وأموالنا وأهلينا .. اللهم ! آمين.

* * * * *

١) سورة آل عمران – الآية ١١٠ .

المراجـــع

١) القرآن الكريم .
٢) مختصر تفسير ابن كثير – دار التراث العربي للطباعة والنشر.
٣) مفاتيح الغيب للرازي – طبعة دار الغد العربي .
٤) صفوة التفاسير للصابوني – طبعة مكتبة الغزالي – دمشق.
٥) رياض الصالحين للنووي – طبعة المكتب الاسلامي – بيروت – لبنان .
٦) المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح – للإمام الدمياطي – مكتبة التراث الإسلامي – القاهرة .
٧) مشكاة المصابيح – الخطيب التبريزي – طبعة المكتب الإسلامي – بيروت – لبنان .
٨) مستدرك الحاكم – طبعة دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان.
٩) جمع الجوامع للإمام السيوطي – طبعة مجمع البحوث الإسلامية.
١٠) صحيح مسلم بشرح النووي – طبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية بالقاهرة .
١١) الاتحافات السنية في الأحاديث القدسية – للشيخ محمد المدني – دار الريان للتراث بالقاهرة .
١٢) حياة الصحابة – للشيخ محمد يوسف الكندهلوي – طبعة دار

المعرفة – بيروت – لبنان .

١٣) تاريخ الإسلام – للذهبي – طبعة دار الغد العربي بالقاهرة .

١٤) سبل الهدي والرشاد في سيرة خير العباد – الشيخ محمد يوسف الصالحي الشامي – طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية المسمى بالسيرة الشامية.

١٥) زاد المعاد – لابن القيم – دار القلم للتراث – بالقاهرة .

١٦) قصص الانبياء – لابن كثير – طبعة بغداد .

١٧) السيرة النبوية – أبو الحسن الندوي – المكتبة العصرية – بيروت – لبنان.

١٨) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – أبو الحسن الندوي .

١٩) الفوائد المشوقة لعلوم القرآن – لابن القيم – دار القرآن – القاهرة

٢٠) مدارج السالكين – لابن القيم – دار الحديث – بالقاهرة .

٢١) الوابل الصيب من الكلم الطيب – ابن القيم .

٢٢) إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان – لابن القيم – طبعة مكتبة مصطفي البابي الحلبي – بالقاهرة .

٢٣) مختصر منهاج القاصرين – لابن قدامة .

٢٤) منهاج المسلم – للشيخ أبو بكر الجزائري .

٢٥) أسباب سعادة المسلمين وشقائهم في ضوء الكتاب والسنة – للشيخ محمد زكريا الكندهلوي – دار القلم – دمشق .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
(١) المقدمة	٣
(٢) نبذة عن حياة الشيخ محمد عمر البالمبوري(رحمه الله):	٤
(٣) ثناء العلماء عليه.....	٩
(٤) محاضرات الشيخ:	١١
المنهج الرباني في الحياة.....	١١
(٥) فتوحات ربانية.....	٤٤
(٦) الإيمـان الحقيقـي.....	١٥٤
(٧) أسباب المحبة بين أفراد الأمة المحمدية.....	١٦٩
(٨) ارتباط الأحوال بالأعمال.....	١٨٢
(٩) تصحيح المفاهيـم.....	١٩٦
(١٠) المعاشرات الإسلامية.....	٢٢٨
(١١) التوحيـد.....	٢٤٢
(١٢) الأسباب للاختبار والامتحان.....	٢٤٨
(١٣) مـزاج الشـرع.....	٢٥٦
(١٤) قوة الإيمان بالله ﷻ.....	٢٦١

(١٥) إقبال القلب علي الله تعالى.....	٢٦٩
(١٦) الأعمال بالصفات.....	٢٧١
(١٧) عقبات الداعي.....	٢٧٥
(١٨) بيان قوة الله وقدرته.....	٢٨٣
(١٩) التضحية وترك الشهوات.....	٢٩٤
(٢٠) من صفات الداعي إلي الله.....	٣٠١
(٢١) قوة الأشياء وتأثيرها من الله تعالى.....	٣٠٤
(٢٢) القرآن منهج الحياة.....	٣٠٦
(٢٣) وختاما.....	٣٠٨
(٢٤)المراجـــــع.....	٣٠٩
(٢٥) الفهرس	٣١١